الجامع في الهدايات القرآنية

سُورَة هود

جمع واستنباط

نخبة من الأساتذة وطلاب العلم في التفسير والقراءات والحديث والعقيدة والفقه وأصوله واللغة العربية والتربية والعلوم الطبية وغيرها، من مختلف دول العالم عبر مجموعة واتساب متخصصة في الهدايات القرآنية

إشراف

أ.د. طه عابدين طه

أستاذ التفسير وعلوم القرآن بجامعة أم القرى بمكة المكرمة

رعاية

كرسي الهدايات القرآنية بجامعة أم القرى

ومؤسسة النبأ العظيم الوقفية بمكة المكرمة

قال تعالى: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ﴾ [هود: ١ – ٢].

١. فيها التحدي بالقرآن العظيم، لافتتاحه بهذه الحروف المقطعة فهو مركب منها، ومع ذلك لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله لن يستطيعوا ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا.

٢. فيها تعظيم وتفخيم لهذا الكتاب الذي أحكمت آياته بدليل تنكيره، لقوله: ﴿كِتَٰبٌ﴾.

٣. فيها إعجاز غيبي وإشارة إلى أن هذا القرآن الكريم يجمع في كتاب؛ لأن سورة هود مكية وما زال القرآن ينزل ومع ذلك قال: ﴿كِتَٰبٌ﴾.

٤. تفيد: أهمية كتابة القرآن وجمعه في الصحف حيث سماه الله تعالى بالكتاب قبل أن يكتب.

٥. تفيد: أهمية التدبر العميق لكل حرف وكلمة في القرآن، لأنها محكمة جاءت لغرض دقيق.

٦. تفيد: هذه الآية، أن القرآن كله محكم، ولكن بجمع الأدلة يتبين أنه ثلاثة أقسام، محكم، كما في هذه الآية، والنوع الثاني: متشابه، كما في آية الزمر: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ﴾ [الزمر ٢٣]، وبعضه محكم وبعضه متشابه، كما في آية آل عمران ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ﴾ [آل عمران: ٧].

٧. فيها أن إصلاح وإحكام الأمور الكلية يحتاج إلى إصلاح وإحكام (الجزئيات) واللبنات المكونة لهذه الأمور الكلية فإن اصلاح المجتمع يحتاج لإصلاح مكوناته وهي الاسرة وإصلاح الأسرة يحتاج لإصلاح مكوناتها وهم أفرادها.

٨. تفيد أن القرآن الكريم مثاني، وذلك أن سورة هود تتشابه في بعض مواضيعها مع سورة فصلت، كما في الحديث عن الإحكام والتفصيل والوحي والاستقامة وخلق السماوات والأرض وقصة عاد وثمود وبعض طبائع النفس البشرية ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾.

٩. تهدي إلى فائدة في طرق العرض والتدريس وهي التفصيل والشرح بعد الإجمال، وهي من أساليب البلاغة وقد وردت كثيرا في الكتاب والسنة. ﴿أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ﴾.

١٠. فيها: أثر الثناء على ما يدعى الناس إليه ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾.

١١. تفيد: أهمية التفصيل لما يحتاج لذلك من الهدايات.

١٢. فيها: رد على الزنادقة الذين يزعمون أن الشريعة لقوم مضوا، أو أنها لا تصلح في أي مكان ولا زمان؛ لقوله: ﴿مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾.

١٣. فيها مدح عظيم وترغيب كبير لتعلم القرآن الكريم واتباعه، فهو كتاب محكم وحكيم.

١٤. تفيد: أهمية الإخلاص لله تعالى في سائر الأعمال وأن تكون على نهج الوحي الذي أمرنا باتباعه ﴿أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ﴾.

١٥. تفيد: أثر المعتقد وأنه يدفع صاحبه للعمل والدعوة، ﴿أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ﴾.

١٦. تفيد: أن تحقيق التوحيد وإخلاص العبادة الله تعالى، من أعظم مقاصد القرآن الكريم. ﴿أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ﴾.

١٧. فيها: الاهتمام بدعوة الغير، وألا يكتفى بنفسه فحسب؛ لقوله: ﴿إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ﴾.

١٨. يتفرع على تلك الهداية: أن النفس، أولى بالخير والاتباع، ولقوله تعالى: ﴿أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ﴾ [البقرة: ٤٤].

١٩. ومنها: أن التوحيد، هو أول الحق الذي يجب بيانه ويدعى إليه، ولقوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ [النحل: ٣٦] أي: أن وحدوا الله.

٢٠. تفيد: أن: القرآن يدور حول قضية التوحيد وما لله من العبادة؛ ولقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] وفي هذا إرشاد للدعاة للعناية بهذا الأصل الأصيل والركن الركين.

٢١. تفيد: أن هذا الكتاب العظيم مبناه على الحكمة؛ وهي: وضع الشيء في موضعه، وعلى الخبرة المنافية للجهل، ولقوله تعالى: ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

٢٢. أن من خصائص القرآن: أنه قوي متين محكم، وفي الوقت نفسه سهل بيّن مفصل غير معقد لقول الله: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٧].

٢٣. فيها: أن أفضل الكتب ما أحكمت عناصر موضوعه وأبوابه ثم فصلت وبينت، وذلك مستفاد من منهج القرآن في الإحكام ثم التفصيل، ولله وكلامه المثل الأعلى، والأمر فيه تعليم للعباد.

٢٤. فيها وصف للكتاب وخبر عنه، ووصف لله تعالى الذي أنزله، وللرسول الذي أُنزِل عليه؛ وبيان أعظم مقاصده، وأول أولويات الرسل. وتوضيح ذلك على النحو التالي:

أولاً: وصف الكتاب كما في قوله ﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾

فأفاد التنكير للكتاب ﴿كِتَٰبٌ﴾ تعظيمه، ورفعة شأنه. وأفاد قوله ﴿أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾ قوة إتقانه ومتانته فلا يتطرق إليه نقص، أو خلل، أو تناقض كما قال الله تعالى ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ فصلت: ٤٢. ــ الإخبار عن الكتاب ب﴿ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾:ــ فأفاد حرف العطف ﴿ثُمَّ﴾ التراخي؛ فمع قوة إحكامه فإنه فصّل على مدة البعثة؛ فلم يتطرق إليه تناقض، أو اختلاف قال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]، تفصيل مسائل الإيمان والاعتقاد، والأحكام، وقصص الأنبياء مع أقوامهم والمواعظ. إلخ.

ثانياً: وصف الله الذي أنزله بالحكمة في اسمه الحكيم:﴿حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ التي يضع بها الأشياء في مواضعها اللائقة بها، ووصفه بالخبرة في اسمه الخبير التي يعلم بها بواطن الأمور وظواهرها، ودقائقها وعظائمها فلا تخفى عليه خافية.

ثالثا، وصف الرسول عليه الصلاة والسلام بالنذير البشير على الجمع بينهما مع تقديم النذارة على البشارة لكثرة التمرد في بني آدم، قال تعالى: ﴿إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾.

رابعا: أعظم مقاصد الكتاب العظيم وأول أولويات الرسل الدعوة إلى عبادة الله وحدة وعدم الإشراك به ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ .

٢٥. كل ما في القرآن علامة على أنه حق، ودلالة على المنزل سبحانه لأنها (آيات) والآية العلامة.

٢٦. فيها الجمع في الدعوة بين الترهيب، لئلا تنتهك حدود الله، والترغيب لئلا ييئس العباد من رحمة الله، فالنذارة لمن عصى، والبشارة لمن أطاع وهذه طريقة الرسل والأنبياء وتوجيه القرآن الكريم.

٢٧. تفيد: أن مهمة النبي عليه السلام ومن يقوم مقامه في الدعوة إنذار الكافرين والعاصين، وتبشير المؤمنين الطائعين.

٢٨. تفيد: أهمية البراءة من الشرك، حيث لم يأمر بالعبادة إلا قرن ذلك بنفي كل عبادة لغير الله.

٢٩. تفيد: تحريم عبودية غير الله من الملائكة والأنبياء والصالحين وسائر الخلق.

٣٠. إرسال النبي ﷺ رحمة من الله للعالمين ﴿لَكُم مِّنْهُ﴾.

٣١. تفيد: كمال صفاته جل وعلا من خلال اسمائه الحسنى الخبير الحكيم الذي يستلزم حياته وعلمه وقدرته ورحمته وغيرها من صفات الجلال.

٣٢. تفيد: أهمية إنزال كل أسلوب في موضعه المناسب لنعرف متى ننذر ومتى نبشر.

قال تعالى: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ [هود: ٣].

٣٣. فيها من المناسبة أن سيد الاستغفار وأفضله ما عطف على التوحيد وارتبط به ويعضد ذلك دعاء سيد الاستغفار: " اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك على، وأبوء لك بذنبي فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت"(١).

٣٤. تفيد: عِظم مكانة الاستغفار فقد جاء الأمر بالاستغفار بعد عبادة الله ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ۝٢ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾ [هود: ١ – ٣].

٣٥. فيها من المناسبة أيضا: استمرار بيان وسائل نبذ عبادة غير الله.

(١) أخرجه البخاري ٦٧/٨.

٣٦. فيها وبضميمة ما قبلها: البراءة من الكفر والشرك الذي كان عليه قبل التوحيد؛ لقوله قبلها: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ ثم قال بعدها: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ﴾ مما بدر منكم من الكفر.

٣٧. فيها أن عمل العبد لا يخلو من قصور وخلل، وهذا مستفاد من المناسبة بين الآيتين في الاستغفار بعد العبادة، والاستغفار هو أحد الجوابر الثلاث بعد العمل الصالح، أولاها، النوافل، فسجود السهو، وهنا الاستغفار.

٣٨. في مناسبة الآية لما قبلها: أن فقه تحصيل الحياة الطيبة إنما يكون بالإيمان بالله وحده ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ وتجريد المتابعة لرسوله صلى الله عليه وسلم ﴿إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾

٣٩. تفيد: الترغيب في محاسبة النفس قبل أن تحاسب، وبذلك يتلافى المؤمن ما مضي بالاستغفار والرجوع إلى جادة الطريق والعزم على عدم العودة للتقصير وكل ذلك عبر التوبة الصادقة.

٤٠. وفيها: فضل الاستغفار وأنه ستر للعيوب، من أسباب صحة الأبدان وصلاح الأولاد وسعة الأرزاق، قال تعالى: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ۝١٢﴾ [نوح: ١٠ – ١٢].

٤١. فيها أن للطاعات والعبادات أثرا حسنا وخيرا عظيما في الدنيا قبل الآخرة؛ لقوله: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا﴾ وعليه فحصولها لا ينافي الإخلاص وطلب الدار الآخرة وإن قصدها المؤمن.

٤٢. تفيد: أن التصفية تكون قبل التحلية كما في الآية السابقة ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ۝٢ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾.

٤٣. فيها أن الاستغفار غير التوبة؛ لأن الأصل في العطف المغايرة، ففيها حث على الاستغفار والتوبة.

٤٤. فيها مع ما قبلها أن التوحيد والاستغفار والتوبة، وقاية ومنجاة من عذاب يوم القيامة.

٤٥. فيها أن كل من استغفر وتاب إلى ربه كما ينبغي فهو ممتع في الحياة الدنيا متاعا حسنا.

٤٦. تفيد: الآية في قوله: ﴿يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا﴾ وقوله ﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ﴾ توازن المؤمن بين تحصيل الدنيا وإعمار الأخرة، وأن الدنيا مزرعة للآخرة.

٤٧. تفيد: أن الذي يمتع على الحقيقة، هو الله وحده.

٤٨. تفيد: أنه لا يطلب التمتع إلا ممن يملكه وهو الله سبحانه.

٤٩. منها: أن المتعة الحقيقية فيما أذن فيه وأحل.

٥٠. فيها أن مفهوم المتاع الحسن عند أهل البصيرة عميق فكل محققٍ للشرط يناله، وليس ما يظنه البعض من عطايا الدنيا وزهرتها إنما هو متاع الحياة الطيبة، وإن كانت محاطة بالنقائص.

٥١. فيها إثبات القدر وأن كل شيء بأجل مسمى لقوله: ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾ .

٥٢. تهدي إلى أن الموت قاطع للعمل إلا ما أثبته الشرع جاريا بعد الأجل، ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾.

٥٣. فيها: أن الله سبحانه لا يضيع أجر من أحسن عملا من قول أو فعل لقوله:﴿وَيُؤۡتِ كُلَّ ذِي فَضۡلٖ فَضۡلَهُۥۖ﴾.

٥٤. تفيد: تفاوت الخلق في الدرجات ﴿وَيُؤۡتِ كُلَّ ذِي فَضۡلٖ فَضۡلَهُۥۖ﴾.

٥٥. فيها إثبات عمل العبد ونسبته اليه.

٥٦. تفيد: الترغيب في المسابقة في الخيرات والمسارعة في الأعمال الصالحة.

٥٧. تفيد حقارة منافع الدنيا وخستها بدلالة تسميتها بالمتاع، وكذا بالدنيا من الدناءة.

٥٨. فيها: بيان تفاوت الدرجات في الآخرة.﴿وَيُؤۡتِ كُلَّ ذِي فَضۡلٖ فَضۡلَهُۥۖ﴾

٥٩. وفيها: سعة فضل الله وحلمه على عباده.

٦٠. تهدي إلى حكمة العمر للمؤمن، وسلوى العمل﴿وَيُؤۡتِ كُلَّ ذِي فَضۡلٖ فَضۡلَهُۥۖ﴾ في الفرض وفي الاحتساب والتطوع والبذل في المال والجاه والقلم، وحتى وما نطق به من كلمة طيبة.

٦١. تهدي إلى أساليب العرض المختلفة في الدعوة إلى الله، خطابا وغيبة، ووعدا ووعيدا.

٦٢. تفيد: أنه قد يكون التحذير للعباد لطفا بهم، لقوله:﴿فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ كَبِيرٍ﴾

٦٣. فيها الخوف على النفس والغير من عذاب يوم القيامة لأنه عذاب يوم كبير؛ لقوله: ﴿وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ كَبِيرٍ﴾.

٦٤. فيها: ترغيب للعمل للآخرة، لأنها لما كانت درجات فحري بالمؤمن الحريص أن ينال منها أعلاها، ولا يرضى بالدون، إلا قاصر الهمة.

٦٥. تفيد: بيان أسلوب الدعوة عن طريق الترغيب والترهيب.

٦٦. فيها: وجوب شكر الله المنعم ابتداءً وانتهاء.

٦٧. وفيها أن للكفر بالله والتكذيب بآياته أثرًا سيئًا وعذاباً في الدنيا قبل الآخرة.

٦٨. تفيد: أن من رحمة الله بنا الخوف علينا من العذاب، وقد رغب الله في الخوف منه، وهو عباده قلبية ﴿فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ﴾.

٦٩. تفيد: حرص الداعية على المدعوين ورحمته بهم وشفقته عليهم ﴿فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ﴾.

٧٠. تفيد: أنه ينبغي للشخص أن يخاف من مآلات يوم القيامة ولا تتملك الدنيا مشاعره فيخاف زوال أو ضرر يلحق به من ممتلكات الدنيا.

٧١. تفيد: الرد على كلام غلاه المتصوفة بأنهم (لا يعبدون الله خوفًا من ناره أو عذابه ولا رغبة في جنته) فإن العبادة خوف ورجاء وذل ومحبة كما قرر ذلك ابن القيم رحمه الله تعالى.

٧٢. يفيد تنكير العذاب في الآية التهويل، وفي هذا مزيد من الزجر والتخويف لهم ﴿عَذَابَ يَوۡمٖ كَبِيرٍ﴾.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ [هود:٤].

٧٣. فيها تناسب آيات القرآن الكريم، وذكر البرهان على البعث والرجوع إلى الله عز وجل وهو أنه على كل شيء قدير فلا يعجزه بعثكم وإرجاعكم كما كنتم.

٧٤. فيها مع ما قبلها مقاصد القرآن الكبرى وهي كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: معرفة الله تعالى ومعرفة الآخرة ومعرفة الصراط المستقيم [١].

٧٥. تفيد أسلوب من أساليب البلاغة والخطابة والفصاحة ، وهو إدخال الروعة والهيبة في نفوس المخاطبين، بدلالة إظهار لفظ الجلالة ﴿ٱللَّهِ﴾؛ مع أنه كان بالإمكان في قواعد اللغة المجيء بالضمير جريا على سياق الآية السابقة.

٧٦. فيها أن المرجع والمآب إلى الله عز وجل وحده لا إلى غيره؛ دل على ذلك الحصر في تقديم الجار والمجرور، ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡۖ﴾ وفي ضمن ذلك الأمر بالاستعداد لهذا الرجوع بالتوحيد والاستغفار والتوبة.

---

(١) مجموع الفتاوى ١١٤/١٧.

٧٧. تهدي إلى جملة خير ما قال النبي ﷺ والنبيون من قبله بالإشارة لتوحيد الألوهية لا إله الا الله بطلب الإيمان بالرجوع لله ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡۖ﴾ والفاصلة العظيمة المقررة ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ۝٤﴾.

٧٨. تهدي إلى وقوع التعميم بعد التخصيص في الأخبار والصفات فالتعميم في قوله: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ والتخصيص في قوله: ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡۖ﴾ وقد نص علماء الأصول، أن مثل هذه الآية لا يمكن أن تكون من العام الذي يدخله التخصيص، فهو عام محفوظ، و"كل" هي أم الباب في العموم، كما ذكر ذلك في المراقي:

صيغة كل أو الجميعُ وقد تلا الذي التي الفروع

٧٩. ومنها: اليقين في الله وأن الأمر كله – من سعادة وشقاء– بيده تعالى.

٨٠. ومنها: سؤال العبد ربه أن يمتعه في أمره عامة، وفيمن حوله خاصة وألا يسلطهم عليه.

٨١. تفيد: الاستعداد للقاء الله والإيمان باليوم الآخر ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ﴾.

٨٢. تفيد: تربية المؤمن على بعد النظر واعتبار العواقب والمآلات وإثار الآجل الدائم على العاجل الزائل.

٨٣. تشير وبضميمة ما سبق إلى: حكمة الله، وأنه لم يخلق الخلق لذات المتعة. قال الله: ﴿أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥].

٨٤. تفيد: الإيمان بالبعث والنشور والإحياء بعد الإماتة والجزاء والحساب.

٨٥. تفيد: بضميمة ما قبلها أنه من لم يرجع ويؤوب ويتوب إلى الله اختيارا آب ورجع إلى الله اضطرارا، ولآت حين مناص.

٨٦. وفيها ضعف الإنسان وقلة حيلته وعدم استغناءه وافتقاره إلى الله الذي بيده العواقب والمرجع وفي ذلك تثبيت للمؤمنين ووعيد وتهديد للكافرين المكذبين.

٨٧. تفيد: أن من أجلّ وأعظم مظاهر قدرة الله عز وجل الإحياء والإماتة والبعث والنشور والحساب يوم القيامة ويشهد لذلك قوله تعالى ﴿لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ﴾ [الحديد: ٥].

٨٨. تفيد: الحث على التوبة وتحقيق التوحيد وتجنب الشرك والمعاصي.

٨٩. تفيد: إحسان العمل وإتقانه، أفاده التذكير بالتزود لهذا الرجوع واللقاء وقد قال الله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ [البقرة: ٢٨١].

٩٠. تفيد: دوام المراقبة لله تعالى وخشيته في الغيب والشهادة.

٩١. فيها: عظمة الله التي تحار فيها العقول حيث لا يوجد استثناء من هذا (الكل).

٩٢. فيها أنه لا يأمن الطائع من مكر الله ولا ييأس المذنب من رحمة الله إذ "القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف شاء"(١).

٩٣. تهدي إلى بيان أن وقوع النهايات على مقتضى صفات القدرة على كل شيء.

٩٤. تهدي إلى جملة السلوى للمصابين، والتحذير للغافلين ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ لِيَسۡتَخۡفُواْ مِنۡهُۚ أَلَا حِينَ يَسۡتَغۡشُونَ ثِيَابَهُمۡ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [هود: ٥].

٩٥. فيها من المناسبة: أنه لما ذكر سبحانه توليهم عن عبادته. بين هنا أن التولي عنه باطنا كالتولي عنه ظاهرا.

٩٦. وفيها: أن إصرارهم على الشرك والشك هو سبب هلاكهم.

٩٧. وفيها: وصف ثني الصدور سخرية بهم. لظنهم أنها تحجب علم الله عما يخفونه فيها.

٩٨. وفيها: الله سبحانه لا تخفى عليه خافية من الأقوال والأفعال.

٩٩. وفيها: دليل على إضمار عداوتهم للنبي ﷺ.

١٠٠. فيها الترغيب في أن يحرص ويجتهد المؤمن في حفظ باطنه، من الأخلاق الرذيلة، واتصافه بالأخلاق الجميلة.

١٠١. تهدي إلى بيان مغبة الجهل بالله، تحمل الإنسان إلى تصرفات كتصرفات الأطفال، والطفل لا يلام إذا حنى رأسه وطأطأ، وتغشى بثوبه وانكمش، لأنه يحمله عليه الخوف في الغالب، وهؤلاء

---

(١) أخرجه مسلم ٤/٢٠٤٥.

يسقط عليهم الذم ويعلق بهم لأنهم يحملهم عليه الجهل والشك، فهذا وصف حال ونفسية مرضى الإيمان.

١٠٢. تهدي إلى علو وقار وقدر رسول الله ﷺ لأنه محتمل لمرجع الضمير في قول معتبر.

١٠٣. تهدي إلى: أن للقرآن هيبة وجلجلة في نفوس قوم يكرهونه ولا يحبونه، ولذا يعرضون عنه بمثل هذا السلوك، وهو محتمل للضمير أيضا.

١٠٤. تهدي إلى: ذم النفاق والمنافقين.

١٠٥. تهدي إلى أن مثل هذه التصرفات يحمل عليها ضيق الصدر إما الجهل أو الشك والكفر، أو التناجي بالشر، أو الكبر والاستكبار.

١٠٦. تهدي إلى: وصف سلوك نفسي للإنسان عموما أنه أخفى ما يكون ابن آدم، إذا أسرَّ في نفسه شيئًا وتغطَّى بثوبه، فذلك أخفى ما يكون، وأضمر همَّه في نفسه، والله مطلع على ما في نفوسهم كما أفاده قتادة. فإن كان هذا الفعل صدر من منافق وكافر فهو ذم، وإن كان صدر ممن يؤمن بالله فليس بذم بل قد يكون خوفا وقلقا وطلبا للأمن ونحوه. فوصف هذه الحالة يهدي لنوع من أنواع ضرب المثل الضمني في القرآن، في نقل معنى حالة لحالة مشابهة مع اختلاف الدواعي والأسباب.

١٠٧. تفيد: أن المرء كلما كان أكثرَ عِلمًا، كان أكثرَ خشيه وطاعةً وعبادةً وتقوَى لله عز وجل، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: ٢٨].

١٠٨. تشير إلى: أن شأن السريرة أشد من العلانية؛ لقوله: ﴿يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ فبدأ بالسر أولا.

١٠٩. فيها: علم الله المطلق. وقول الله: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ﴾ [النساء: ١٠٨].

١١٠. فيها: أن من ثمرات إصلاح الباطن، البعد عن النفاق وعدم الشك في الله.

١١١. وفيها: دقة التعبير وأسرار التقديم والتأخير وأنها مقصودة في الكتاب.

١١٢. تفيد: أن الطريق إلى الله إنما يقطع بالقلوب فهي المقصودة بالصدور وما تضمر.

١١٣. تفيد: أن من جهل شيء عاداه ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ﴾.

١١٤. تفيد: أن العلم يحمل المرء على خشيه الله ومن ذلك قوله الرسول ﷺ "إن أتقاكم وأعلمكم بالله أنا "(١).

١١٥. فيها جهل المشركين والكفار بالله عز وجل وعظمته وسعة علمه؛ قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الزمر: ٦٧].

١١٦. فيها بالمفهوم المخالف أن المؤمن يعظم الله تعالى ويعلم أن الله تعالى لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، وأنه يعلم السر وأخفى، ويترقى حتى يصل إلى مرتبة الإحسان أن يعبد الله كأنه يراه.

١١٧. فيها أن صفة العلم من أعظم صفات الرب سبحانه وتعالى وأن الإيمان بها والعمل بلوازمها من أعظم الإيمان والعرفان؛ قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ۖ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢].

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [هود: ٦].

١١٨. فيها مناسبة لما قبلها؛ قال القرطبي: ووجه النظم بما قبل: أنه سبحانه أخبر برزق الجميع، وأنه لا يغفل عن تربيته، فكيف تخفى عليه أحوالكم يا معشر الكفار وهو يرزقكم؟! (٢).

١١٩. تفيد: أن كل من يدب على الأرض يحتاج إلى رزق.

١٢٠. تفيد: تباين الأرزاق وفق الأماكن وتغير الزمان من ليل ونهار وفصول وفواصل السنة، بدلالة مفهوم الحركة في قوله: ﴿دَآبَّةٍ﴾ وتنوع المستقر والمستودع

١٢١. تفيد: معني بذل الأسباب والسعي والحركة في اكتساب الأرزاق، لأن كلمة (دابة) من الدبيب وهو المشي الخفيف، لقوله: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ﴾.

١٢٢. تفيد: كلمة ﴿دَآبَّةٍ﴾ – وهي من الدبيب وهو المشي الخفيف– معني التؤدة وعدم الاستعجال والتسرع في أمر الدنيا عكس أمر الآخرة فالأصل فيه المسابقة والمسارعة، وهي أيضا

---

(١) أخرجه البخاري١/١٣.

(٢) تفسير القرطبي٩/٦.

شاملة لمن يعقل ومن لا يعقل وفي ذلك * فائدة أن الأرزاق لا تجري عل الحجا وفي ذلك قول أبو تمام:

ولَوْ كانَتِ الأرزَاقُ تَجْري على الحِجَا هلكْنَ إذَنْ مِنْ جَهْلِهِنَّ البَهَائِمُ

١٢٣. فيها أن الله وحده لا شريك له تكفل بالرزق كاملا، بدلالة تقديم الجار والمجرور ﴿عَلَى ٱللَّهِ﴾ على متعلقة وهو ﴿رِزْقُهَا﴾ لإفادة القصر والحصر.

١٢٤. فيها: أن الكل في علم الله سواء؛ فيدخل فيه العلم والإحاطة، وكذلك التدبير، وأنه لا يشغله شيء عن شيء من المخلوقات – تعالى الله –؛ بقرينة: ﴿إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾.

١٢٥. فيها رد على المعتزلة؛ في قولهم:(الرزق ماله أن ينتفع به وليس لأحد منعه، و لا يكون إلا حلالا، و الحرام لا يكون رزقا) [١] قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وقد يراد بالرزق ما ينتفع به الحيوان وإن لم يكن هناك إباحة ولا تمليك، فيدخل فيه الحرام، كما في قوله تعالى: ﴿*وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ وقوله عليه السلام في الصحيح: "فيكتب رزقه وعمله واجله وشقي أو سعيد"[٢].

١٢٦. فيها التلازم بين الرزق والمستقر، فابحث عن رزقك، فقد يكون في غير مستقرك، ولذا ذكرت الآية الرزق والمستقرّ ﴿إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا﴾ [هود: ٦].

١٢٧. تفيد: أن الحياة تقوم على الحركة والرزق ومستلزماته.

١٢٨. تفيد: أن من انقطع رزقه فقد انتهى أجله.

١٢٩. فيها: الدعوة إلى الله بأسمائه وصفاته وما له – تعالى – من صفات الكمال والجلال؛ فهو (العليم الرزاق).

١٣٠. فيها: سعة علم الله واحاطته.؛ قال الله: ﴿إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾﴾ [لقمان:١٦].

١٣١. تهدي إلى رب نأوي إليه، قد تكفل بكل شيء، لمن يعقل ولمن لا يعقل، لا يعجزه رزق أحد، ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء.

---

(١) جناية المعتزلة على العقل و الشرع، د. خالد كبير علال (٨٩).

(٢)مجموع الفتاوى ١٣٢/٨.

١٣٢. تهدي إلى أن من ضاق رزقه أو مات جوعا، فلينظر ما الذي منع عنه ما تكفل الله به، فإن كان مما لا يعقل فلله الحكمة البالغة من شر يدفعه، أو وزن للحياة يجعله وإن كان ممن يعقل فلينظر في يقينه وحسن ظنه وذوي رحمه، وزكاته وصدقته ولينظر نعمة لم تشكر أو حرمة قد ارتكبت.

١٣٣. تهدي إلى: أن معنى الرزق معنى واسع لا يقتصر على الأموال لأنه قال بعدها ﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا﴾، قال السعدي: فلتطمئن القلوب إلى كفاية من تكفل بأرزاقها، وأحاط علما بذواتها، وصفاتها [(١)].

١٣٤. وتفيد: كذلك التأمل وعظم تسخير الله الكون للإنسان مما يوجب استخلاص الدروس والعبر وكمال الاستفادة مما أنعم الله وتفضل به.

١٣٥. تفيد: إصلاح الله عز وجل لهذا الكون، وعظمة التناسق والتباين الفريدين في الكون، على توزيع البيئات وتنوعها بما يحقق مصالح العباد وفق سنن ونواميس الرب عز وجل.

١٣٦. فيها مفهوم أهمية الحفاظ على البيئة وعدم التعدي عليها بالفساد والإفساد بعد أن أصلحها الله عز وجل؛ والبشر مستخلفين في هذا الشأن والضرر والتعدي وتجاوز الحدود يعود عليهم جزاء وفاقا.

١٣٧. وفيها: الإيمان بالكتاب وما أحصاه من الأعمال وغيرها.

١٣٨. فيها إثبات القدر وأن كل شيء مكتوب في كتاب مبين.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [هود: ٧].

١٣٩. تهدي إلى تاريخ بداية الخلق، ولا يمكن توثيقه إلا بمثل هذه الآية ونظائرها، لأنه غيب لم يشهده مخلوق قال تعالى: ﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ﴾ [الكهف: ٥١].

١٤٠. فيها: أن السموات والارض ومن آيات الله العظيمة الدالة على وجود الخالق سبحانه لذلك تكررت في القران كثيرا ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ

---

(١) تفسير السعدي ١/٣٧٧.

ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٥٧﴾ [غافر:٥٧] وما يزال علماء الفضاء يكتشفون من أسراره العجيبة ما كانوا يجهلونه يوما بعد يوم.

١٤١. في خلق السماوات والأرض وتحديد مدة الأيام ثم الابتلاء لتحديد أحسن الأعمال فيها دعوة إلى اتقان العمل وتفاوت درجات الجزاء بتفاوت حسن الأداء في كل شي، وأن الله يحب من العبد إذا عمل عملا أن يتقنه.

١٤٢. فيها أن العرش مخلوق قبل السماوات والأرض لقوله: ﴿وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ﴾ وهو أول المخلوقات على الصحيح لحديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء"(١).

وقد نقل ابن القيم في النونية اختلاف الناس في أول مخلوق وخلُص إلى أن العرش أولا، وتعقب قول من قال القلم أولا في نظم بديع فهاكه:

واذكر حديث السبق للتقدير والتو	قيت قبل جميع ذي الأعيان
خمسين ألفا من سنين عدها المخـ	ـتار سابقة لذي الأكوان
هذا وعرش الرب فوق الماء من	قبل السنين بمدة وزمان
والناس مختلفون في القلم الذي	كتب القضاء به من الديان
هل كان قبل العرش أو هو بعده	قولان عند أبي العلا الهمداني
والحق أن العرش قبل لأنه	قبل الكتابة كان ذا أركان
وكتابة القلم الشريف تعقبت	إيجاده من غير فصل زمان
لما براه الله قال اكتب كذا	فغدا بأمر الله ذا جريان
فجرى بما هو كائن أبدا إلى	يوم المعاد بقدرة الرحمن (٢)

١٤٣. تهدي إلى: أن الابتلاء كما يكون بالشر يكون بالخير، ومنه قوله تعالى: ﴿وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

---

(١) أخرجه مسلم ٤/٢٠٤٤.

(٢) نونية ابن القيم ١/٦٥.

١٤٤. فيها: الحث على محاسن الأخلاق، والترقي دائماً في مراتب الكمال؛ فعبر (بالحسن) وليس الكثرة ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ فإذا عرف العبد أنه خُلِق لأجلِ أن يُختبَرَ في إحسانِ العملِ كان حريصًا على الحالةِ التي ينجحُ بها في هذا الاختبارِ؛ لأنَّ اختبارَ ربِّ العالمينَ يومَ القيامةِ مَنْ لم ينجَحْ فيه جُرَّ إلى النَّارِ، فعدمُ النجاحِ فيه مهلكةٌ [١].

١٤٥. فيه إشارةٌ إلى أنَّ مِن حِكمةِ خَلقِ الأرضِ صدورَ الأعمالِ الفاضلةِ مِن أشرَفِ المخلوقاتِ فيها، ثمَّ إنَّ ذلك يقتضي الجزاءَ على الأعمالِ؛ إكمالًا لمقتضى الحِكمةِ؛ ولذلك أُعقِبَت بقَولِه تعالى: ﴿وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِن بَعْدِ الْمَوْتِ﴾. [٢]

١٤٦. يفيد: تخصيص المتقين بالذكر – وهم المحسنون في عملهم– للترغيب في حيازة فضلهم، وللتحريض على أحسن المحاسن [٣].

١٤٧. تهدي إلى: كمال القدرة والسلطان لله الواحد القهار، فكان عرشه على الماء، والماء على ما شاء الله محمول من السحاب كما ورد في عدة روايات.

١٤٨. تهدي إلى: أن بيان الحكم والعلل مقدم في كل تصرفات الحكماء أقوالا وأفعالا.

١٤٩. تهدي إلى: أن قاعدة حركة النفس البشرية للإيمان بالغيب هي الإيمان بالبعث بعد الموت، لأنها هي الدافع للإحساس بالمسؤولية، فمن كفر بها كفر خبط في دنياه بكل شيء، لأنه يظن أنه لا تبعة عليه.

١٥٠. تهدي إلى أن عقيدة البعث بعد الموت، إنما استبعدوها، لأنهم لا يرون لها حلا، ولا طبيبا ولا وسيلة للرد في كل الأسباب الدنيوية المادية المنظورة، ولذا كان هذا من أسباب كفرهم. فلا يؤمن بالبعث إلا من آمن بالغيب، فهي قضية مناطها الإيمان.

١٥١. تهدي إلى: جمال وصف الحسن في فطرة العقلاء في كل شيء، فكيف يطلب عاقل الحسن في كل شيء ثم يفرط في حسن عمله، ويشوه وجه صحفه، وهو ملزم بطائره في عنقه، وتنقلب له في قبره شخوصا هي ذاتها عمله الحسن أو السيء.

---

(١)ينظر: نظم الدرر للبقاعي ٩/٢٤٠، والعذب النمير للشنقيطي ٥/٢٠٠. المصدر: التفسير المحرر.

(٢)ينظر: التحرير والتنوير ٨/١٢. المصدر: تفسير المحرر.

(٣)ينظر: البحر المحيط ٦/١٢٦، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل ٣/١٢٨.

١٥٢. فيها: الحث على العمل الصالح، والإسراع فيه، والمداومة عليه.

١٥٣. تفيد: عظمة الله تعالى من خلال التأمل في خلق السماوات والأرض، كما تدل على أزليته وكمال غناه وعلمه وحكمته وقوته وقهره وكبريائه.

١٥٤. فيها: أن الانتقال بالإيمان من آيات الله المشاهدة والمحسوسة (السماوات والأرض) يحمل إلى الإيمان بالغيب (العرش والبعث).

١٥٥. فيها أن مقاصد دعوة الرسل تذكير الناس باليوم الآخر والبعث بعد الموت؛ دل على ذلك التوكيد في الآية الكريمة.

١٥٦. فيها: أن حب الجدل وإيراد الشبهات قد أشربته قلوبهم وذلك لقوله تعالى: ﴿وَلَئِن قُلْتَ﴾ فإنه سيوردوا عليك أيضا اعتراض آخر ﴿لَيَقُولُنَّ﴾ أهل الباطل لا يألون جهدا في الصد عن الحق و بث الشبهات.

١٥٧. فيها: أثبات علم الغيب لله عز وجل لقوله تعالى" ﴿لَيَقُولُنَّ﴾.

١٥٨. فيها إشارة لأهمية الوقت والزمن في العمل والانجاز.

١٥٩. تهدي إلى: صبر جميل صبره رسول الله على زمرة مجرمة، تتعرض به بوصف الشكل والمضمون ساحرا وسحرا، وهو أبعد ما يكون منهما.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ ۗ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [هود: ٨].

١٦٠. تهدي إلى: أنه إذا أخر الله شيئا_ أي شيء_ لا يعني أنه حبسه ومنعه للأبد، فلابد من الأدب مع الله، والصبر الجميل وانتظار الفرج.

١٦١. تفيد: أن الله لا يعجل باستعجال أحد، وأن أمر الله لا يستعجل ولا يستأخر. وأن كل شيء عنده بأجل مسمى؛ قال الله: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ١٤].

١٦٢. فيها سفه الكفار والمشركين وضعف عقولهم حيث يستعجلون العذاب الذي يهلكهم بدل الفرار من أسبابه.

١٦٣. تفيد: أن الجاهل عدو نفسه فإنهم قالوا من جهلهم وظلمهم: ﴿مَا يَحْبِسُهُۥٓ﴾ [١].

١٦٤. تهدي إلى معنى أن من لم يتأدب مع الله ورسوله طوعا، أدبه الله كرها وآتاه بما ليس مصروفا عنه قسرا.

١٦٥. تهدي إلى: أن من اجتمعوا على دين أو خلق أو مذهب معين تجاذبوا دين وأخلاق وعقائد بعضهم، ولذا كانوا أمة، وعلى كل مؤمن ومؤمنة أن يسعى ليكون من خير أمة أخرجت للناس أمرا بالمعروف ونهيا عن المنكر.

١٦٦. تهدي إلى: أن الله يسوق سننا، لا يحابي فيها أحدا، فإن ما عند الله لكل أمة معدود، والأزمنة والأيام دول، والله لا يغالب، والسعيد من وقّر الله ورسوله ونهج نهج الانبياء، ومن سار على الدرب وصل.

١٦٧. تهدي إلى عموم وصف كلمة العذاب، قد تكون بعقوبات الاستئصال، وهذا لا يكون في هذه الأمة التي بعث فيها رسول الله ﷺ لكن قد تكون خسفا أو قذفا أو مسخا أو الطواعين والأمراض التي لم تكن فيما سلف. ولا أمان في هذه الازمان لهذه الأمة إلا بالاستغفار، فإن أمان النبوة قد ذهب.

١٦٨. تهدي إلى الاعتصام بالله دائما، قبل وقوع البلاء وبعد وقوعه، وهو هدي النبي ﷺ في دعائه "وقنا واصرف عنا برحمتك شر ما قضيت" لأن شر القضاء بمعنى ﴿أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ﴾ نعوذ بالله.

١٦٩. تشير إلى: عظيم بأس الله وقوته وجبروته وسلطانه وأن الكل في قبضته، وأنه يؤخر عن محض وكمال القدرة. وفي الحديث: "إن الله ليملي للظالم، حتى إذا أخذه لم يفلته". وهذا بخلاف المخلوق؛ فإنه قد يرغب ويسارع في الانتقام لعدم تفويته لاحقا، أو يستعجل لخفة فيه – مثلا. وقول النبي: "ليس الشديد بالصرعة، ولكن الشديد الذي يمكك نفسه عند الغضب"[٢].

---

(١) تفسير السعدي ١/٣٧٧.

(٢) أخرجه البخاري٨/٤٢، ومسلم ٤/٢٠١٤.

١٧٠. تفيد: أن صاحب القلب الحي، هو: الذي يخاف ويخشى عذاب الله أن يحل به، وأنه لا يغتر بتأخير العقوبة؛ وإلا خسر؛ وتصديقه: ﴿فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِۚ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩].

١٧١. وفيها: جرأة الكافر على الله. ومفهومه: إخبات المؤمن وخشيته من الله. قال عز وجل: ﴿يَسۡتَعۡجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهَاۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مُشۡفِقُونَ مِنۡهَا وَيَعۡلَمُونَ أَنَّهَا ٱلۡحَقُّۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِي ٱلسَّاعَةِ لَفِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٍ﴾ [الشورى: ١٨].

١٧٢. فيها: ورود كلمة ﴿أُمَّةٍ﴾ بمعنى: "وقت – حين – مدة – أمد – أجل – البرهة من الزمن".

١٧٣. فيها: حتمية هلاك الظالمين، وأن هناك موعدا لنزول العذاب بهم لا محالة؛ قال الله: ﴿بَل لَّهُم مَّوۡعِدٞ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوۡئِلٗا﴾ [الكهف: ٥٨].

١٧٤. تسليم المؤمن ويقينه في الله وحكمته في عدم التعجيل بهلاك الظالمين؛ ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعۡمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [إبراهيم: ٤٢].

١٧٥. فيها أن العذاب قد يكون في الدنيا، وقد يكون في الآخرة، وقد يكون في الدنيا والآخرة، ولعذاب الآخرة أشد وأبقى.

١٧٦. فيها: دقة التذييل ومناسبته للسياق؛ لما فيه من درء الإشكال؛ فقد يخرج الكلام للسؤال عن الحكمة – مثلا – أو غيره مما لا يقصد به الجحود والعناد، فأخبر أن كلامهم خرج لمحض الاستهزاء.

١٧٧. فيها: تنديد بآلهتهم، وتوبيخ لعابديها. وقول الله: ﴿إِذِ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسۡحَبُونَ ٧١ فِي ٱلۡحَمِيمِ ثُمَّ فِي ٱلنَّارِ يُسۡجَرُونَ ٧٢ ثُمَّ قِيلَ لَهُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تُشۡرِكُونَ ٧٣ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا بَل لَّمۡ نَكُن نَّدۡعُواْ مِن قَبۡلُ شَيۡـٔٗاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [غافر: ٧١ – ٧٤].

١٧٨. تهدي إلى: ذم المستهزئين بسنن الله، وتطويقهم بطوق هزئهم واستخفافهم، ولتذهب النفس فيما حاق بهم كل مذهب.

١٧٩. فيها: خطر الاستهزاء بالله وآياته، وأنه كفر يوجب العذاب الذي لا يرفع.

١٨٠. فيها أن الاستهزاء بآيات الله تعالى من الصفات الظاهرة المتكررة وستتكرر من المعاندين المكابرين على هذه الأرض حتى يرث الله الأرض ومن عليها. وهي من أسباب نزول العذاب الشديد بهم، وفي ضمن ذلك التحذير من الاستهزاء وبيان خطره فهو من نواقض الإسلام؛ لقوله تعالى: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾ [التوبة: ٦٥].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ﴾ [هود: ٩].

١٨١. فيها: سعة وعظمة ما عنده تعالى، فكل ما يناله العبد منه ما هو إلا (تذوق). مصداقه، قوله عليه السلام: : "جعل الله الرحمة مائة جزء، فأمسك عنده تسعة وتسعين، وأنزل في الأرض جزءًا واحدًا، فمن ذلك الجزء يتراحم الخلائق، حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه"(١).

١٨٢. فيها: دقة الألفاظ القرآنية في التعبير عن الأحوال النفسية؛ ﴿أَذَقْنَا﴾: لأن النفس تميل لتذوق ما تحب، ﴿نَزَعْنَٰهَا﴾: تمسكها بما تحب وكرهها التخلي عنه؛ ﴿لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ﴾: تأثير الوضع النفسي لـ(يؤوس) على انفعالاته: ﴿كَفُورٌ﴾. نعم المولى كلها في حقيقتها: رحمة منه تعالى.

١٨٣. تعريف بحقيقة النفس البشرية، ليمتاز بعد ذلك من استطاع أن يخالفها، وهذا معنى (الجهاد).

١٨٤. تفيد: أن الحياة الدنيا حياة ناقصة قاصرة فهي دنية، مشتقة من الدناءة، فكل ما فيها من نعيم ظاهر ما هو إلا مرحلة (التذوق)، وعليه: لنا تخيل (الرحمة) التي لم يجربها الإنسان بعد.

١٨٥. تفيد: أنه ما من نعمة يمسك الله معها رحمته حتى تنقلب هي بذاتها نقمة. وما من محنة تحفها رحمة الله حتى تكون هي بذاتها نعمة، ينام الإنسان على الشوك مع رحمة الله فإذا هو مهاد. وينام على الحرير –وقد أمسكت عنه فإذا هو شوك القتاد. ويعالج أعسر الأمور برحمة الله فإذا هي هوادة ويسر. ويعالج أيسر الأمور وقد تخلت رحمة الله فإذا هي مشقة وعسر ويخوض بها المخاوف والأخطار فإذا هي أمن وسلام. ويعبر بدونها المناهج والمسالك فإذا هي مهلكة وبوار!.

---

(١) أخرجه البخاري ٨/٨، ومسلم ٢١٠٨/٤.

١٨٦. فيها: أن العطاء والمنع – حقيقة – بيد الله. وقول الله ﴿تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٢٦].

١٨٧. تفيد كثرة صفة الجحود في البشر، لأنه وصف بها الإنسان عموما ثم استثنى؛ والمستثنى أقل من المستثنى منه، كما هو مقرر في علم الأصول.

١٨٨. فيها أن اليأس من رحمة الله تعالى من كبائر الذنوب لربطها بالكفر ﴿لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ﴾ وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

١٨٩. منها: الزهد في المال الحرام.

١٩٠. ومنها: حسن اليقين في الله، وأنه المتفضل بالنعم؛ فيحمل على الشكر وعدم الغرور. كما هو حال قارون ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ [القصص: ٧٨].

١٩١. ومنها: التسليم لله عند فقد النعم؛ لأنه من الله. ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٧٨].

١٩٢. يفهم منها: التحذير من أن يكون المؤمن عبدا للدنيا؛ حتى إذا منع، لم يقنط ويسخط. وفي الحديث: "تعس عبد الدينار، وعبد الدرهم، وعبد الخميصة، إن أعطي رضي، وإن لم يعط سخط، تعس وانتكس"(١).

١٩٣. تشير إلى: عدم فتور المؤمن أو انقطاعه أو استسلامه إذا أصابته جائحة أو مصيبة ما – وهذا من محاسن الإسلام– فأين من ماتوا بسبب خسارة مالية من مثل هذه النصوص؟!؛ قال الله: ﴿يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

١٩٤. تشير إلى: عوض الله لعبده المؤمن الصابر المحتسب؛ بقرينة ما بعدها.

١٩٥. تشير إلى: خسارة الكفار المحضة؛ فالمصائب لا تزيدهم إلا عذابا؛ قال الله: ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ﴾ [الرعد: ٣١]

١٩٦. تفيد: أن النعم وما بين يدي الناس جميعا، صورة من صور رحمة الله.

---

(١) أخرجه البخاري ٤/٣٤.

١٩٧. فيها بيان حال الكافر، وأنه يحصل له يأس وقنوط من الخير بالنسبة إلى المستقبل، وكفر وجحود لماضي الحال، كأنه لم ير خيرا، ولم يرج بعد ذلك فرجا"[(١)]. فإنه يستلم لليأس وينقاد للقنوط [(٢)].

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾ [هود: ١٠].

١٩٨. تفيد: هذه الآية والآيات قبلها وتؤصل للسنن الربانية التي تجري على النفس البشرية والمجتمعات فما أن توجد مقدمتها إلا وتحصل نتائجها.

١٩٩. تفيد: سنة التداول وأن على المؤمن أن يوطن نفسه لذلك.

٢٠٠. تفيد: إن بعد العسر يسرا.

٢٠١. تفيد: أن شكر الله أوجب وأظهر حال النعماء والسرّاء بعد الضرّاء ﴿نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ﴾.

٢٠٢. فيها: تخصيص النعماء والضراء في الآية، وهما اللتان يظهر أثرهما على صاحبهما، بعكس النعمة والضر اللتان لا يشترط فيهما ظهور أثرهما على صاحبهما.

٢٠٣. فيها: أن العبرة بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب. فقد قيل أن الآية نزلت في الوليد بن المغيرة، لكنها عامة في كل إنسان.

٢٠٤. فيها: جحود الكافر لأنعم الله عليه، فقد قال ﴿لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي﴾ ولم يقل (أذهب الله السيئات عني)، وكأن الفرح بالنعمة أذهلته عن المنعم وإن السلوك الذي يسلكه العبد المتواضع هو نسبة الفضل لأهله؛ كما قال تعالى عن صاحب موسى ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾ (الكهف: ٨٢)على خلاف الفاسق المتكبر، الذي ينسب الفضل لنفسه؛ كما قال تعالى على لسان قارون ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾ [القصص:٧٨].

٢٠٥. تهدي إلى مقت وذم الجرأة على الله، والاغترار بالظاهر عن العواقب.

---

(١) تفسير ابن كثير ٤/٣٠٩.

(٢) تفسير السعدي ١/٣٧٨.

٢٠٦. تهدي إلى: معنى التقابل في الصفات، فما أجمل العطاء بعد المنع في النفس البشرية وهذا لا لوم فيه في الفطر، إنما اللوم على البطر فما أقبح البطر والنسيان بعد الشبع والنعمة والعافية، والفرح إنما ذم هنا لأجل أنه هو الذي قاد للبطر.

٢٠٧. تهدي إلى مكامن الذم في صفات الذين يعلمون ظاهرة من الحياة الدنيا النعماء مقترنة بالفرح والفخر، فلا شكر عندهم، والضراء مقترنة بما يسوؤهم وينغص عيشهم، فلا صبر عندهم.

٢٠٨. تهدي إلى: ضعف عقل الكافر وخفة تفكيره.

٢٠٩. تفيد: شكر النعم خصوصا بعد زوال الضراء فكلها (حصول النعماء وزوال الضراء) من الله عز وجل.

٢١٠. فيها التأدب مع الله جل وعلا في عدم نسبة الضراء إليه ولذلك قال: ﴿ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ﴾ وهذا كقول الجن: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن: ١٠].

٢١١. فيها أن السيئات تأتي بمعنى المصائب والبلايا كما في هذه الآية الكريمة، ولشيخ الإسلام ابن تيمية كتاب قيم اسمه (الحسنات والسيئات) تناول هذه المعاني ودلالاتها.

٢١٢. فيها النهي عن الفرح المذموم وهو فرح الاشر والبطر إن الله لا يحب الفرحين.

٢١٣. فيها النهي عن الجمع بين الشرين الفرح والفخر ولا تمش في الأرض مرحا إن الله لا يحب كل مختال فخور.

٢١٤. فيها: أن النعم من الله، وأنه وحده الذي يكشف الضر؛ كما قال: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾ [يونس: ١٠٧].

٢١٥. منها: وجوب رد الفضل إلى الله والاعتراف بذلك؛ فلا ينسب الغنى لنفسه أو اجتهاده أو علمه – مثلا –؛ قال الله: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣].

وقال – على لسان سليمان: ﴿هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ [النمل: ٤٠].

وفي الحديث – على لسان الأعمى: "قد كنت أعمىً فرد الله على بصري، وفقيراً فقد أغناني"(١).

(١) أخرجه البخاري ٤/١٧١، ومسلم ٤/٢٢٧٥.

٢١٦. تشير إلى: ظلم الإنسان وجحوده وبغيه مع الله ومع الناس؛ وأما مع الله فظاهر. وأما مع الناس: فيتباهى ويتعالى، مع أنه كان فقيرا معدما – ينسى أصله وفصله. وخير من ذلك: ما جاء في الحديث في قصة الثلاثة (الأبرص والأقرع والأعمى)، قال الأول والثاني: "إنما ورثت هذا المال كابرا عن كابر"[(١)]؛ قالا ذلك ظلما وزورا؛ لأنهما كانا معدومين أصلا.

٢١٧. تفيد: أن ما في القلب يظهره اللسان فلو كان القلب ممتنا لله معترفا بنعمه لظهر ذلك على اللسان بأسلوب المخالفة.

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ﴾ [هود: ١١].

٢١٨. يفيد أهميته الصبر، ولهذا جاء ذكره منفرداً مع دخوله في الصالحات؛ للدلالة على ذلك؛ ومن أنواع الصبر: الصبر على طاعة الله، لأن الطاعات تحتاج إلى صبر، وقدم الصبر على عمل الصالحات لأن عمل الصالحات يحتاج إلى صبر.

٢١٩. فيها: تحذير المسلم من الوقوع في صفات الكفار، يدل على ذلك مقابلة صفة الصبر في الآية بصفة اليأس في الآيات السابقة، قال تعالى ﴿لَيَـُٔوسٞ كَفُورٞ﴾

٢٢٠. تهدي إلى أن من لم يجد له حلا ومخرجا وطريقا إلى الصبر، فليس له حل ومخرج وطريق إلا الصبر، فمن لم يصبر اختيارا صبر اضطرار، فلذا كان الصبر بوابة عمل الصالحات.

٢٢١. فيها: الحث على الصبر، وهو من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ودل التعبير بالماضي ﴿صَبَرُواْ﴾ على قوة اتصافهم بهذه الصفة الجليلة.

٢٢٢. يفيد: حذف معمول الصبر يفيد العموم فقد صبروا على المكاره وعلى فعل الطاعات وعلى ترك المحرمات.

٢٢٣. فيها: اصطحاب العمل الصالح أثناء الصبر؛ قولا وفعلا. وهذا أمر مهم ودقيق؛ فالبعض يصبر – ظاهرا –، ولكن يقول هجرا وما لا ينبغي. وقول الله: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨٦﴾ [يوسف ٨٦]، وقول النبي: "إنما الصبر عند الصدمة الأولى"؛ قاله للمرأة التي قالت: إليك عني، فإنك لم تصب بمصيبتي"[(٢)].

---

(١) نفس المرجعين والجزء والصفحة.

(٢) أخرجه البخاري٢/٧٩، ومسلم ٢/٦٣٧.

٢٢٤. تشير إلى: احتساب ما نزل من ضر، وما رفع أو فات من خير.

٢٢٥. فيها: فضل الإيمان، وأن قضاء الله كله خير للمؤمن؛ وهذا خصيصة للمؤمنين؛ وتصديقه: "عجبا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له"(١).

٢٢٦. تفيد: أن العمل الصالح، يصدق الصبر ويعين عليه. وقول الله: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْمَرْحَمَةِ﴾ [البلد: ١٧].

٢٢٧. تفيد: رفعة درجتهم وسمو مكانتهم ولذلك أشار إليهم بإشارة البعيد ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾.

٢٢٨. يفيد تنكير الأجر وتنوينه ووصفه بالكبير أنه أجر عظيم لا يعلم قدره إلا الله سبحانه وتعالى.

٢٢٩. تهدي إلى أنه لا عاصم من أمر الله إلا من رحم، فمن استثنى الله هم من رحم، وإنما نسب إليهم العمل بالصبر وعمل الصالحات تسببا للمغفرة، في العاجل والاجل، لا عوضا عن الاجر الكبير (الجنة) في الآخرة، ولذا عبر باللام ﴿لَهُم﴾وأعلى مكانتهم بـ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾.

٢٣٠. تهدي إلى: أن المغفرة، ستر الجليل لعبده، وهي أنجى ما يكتنزه ويحصله العبد، فيغطيه ويستر عيبته، في عاجله وآجله، ولذا كانت وعدا من الله، يحبه المؤمنون ويرغبون فيه، فإن كل مؤمن يحب الستر والغفر حسيا ومعنويا، ويكره الفضيحة والعيب حسيا ومعنويا.

٢٣١. تهدي إلى: أن الجنة هي الأجر الكبير، فهي مقصودة في الوعد الكريم، ولذا هي غايات نهايات الفرح الكبير، وإحلال الجوائز، ونيل المنى، وانتهاء مدة الدنيا، ولذا قال عنها﴿وَأَجْرٌ﴾ فالحصول على الأجور محبب إلى النفس البشرية كحب وتشوف العطايا والرواتب نهايات المدد.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ ۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ﴾ [هود: ١٢].

٢٣٢. تفيد: حسن الخطاب الرباني التربوي للنبي صلى الله عليه وسلم، وفي أسلوبه أسوة لنا في التعليم والتربية: ف ﴿فَلَعَلَّكَ﴾ رغم أنه تعالى أدرى بما في نفس النبي عليه السلام إلتمس له العذر

---

(١) أخرجه مسلم ٤/٢٢٩٥.

بالنتيجة ﴿وَضَآيِقٌۢ بِهِۦ صَدۡرُكَ﴾إلتماس العذر بالأسباب ﴿أَن يَقُولُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌۚ﴾ تلقينه الحجة ﴿إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٞۚ﴾ وأخيراً تطمينه بأن ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٌ﴾.

٢٣٣. دلت الآية على أن التقييم عند المشركين قد تركز في المال؛ لذا تمنوا لو أن هذا القرآن نزل على واحد من الأثرياء، مصداقاً لقوله تعالى ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١].

٢٣٤. فيها: إن النبي ﷺ من أفسح الناس صدراً؛ لذا عبر بقوله ﴿وَضَآيِقٌ﴾أي ضيقاً عابراً، بدل (ضيق) التي معناها الوصف الدائم بالضيق. (١)

٢٣٥. تهدي إلى رحمة رسول الله ﷺ بهؤلاء القوم المجرمين، لأن (لعل تارك، وضائق)، ليست هي تعللات تضييع الأمانة، حاشا وكلا، ولكنها ربما في نظر تقدير مصالح وتقديم بعض وتأخير بعض في بعض الامور، حرصا على هداهم من النبي صلى الله عليه وسلم، فهذا بنظر نفسه الرحيمة وشفقته العميمة، وهو يفعل كل ما استطاع في ذات الله، ومع ذلك نهاه الله عن ذلك البعض.

٢٣٦. فيها أنه ينبغي على الداعية أن تكون أمور التوحيد والولاء والبراء وغيرها خطا أحمر مهما ضاقت صدور الناس بها فلا يضق هو ولا يؤخر الحديث عنها.

٢٣٧. تهدي إلى: نظرات وكلمات التحطيم التي قد يواجهها الدعاة من المجرمين: أين المال، لا مال معه ﴿لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ كَنزٌ﴾ واين العضيد الذي يشد كلامه ﴿أَوۡ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌۚ﴾ فلابد من الصبر، فالمسؤولية إنذار فحسب، والله هو الذي توكل بوقوع الهداية، وبعث الدلائل، وايقاع البراهين الخارجة عن القدرة في الجدل والدعوة.

٢٣٨. تفيد: أنه لا يجوز التنازل عن أي شيء من الدين عند الدعوة إلى الله. وقول الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾ [البقرة: ٢٠٨].

---

(١)ينظر: لمسات بيانية.أ. د فاضل السامرائي.؟؟؟ لم أقف عليه.

٢٣٩. تشير إلى: الاستمرار في الدعوة إلى الله وتبليغ الدين مهما سمع من الناس وقيل عنه. وقول الله: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٩٤﴾ [الحجر: ٩٤].

٢٤٠. تشير إلى: الأمانة في التبليغ؛ لقوله ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ﴾ وكيل على المبلغ والسامع.

٢٤١. فيها: بيان وتذكير بمهمته – ﷺ –؛ وفيه ذكرى للداعي إلى الله؛ لقوله: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٞۚ﴾ ولست مطالب بغير ذلك مهما طلبوا منك؛ وتصديقه: ﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا ٩٠ أَوۡ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٞ مِّن نَّخِيلٖ وَعِنَبٖ فَتُفَجِّرَ ٱلۡأَنۡهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفۡجِيرًا ٩١ أَوۡ تُسۡقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمۡتَ عَلَيۡنَا كِسَفًا أَوۡ تَأۡتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ٩٢ أَوۡ يَكُونَ لَكَ بَيۡتٞ مِّن زُخۡرُفٍ أَوۡ تَرۡقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤۡمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيۡنَا كِتَٰبٗا نَّقۡرَؤُهُۥۗ﴾ [الإسراء: ٩٠ – ٩٣].

فأمره أن يرد ويقول: ﴿أَوۡ قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا﴾ [الإسراء: ٩٣].

٢٤٢. فيها أن المشركين يعرفون الملائكة بل فيهم من عبدهم، وفي هذا رد على من يظن أن الشرك والكفر هو إنكار وجود الله سبحانه وتعالى.

٢٤٣. فيها أهمية انشراح الصدر للداعية ولذلك امتن الله تعالى به على نبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ﴾ [الشرح: ١] ودعا به موسى عليه السلام في أول ما كلف بالدعوة ﴿قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي﴾ [طه: ٢٥].

٢٤٤. فيها أن الأنبياء تعرض لهم عوارض البشرية من ضيق الصدر ونحوه وفي هذا نهي عن الغلو فيهم ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ﴾ [الكهف: ١١٠].

٢٤٥. تفيد: استمرار الكفار في الأقوال الباطلة والحرب الإعلامية الكلامية، وهي من وسائلهم المتوارثة في الصد عن سبيل الله عز وجل وتثبيط الدعاة؛ دل على ذلك الفعل المضارع في قوله: ﴿يَقُولُواْ﴾ فإنه يدل على الاستمرار والتجدد وهذا مما نراه في الواقع القديم والحديث.

٢٤٦. ذكر النذارة فقط دون البشارة في هذه الآية الكريمة يفيد تخويف المعاندين والمعرضين لأنه ذكر في سياق اعتراضاتهم الفاسدة.

٢٤٧. تفيد: الآية أن مسؤوليتك تقف عند الدلالة والإرشاد والبيان ﴿إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٞۚ﴾ يخفف كثيراً من الضغوطات النفسية الممارسة عليك من محيطك الخارجي. فأسع بجد لاكتشاف شخصيتك وتحديد أهدافك.

قَالَ تَعَالَى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [هود: ١٣].

٢٤٨. مناسبة في أعجاز القرآن الكريم أن من الإعجاز وتناسق سوره وآياته، فقد جاءت هذه الآية تتحدى الكفار أن يأتوا بعشر سور، فمن عجيب التناسب العددي أن ما قبل هذه السورة هي عشر سور.

٢٤٩. تشير إلى ابتلاء الرسل بتكذيب قومهم لهم ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ وطريقة الرد عليهم بإيجاد الحجة و البيان العملي و التحدي ﴿أَمْ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾

٢٥٠. تفيد أسلوب من أساليب المناظرة، وهو الرد على الخصم من فحوى كلامه ﴿مُفْتَرَيَٰتٍ﴾.

٢٥١. فيها: تلقين وتعليم من الله لنبيه عليه الصلاة والسلام نصرة له ودفاعا عنه وعن رسالته بـ ﴿قُلْ﴾ حتى حججك التي تقابل بها خصومك خذها من الله.

٢٥٢. البرهنة دليل الصدق، ولذلك دعاهم للإتيان بالبرهان.

٢٥٣. تهدي إلى أن التقول على القرآن من المجرمين سيكون في كل زمان، لأنه قال ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ مع انهم قد قالوه، فكأنه يعرض بغيرهم ممن بعدهم، وفي هذا فائدة المعرفة الاستباقية لعقلية أقوام ستأتي، هي أضعف ممن سبق فصاحة وعربية، ومع ذلك يقولون القرآن مفترى كبعض المستشرقين.

٢٥٤. تهدي إلى: أنه لا أقوى من الحجة في بيان الحجة أردع ولا أفخم من أن تكون من ذات الجنس﴿مِّثْلِهِۦ﴾ فكل من ناظرته فرد عليه، بلسان ومنطق ومادة ذات حجته، لتختصر الطريق وتبهته من بابه الذي دخل منه ما استطعت إلى ذلك سبيلا.

٢٥٥. تهدي إلى: أسلوب التنزل الجدلي مع الخصم ﴿مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ﴾وهو يعلم يقينا أن القرآن حق غير مفترى، ولكنه قال ذلك تنزلا في الخطاب، وفيه تعريض بهم بالقول الذي ادعوه بأن القرآن مفترى يلزمهم عقلا أن أرادوا إثباته بمفترى، وهذا غاية الإزراء بهم وبعقولهم، وإنما الصادق من أثبت دعواه بغير مفترى، لا من رد مفترى بمفترى.

٢٥٦. تهدي إلى: أنه يجب على الأمة أن تكون قوية بالحجة، وأن لا تستسلم للتحديات، وأن يكون العز، والثقة بالله شعارها ﴿وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾.

٢٥٧. تهدي إلى: أن العشرة عدد مقصود، وهي كمال في باب العدد شكلا ومضمونا وكل ما بعدها كسر، وعطف لما قبلها حتى منتهاها، وهي أول العقود.

٢٥٨. تفيد: أن أقوال المشركين كانت قائمة على دعاوي ليس من ورائها دليل أو برهان.

٢٥٩. تفيد: منزلة ومكانة القرآن الكريم حيث تولى الله تعالى الدفاع عنه.

٢٦٠. تفيد: أن أي دعاوى لا تسند على أدلة وبراهين فأصحابها أدعياء كذبة.

٢٦١. تفيد: منزلة الصدق وأهميته في الحياة والتدين.

٢٦٢. تفيد: أن التحدي بالقرآن الكريم يشمل جميع الخلق من جن وأنس وملائكة ﴿وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾.

٢٦٣. تفيد: أثبات كمال الربوبية لله تعالى ومستلزم للألوهية له جل وعلا وحده دون سواه.

٢٦٤. تفيد: أهمية الصبر في الدعوة وعدم الالتفات لما يقوله أعداء الإسلام في الداعية ودعوته.

٢٦٥. تفيد: أن القرآن كلام الله تعالى لا يستطيع أحد أن يفتريه من دونه.

٢٦٦. تفيد: أهم أسلوب التحدي وتعجيز خصوم الدعوة وكشف عجزهم وباطلهم.

٢٦٧. تفيد: رعاية الله تعالى وتسديده وتثبيته لرسوله وكل من يقوم مقامه في الناس.

٢٦٨. تفيد: أن القرآن من بداية نزوله كان مقسما إلى سور.

٢٦٩. تفيد: الحث على الصدق والاتصاف بصفات الصادقين.

٢٧٠. تفيد: أن هذه الشبهات والافتراءات حول القرآن الكريم مستمرة متجددة دل على ذلك الفعل المضارع ﴿يَقُولُونَ﴾وفي ضمن ذلك توجيه لصد هذه الشبهات والدفاع عن القرآن الكريم بالتحدي الذي يكسر حجج الخصوم ويرد باطلهم.

٢٧١. تفيد: صدق النبي عليه السلام وكذب أعداء الملة.

٢٧٢. فيها بيان لشدة أذيتهم للنبي عليه السلام فبينت افتراؤهم عليه بأنه افتراء، والاستفهام للتقريع والتوبيخ والضمير المستتر للنبي صلى الله عليه وآله وسلم والبارز لما يوحى.

٢٧٣. فيها إشارة إلى أن سورة هود نزلت قبل سورة يونس وإن جاءت بعدها في الترتيب، فهو قد تحداهم هنا بعشر فَلَمّا عَجزُوا تَحَدّاهم ﴿بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ﴾ [يونس: ٣٨]، لأنه لا يَجُوزُ العَكْسُ إذْ لا مَعْنى لِلتَّحَدِّي بِعَشْرٍ لِمَن عَجَزَ عَنِ التَّحَدِّي بِواحِدَةٍ، وللعلماء في ذلك خلاف وتأويلات والله اعلم

٢٧٤. في تخصيص سورة هود بالتحدي بعشر سورة بخلاف التحدي بما دون العشر أو بأكثر منها توسعة عليهم وفسح للمجال أمامهم في التحدي؛ فلو كان أكثر من العشر لربما عللوا عجزهم بالإطناب الممل، ولو كان أقل لربما عللوا عجزهم أيضا بأن القلة هي التي حالت بينهم وبين التصرف في صنوف البلاغة والتنقل بين أضرب الفصاحة.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [هود: ١٤].

٢٧٥. تهدي إلى: أن القرآن حمال للوجوه، فهذه الآية مفصلة المعاني، ورادة للضمائر بما يحتمل الوجوه، وهذا من علم الله الذي أنزل به القرآن.

٢٧٦. تهدي إلى: قمة جلال القرآن ونفاسة المطلوب، وعجز الطالب والمطلوب، عابدين ومعبودين، عن التعرض لجناب القرآن، بما يعارضه أو يعرض به.

٢٧٧. تهدي إلى: أن القرآن أنزل بعلم الله وبأمره وإذنه، فله كيفية للنزول في السماء مهيبة وردت في عدة روايات، وهي غيب حتى يكون جبريل عليه السلام هو الذي يؤديه من غيبه إلى شهادته، بكيفية معينة نزولا على قلبه الشريف صلى الله عليه وسلم. كما أن الله أنزل القرآن مشتملا على علم لله ففيه أمره ونهيه وجنته وناره وسائر غيوبه، وجميع ما اشتمل عليه.

٢٧٨. تهدي إلى: أن الله يخص من شاء لما شاء، ويعم ما شاء لكل من شاء، فهو تحدى فئة مجرمة، وطلب الإسلام من الجميع ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ فإن كانوا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، فغيرهم من باب أولى.

٢٧٩. تهدي إلى: أن علم نزول القرآن، أجل علوم القرآن قاطبة وهو أصلها، لأنه قرنه بعلم الله، وإليه كانت النسبة في إثبات العجز، وطلب الاستسلام.

٢٨٠. يفهم منها: أن الإيمان، يدخل في الإسلام عند الإطلاق؛ فيكون فالإسلام أعم من كونه يقتصر على الأعمال الظاهرة فحسب.

٢٨١. يفهم منها: أن المرء، عليه بخاصة نفسه إذا بذل ما يجب عليه ثم أعرض عنه الناس ولم يستجيبوا. ولعل هذا يوضح معنى قوله: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ۚ﴾ المائدة: ١٠٥، فعليه بنفسه إذا بذل ما يجب عليه من أمر بالمعروف ونهي عن المنكر؛ بقرينة ﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾ دليل أنهم دعوهم إلى الله أولا. ثم قال: ﴿فَاعْلَمُوا﴾ أنتم ولا عليكم منهم.

٢٨٢. تفيد: أن أوامر الله ونواهيه، صالحة لكل زمان ومكان؛ لأنها بعلم الله أُنزلت.

٢٨٣. تفيد: أنه لا ينزل الملك على نبي إلا بإذن الله. ففيه: أن مطلق الأمر له – جل ذكره – ؛ وتصديقه: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ﴾ [مريم: ٦٤].

٢٨٤. تفيد: أن العقيدة الإسلامية، تبنى على العلم اليقيني.

٢٨٥. تفيد: أن التوحيد، من أول مقاصد القرآن.

٢٨٦. فيها عناد الكفار والمشركين وقلة استجابتهم مع ظهور الأدلة والبراهين دل على ذلك قوله: ﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾ فاستعمل إن التي تدل على القلة.

تفيد: الأمر بالعلم والتعلم ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾

٢٨٧. تفيد: فيها دلالة على علم الله بالغيوب الآتية وما يكون من استجابة طائفة منهم، بدلالة "إن "لأن" إذا" التي تستعمل في المعاني المحققة تفيد: القطع بعدم استجابتهم وهذا غير مراد والله أعلم بمعاني كتابه.

٢٨٨. تفيد: صفه العلو لله ﴿أُنزِلَ﴾ [هود: ١٤].

٢٨٩. تفيد: أن كمال الإيمان بتجريد التوحيد لله تعالى.

٢٩٠. تفيد: الحث والترغيب في الإسلام والانتظام في سبيل المسلمين.

٢٩١. تفيد: تشريف القران وتعظيمه والترغيب في العناية به وتعلمه وتعليمه ﴿أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ﴾ [هود: ١٤].

٢٩٢. تفيد: مكانة ومنزلة القرآن المشتمل على علم الله الذي كله كمال وحكمة.

٢٩٣. تفيد: أهمية ومنزلة ومكانة الاستجابة لله والرسول.

٢٩٤. تفيد: أن من أعظم ما تتحقق به الاستجابة لله والاستسلام له هذا القرآن العظيم تعلما وتعليما وعملًا به ودعوه اليه

٢٩٥. فيها أن العلم بالتوحيد هو أعظم العلم لأنه علم بالله عز وجل وما يستحقه من العبادة. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ [هود: ١٥].

٢٩٦. فيها من المناسبة: لما حث سبحانه على الثبات على دينه وعدم التقاعس أشار هنا إلى عقوبة الاعراض عن دينه.

٢٩٧. وفيها: بيان إعجاز القرآن بالإخبار عن تمسكهم بالدنيا وزينتها.

٢٩٨. وفيها: أن النية أساس للعمل. فمن عمل للدنيا يؤتى من الدنيا ومن عمل للآخرة يؤتى منها..

٢٩٩. فيها: الأعمال الصالحة تنفع صاحبها في الدنيا قبل الآخرة.

٣٠٠. وفيها: من عمل للدنيا دون الآخرة ليس له نصيب في الآخرة.

٣٠١. وفيها: من موانع اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم الانشغال بالدنيا وزينتها.

٣٠٢. تفيد: أن كل من أراد بعمله الحياة الدنيا وزخرفها، فهذه نتيجة العمل والنية الفاسدة، ليس له في الآخرة إلا النار؛ كما في الآية التي بعدها، والعقل يقتضي ذلك إذ كيف يجعل عمل الآخرة وسيلة إلى الدنيا، وكان الواجب أن يجعل الأدنى وسيلة للأعلى لا العكس.

٣٠٣. فيها أن العبد قد يعجل له أجره في الدنيا بسبب فساد نيته.

٣٠٤. فيها كمال عدل الله ﴿لَا يُبْخَسُونَ﴾

٣٠٥. اثبات الإرادة الكاملة للإنسان والحرية في الاختيار﴿يُرِيدُ﴾ وتدل على إثبات تكليف الإنسان ومؤاخذته ومحاسبته على العمل ﴿أَعْمَٰلَهُمْ﴾.

٣٠٦. تزهيد العباد في الدنيا وترغيبهم في العمل للآخرة.

٣٠٧. تهدي إلى: ميزان الله الذي لا يختل، في وزن إرادة العبد ونيته بعمله الظاهر والباطن، وهو ميزان حق وعدل، لا يعتريه بخس ولا نقص، والله لا يخفى عليه ظاهر ولا باطن.

٣٠٨. تهدي إلى: وجوب الحذر من الدنيا وزينتها.

٣٠٩. تهدي إلى: آيات التربية القرآنية، وهي التي إذا سمعها العبد أو قرأها كأنها تقول له انظر لحالك، وتدبر في خاصة نفسك، واتق الله، لا تنظر لغيرك.

٣١٠. وفيه تنبيه المسلمين بأن لا يغتروا بظاهر حسن حال الكافرين في الدنيا، وأن لا يحسبوا أيضاً أنّ الكفر يوجب تعجيل العذاب فأُوقظوا من هذا التوهم، كما قال تعالى: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝١٩٦ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ [آل عمران: ١٩٦ – ١٩٧].

٣١١. هذا شأنه تعالى مع من خالف وأعرض: ﴿نُوَفِّ﴾ ﴿لَا يُبْخَسُونَ﴾. فكيف مع من آمن وصدق.

٣١٢. في الشرط قصر على إرادة الحياة الدنيا دون الآخرة، وإلا فالمؤمن قد يطلب خير الاثنين.

٣١٣. : لا يخرج كافر من الدنيا إلا وقد نال أجر أي فعل خير قام به بطريقة ما مهما دق وصغر.

٣١٤. أهمية وضع الأهداف والسعي لتحقيقها، والنجاح في الحياة الدنيا أو الآخرة يحتاج للعمل نحو هدف محدد.

٣١٥. فيها: الإرادة والمثابرة والعزيمة لتحقيق المكاسب.

٣١٦. الأهداف الدنيوية محدودة وسطحية وزائلة ولا تعدو كونها زينة.

٣١٧. فيها: هوان الدنيا على الله. وفي الحديث: "لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء". قال ابن القيم رحمه الله في النونية:

لـو سـاوت الـدنيا جنـاح بعوضـة ... لم يسـق منهـا الـرب ذا الكفـران

لكنهـــا والله أحقـــر عنـــده ... ذا الجنـــاح القاصـــر الطـــيران

٣١٨. فيها خطورة الدنيا وزينتها وأنها سبب عظيم للفتنة؛ ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ﴾.

قَالَ تَعَالَى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٦].

٣١٩. فيها: من المناسبة أنه: لما بين سبحانه حال من يريد الدنيا. بين هنا حالهم في الآخرة.

٣٢٠. فيها أن العمل من أجل الدنيا خسارة عظيمة وعاقبته وخيمة.

٣٢١. يفيد: الحصر بأسلوب النفي والاستثناء. أن في عذاب النار الكفاية التامة وأن عذابها الأعظم على الإطلاق وأنه لا يطاق.

٣٢٢. تفيد: الحث على تجنب محبطات الأعمال وعلى رأسها الشرك.

٣٢٣. فيها أن الدنيا دار العمل والاخرة دار الجزاء ﴿مَاصَنَعُواْفِيهَا﴾ فلا صناعة للعمل في غيرها.

٣٢٤. العمل المخالف لمقاييس الشرع هو عمل باطل مردود لا يقبل من صاحبه.

٣٢٥. وفيها: العمل للدنيا ونسيان العمل للآخرة خسران مبين.

٣٢٦. وفيها: العمل بلا إخلاص واتباع هباء منثورا.

٣٢٧. وفيها: العمل لغير الله ولو كان خيرا لا ينفع عند الله.

٣٢٨. وجوب الايمان بوجود الجنة والنار وأنهما غيبيتان وأنهما جزاء العاملين في الآخرة. وجوب الايمان باليوم الآخر.

٣٢٩. فيها إشارة إلى حالهم في الحرص الشديد على الدنيا وشهواتها؛ تناسبا مع حال الدابة في إفراطه في الأكل حتى هلاكه.

٣٣٠. تهدي إلى: نهاية خواتم السوء والخذلان والخسارة: النار.

٣٣١. تهدي إلى: أن الآخرة كما هي ألم لبعض الناس، فهي أمل لمن آمن بها، وعمل لها.

٣٣٢. تفيد: أن الكافرين لا خلاق لهم قط في الآخرة، وأن ما كان لغير الله لا ينفع. قال الله: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣].

٣٣٣. يفهم منها: الحذر وعدم الاشتغال بما لا يعود بالنفع يوم القيامة.

٣٣٤. تفيد:وبضميمة ما قبلها: أن الله لا يظلم الناس شيئا؛ بل هم الذين يظلمون أنفسهم بإيثارهم الفاني وتفويتهم الباقي؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴿٤٤﴾﴾ [يونس: ٤٤].

٣٣٥. تفيد: أن ما كان لله دام واتصل، وما كان لغير الله انقطع وانفصل.

٣٣٦. تفيد: أن الجزاء من جنس العمل؛ فلأنهم عاشوا وانقطعوا للدنيا فحسب، حرمهم الآخرة، قال الألوسي: "لِأَنَّ هِمَمَهم كانَتْ مَصْرُوفَةً إلى اقْتِناصِ الدُّنْيا وأعْمالُهم كانَتْ مَمْدُودَةً ومَقْصُورَةً عَلى تَحْصِيلِها."(١)

٣٣٧. فيها: أن الله لا يقبل جميع أعمالهم مهما استمرت وتجددت وكثرت وعم نفعها؛ لأنها لم تكن له سبحانه؛ بدليل المضارعة في قوله: ﴿وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾.

٣٣٨. ومنها: إظهار الفرق بين الإيمان والكفر؛ فشتان بين المؤمن والكافر وإن اشتركا في أصل أعمال البر. وعن عائشة قلت: يا رسول الله، ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم، ويطعم المسكين، فهل ذاك نافعه؟ قال: "لا ينفعه، إنه لم يقل يوما: رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين"(٢).

٣٣٩. فيها إثبات الآخرة والنار والحساب على الأعمال.

٣٤٠. تفيد: الحرص على النجاة في الآخرة بالزهد في الدنيا وإخلاص العمل.

٣٤١. فيها التحذير من محبطات العمل وأعظمها الشرك ﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٦٥﴾ [الزمر: ٦٥].

قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتۡلُوهُ شَاهِدٞ مِّنۡهُ وَمِن قَبۡلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامٗا وَرَحۡمَةٗۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ مِنَ ٱلۡأَحۡزَابِ فَٱلنَّارُ مَوۡعِدُهُۥۚ فَلَا تَكُ فِي مِرۡيَةٖ مِّنۡهُۚ إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [هود: ١٧].

٣٤٢. تفيد: مناسبة ظاهرة لما قبلها فبعد أن ذكرت الآيتان السابقتان حال من جهل حكمة الله تعالى في إيجاد المخلوقات فأراد الحياة الدنيا، وآثر العاجلة الفانية على الآخرة الباقية، فلم يؤمن ولم يعمل لتلك الدار الآخرة، ذكرت هذه الآية الكريمة حال من كان على بينة وهدى من ربه فآمن في هذه الدنيا بكل ما جاء عن الله تعالى وابتغى بإيمانه وأعماله الصالحة وجه الله تعالى والدار الآخرة، كما قال تعالى ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤۡمِنٗا كَمَن كَانَ فَاسِقٗاۚ لَّا يَسۡتَوُۥنَ﴾ [السجدة: ١٨].

٣٤٣. تهدي إلى طمأنينة وقوة حجة البينة في دين رسول الله صلى الله عليه وسلم، وصحة وصدق نطق الشاهد، بلسانه العربي، ومبلغه جبريل أمين الوحي. ومتى وجدت البينة، ونطق

---

(١) روح المعاني ٦/٢٢٦.

(٢) أخرجه مسلم: ١/١٩٦.

الشاهد بصدقها، سطع وجه الحق بغير تأويل ولا تكلف، نور على نور، يهدي الله لنوره من يشاء.

٣٤٤. تهدي إلى: وجوب النظر وتدبر الكلام فإن فيه مفهوما محذوفا، ماذا؟ أي كمن هو بضده، يتخبط في الضلالة والحياة الدنيا وزينتها بلا بينة، ولا شهود. ليسوا سواء. ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [هود: ١٧].

٣٤٥. تهدي إلى: النظر في موافقة السنة للقرآن، ولسان النبي ﷺ العربي وسننه المصدقة للكتاب: (عن سعيد بن جبير قال: كنت لا أسمع بحديث عن رسول الله ﷺ على وَجهه، إلا وجدت مصداقه، أو قال تصديقه، في القرآن، فبلغني أن رسول الله ﷺ قال: " لا يسمع بي أحدٌ من هذه الأمة، ولا يهودي ولا نصراني، ثم لا يؤمن بما أرسلت به إلا دخل النار "، فجعلت أقول: أين مصداقُها؟ حتى أتيت على هذه: أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ، إلى قوله﴿فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ﴾، قال: فالأحزاب، الملل كلها"(١).

٣٤٦. تهدي إلى: تزكية القرن الأول تبعا لتزكية الإمام والبينة والشهود، فالصحابة شهدوا أيضا نزول القرآن ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ وكل من بعدهم على حسبه لحقته تزكية الايمان، وثبت التعريض بمن كفر.

٣٤٧. تهدي إلى: معنى الوعيد في الوعد الأخروي ﴿فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ﴾

٣٤٨. تهدي إلى: أن المطمئن لا مانع أن يشد على قلبه﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ﴾ ليس لأنه شك، ولكن لأن الله يزيده قوة وثباتا وطمأنينة ﷺ﴿إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾.

٣٤٩. تهدي إلى: أن الكفر ملة واحدة ولو افترقوا أحزابا، لأن الوعيد بالنار دارا للجميع، وهي دركات، على حال يحتويهم بحسب جرائمهم.

٣٥٠. تهدي إلى: سنة الله التي يجب تدبرها والنظر في أسبابها ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

٣٥١. تفيد: ثناء عظيما ومدحا عطرا على المؤمنين بكتب الله تعالى السماوية ممن آمنوا بالإنجيل الذي أنزل على عيسى عليه السلام ثم ما بعده من القرآن الكريم الذي أنزل على محمد صلى الله

---

(١) تفسير الطبري ١٥/٢٧٩.

عليه وسلم، وما قبله من التوراة الذي أنزل على موسى عليه السلام، لقوله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾.

٣٥٢. تفيد: ذما عظيما وتهديدا مخيفا ووعيدا شديدا لكل من لم يؤمن بكتب الله تعالى السماوية؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ﴾

٣٥٣. يفيد التعبير عن التوراة بـ ﴿وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾ دون الاسم المعلوم له وهو (التوراة)؛ وذلك لما تؤذن به الإضافة إلى اسم موسى ليه السلام من التذكير بأنه كتاب أنزل على بشر كما أنزل القرآن الكريم على محمد صلى الله عليه وسلم؛ تلميحا إلى مثار نتيجة قياس القرآن على كتاب موسى بالمشابهة في جميع الأحوال، وفي ذلك رد على شبهات المشككين والمفترين والطاعنين في القرآن الكريم.

٣٥٤. تفيد: ثناء عظيما على نبي الله موسى عليه السلام وعلى كتابه التوراة؛ لقول الله تعالى: ﴿وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ فيشمل هذان الوصفان أو الحالان نبي الله موسى عليه السلام وكتابه، وهما معنيان متلازمان.

٣٥٥. تفيد: أن رسل الله تعالى وكتبهم المنزلة من عند الله إنما جاءت رحمة من الله تعالى على خلقه عند ائتمامهم واقتدائهم بهم.

٣٥٦. تفيد: أن من تجنب الرحمة ولم يتبعها كان جديرا بأن يكون على موعد مع العذاب؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ﴾

٣٥٧. تفيد: كثرة المتحزبين ضد الحق، والمتبعين للباطل.

٣٥٨. تفيد: منزلة الإيمان بالقرآن الكريم وأنه من أعظم أسباب دخول الجنة وخطورة الكفر به وأنه من أعظم دخول النار.

٣٥٩. تفيد: جهل أكثر الخلق بكتاب الله تعالى وما جاء فيه من الهدى والحق: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

٣٦٠. تفيد: الترغيب في تعلم القرآن الكريم والعمل به ﴿إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾.

٣٦١. تفيد: منزلة ومكانة النبي عليه السلام عند ربه حيث أضافه إلى ربوبيته تشريفا وبيانا لفضله ومنزلته عليه الصلاة والسلام.

٣٦٢. تفيد: عدم الاستيحاش من قلة السالكين للحق والهدى فهذا هو الأصل في الناس، لأن أكثرهم لا يؤمنون؛ بل أكثرهم للحق كارهون.

٣٦٣. تفيد: أنه لا ينبغي الشك أن من لم يؤمن بالقرآن مصيره النار، قال الْكَلْبِيُّ: الْمَعْنَى فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ فِي أَنَّ الْكَافِرَ فِي النَّارِ. إِنَّهُ الْحَقُّ أَيِ الْقَوْلُ الْحَقُّ الْكَائِنُ، وَالْخِطَابُ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَالْمُرَادُ جميع المكلفين.

٣٦٤. تفيد: أنه لا يستوى أبدا عند الله من كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ بما رزق من علم الكتاب والسنة، ومن هُوَ فِي الضَّلَالَةِ وَالْجَهَالَةِ؛ بل كلما كان أرسخ فهما كان أعلى منزلة، يستفاد ذلك من أسلوب الخطاب ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾.

٣٦٥. تفيد: أن القرآن شاهد من نفسه على صدقه من خلال إعجازه، قال الْحُسَيْنُ بْنُ الْفَضْلِ في قوله تعالى: ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ هُوَ الْقُرْآنُ وَنَظْمُهُ وَإِعْجَازُهُ.

٣٦٦. تفيد: أن التَّوْرَاةَ شاهدة ومُصَدِّقَةٌ لِلْقُرْآنِ، شَاهِدَةٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ بصدق رسالته قبل بعثه عليه السلام.

٣٦٧. تفيد: عظمة القرآن الكريم وأهمية الاهتداء به فإذا كانت التوراة إماما يهتدى بها، ورحمة لمن آمن بها فكيف والقرآن وهو خير منها ومهيمن عليها.

٣٦٨. تفيد: وجوب اليقين بالقرآن الكريم وأنه حق وهدى من عند الله تعالى؛ لأن نهي الريب يستلزم وجوب اليقين به.

٣٦٩. تفيد: جملة: ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ﴾ أدنى شك، التعريض بالمشركين؛ بِأَنَّ ما فِيهِ المشْرِكُونَ مِنَ اليَقِينِ بِكَذِبِ القُرْآنِ أَشَدُّ ذَمًّا وشَناعَةً.

٣٧٠. تفيد: أهمية الحجة والبصيرة في الدين.

٣٧١. تفيد: أن وحي الله المتمثل في القران ومن قبله التوراة من أعظم ما تنال به البصيرة والحق الذي ليس بعده الا الضلال.

٣٧٢. تفيد: أن الحق يخرج من مشكاة واحدة وأنه يعضد بعضه بعضًا وأن أهله يوافق بعضهم ويتوافقون فيما معهم من الحق وإن اختلفت ديارهم وأزماتهم.

٣٧٣. فيها: تخصيص التوراة كتاب موسي عليه السلام بالذكر دون الإنجيل رغم أنه الأقرب زمانًا لنزول القرآن وجه التوافق والتشابه بين القرآن والتوراة فكلاهما اشتمل على عقائد وشرائع ومنهاج.

٣٧٤. تهدي لعلو مكانة اتباع الدليل ولما جاءت به الرسل عليهم السلام وأن في ذلك كمال الهداية للصراط المستقيم.

٣٧٥. تفيد: أن من عارض الوحي ولم يتبعه تشعبت به سبل الضلال والغواية.

٣٧٦. يفيد: قوله تعالى: ﴿ٱلْأَحْزَابِ﴾: كثرة طرق الباطل مقابل طريق واحد مستقيم للحق ﴿فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ﴾ أن كل طرق الباطل تفضي إلى النار.

٣٧٧. تفيد: أن لله الحجة البالغة وأن كتبه المنزلة على رسله قد اشتملت على كل ما يستبين به الحق، يقول صاحب المنار "البينة ما تبين به الحق من كل شيء بحسبه كالبرهان في العقليات والنصوص في النقليات، والخوارق في الإلهيات، والتجارب في الحسيات، والشهادات في القضائيات، والاستقراء في إثبات الكليات، وقد نطق القرآن بأن الرسل قد جاءوا أقوامهم بالبينات وأن كل نبي منهم كان يحتج على قومه بأنه على بينة من ربه وأنه جاءهم ببينة من ربهم، كما ترى في قصصهم في هذه السورة وفى غيرها"(١).

٣٧٨. تفيد: كفر اليهود والنصارى وكل من لم يؤمن بالنبي ﷺ وبالقرآن الكريم وأنهم من أهل النار؛ لقوله: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ﴾ وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "والذي نفسي بيده لا يسمع بي من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بي إلا كان من أصحاب النار"(٢).

٣٧٩. فيها فضل العلم النافع والعمل الصالح؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وَهَذَا يَعُمُّ جَمِيعَ مَنْ هُوَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ. فَالْبَيِّنَةُ الْعِلْمُ النَّافِعُ وَالشَّاهِدُ الَّذِي يَتْلُوهُ الْعَمَلُ الصَّالِحُ

(١) تفسير المنار ١٢/٤٣.

(٢) أخرجه مسلم ١/١٣٤.

وَذَلِكَ يَتَنَاوَلُ الرَّسُولَ وَمَنْ اتَّبَعَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَإِنَّ الرَّسُولَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَمُتَّبِعِيهِ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ"(١).

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۚ أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾[هود:١٨].

٣٨٠. فيها مناسبة لما قبلها فلما ذكر الذين هم على بينة من ربهم ذكر في هذه الآية الذين كذبوا على ربهم فالقرآن مثاني تثنى فيه الأحكام والجزاء والأخبار.

٣٨١. تهدي إلى بيان مفهوم العرض يوم القيامة، وهو من العقائد التي بينتها السنة أنها للكافر والمنافق حسابا وفضيحة، والمؤمن نجوى وسترا..

٣٨٢. تهدي إلى: مفهوم الأشهاد، خلق مكرمين من الملائكة الذين أحصوا، والنبيين الذين بلغوا، وغيرهم ممن شاء الله، فيهم من الأهلية والحجة والصدق، ما يؤهلهم، لأن يقولوا وينطقوا يوم القيامة، ولذا ينبغي أن يكون الشاهد في الدنيا فيه من العدالة والأهلية ما يؤهله للنطق بالحق، إحقاقا للحق، وأن يفطن القاضي للشاهد الصادق من الأجير صاحب الزور.

٣٨٣. تفيد: أن الظلم، يتفاوت في الوزر والجرم، وقول الله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ [البقرة: ١١٤].

٣٨٤. فيها: نوع من أنواع البلاغة، وهو: الإيجاز؛ لقوله: ﴿يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾، ولم يعن مجرد العرض، بل عني العرض وتوابعه وما يكون فيه الحساب والعتاب وكثرة ما ينتاب هؤلاء المذكورين يوم القيامة؛ بقرينة: ﴿وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾..

٣٨٥. تشير إلى: هيبة العرض، والوفود بين يدي الله تعالى.

٣٨٦. فيها: كثرة الشهود على العبد يوم القيامة، وقد نظم ابن القيم ذلك في أبيات بديعة نذكر منها بيتين في شهادة الأرض حيث قال:

---

(١) الفتاوى ١٥/٦٢.

وتحدث الأرض التي كنا بها أخبارها في الحشر للرحمن
وتظل تشهد وهي عدل بالذي من فوقها قد أحدث الثقلان [1]

٣٨٧. تهدي إلى: أن الملعون من لعنه الله، وأما نحن فلا يجوز لنا التجروء بهذه الكلمة واستسهالها لأي شيء، إلا ما عم الله بلعنته، أو خصه باسمه.

٣٨٨. فيها جواز اللعن العام تصديقا لقول الله تعالي ولا يدخل في ذلك لعن المعين ولاسيما المسلم ولو كان ظالما.

٣٨٩. تشير إلى: كثيرة إحسان الله لهم في الدنيا، وأنهم قابلوا ذلك بالكفر والافتراء عليه؛ لقوله: ﴿رَبِّهِمْ﴾أي مربيهم بنعمه.

٣٩٠. فيها تشنيع وتفظيع الكذب على الله سبحانه وتعالى وأعظمه ادعاء الشركاء له سبحانه وتعالى أو نسبة الولد إليه تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا.

٣٩١. فيها إثبات العرض والحساب والجزاء وهي مما يدخل في الإيمان باليوم الآخر.

٣٩٢. الإشارة إليهم بإشارة البعيد ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾لبعد ما هم فيه من الضلال وعظم ما ينتظرهم من العذاب.

٣٩٣. الاسم الموصول في ﴿مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ﴾ للتحقير.

٣٩٤. فيه بيان سوء أدب الكفار وجرأتهم الشديدة على الله تعالى وهذا هو الذي جرأهم على كل قبيح وأوقعهم في كل فعل شنيع.

٣٩٥. فيها أن الحامل على الافتراء على الله تعالى هو الظلم بجميع أنواعه وصوره.

٣٩٦. فيها أن من أعظم الجرائم القول على الله بلا علم.

٣٩٧. فيه بيان المراقبة والإحصاء لكل أعمال العباد صغيرها وكبيرها وستعرض عليهم يوم القيامة.

٣٩٨. تعظيم الكذب عليه تعالى وتهويله لعدة جوانب منها: بالنظر في حق من أجرم وعلى من كذب، والآخر: بالنظر إلى النتائج التخريبية واسعة النطاق التي يسببها الكذب على الله تعالى.

٣٩٩. لما تستروا بكذبهم جاءت العقوبة على رؤوس الأشهاد..

---

(١) نونية ابن القيم ١/١١.

٤٠٠. تدل على أنَّ الافتراءَ على اللهِ تعالى أعظم أنواع الظلم ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾.

٤٠١. استئناف الجملة باسم الإشارة يفيد أنهم يستحقون الزجر والتوبيخ والتشهير والطرد من رحمه الله جزاءً لجريمة الافتراء والكذب علي الله.

٤٠٢. تفيد التنبيه لفداحة الحكم الذي ينتظرهم وهو ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ الطرد والإبعاد من رحمة الله عز وجل وذلك جزاءً وفاقاً بما يناسب جرمهم وعظيم ذنبهم.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ [هود:١٩].

٤٠٣. فيها: من المناسبة: أنهم لما ظلموا أنفسهم بالكفر والضلال، ولم يكتفوا بل أصبحوا يلقون الشبهات ويطعنون في الأدلة القاطعة.

٤٠٤. تفيد بدلالة المناسبة أن من صفات الظالمين كذلك أَنَّهم يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ويَبْغُونَها عِوَجًا، يَعْنِي أَنَّهم كَما ظَلَمُوا أَنْفُسَهم بِالتِزامِ الكُفْرِ والضَّلالِ، فَقَدْ أضافُوا إلَيْهِ المنعَ مِنَ الدِّينِ الحَقِّ، وإلْقاءَ الشُّبُهاتِ، وتَعْوِيجَ الدَّلائِلِ المسْتَقِيمَةِ؛ لِأنَّهُ لا يُقالُ في العاصِي: يَبْغِي عِوَجًا، وإنَّما يُقالُ ذَلِكَ فِيمَن يَعْرِفُ كَيْفِيَّةَ الِاسْتِقامَةِ وكَيْفِيَّةَ العِوَجِ بِسَبَبِ إلْقاءِ الشُّبُهاتِ وتَقْرِيرِ الضَّلالاتِ"(١).

٤٠٥. وفيها: أن الصد عن دين الله دلالة على اعوجاج البصيرة والمنهج.

٤٠٦. فيها مع ما قبلها أن من أعظم الظلم الصد عن سبيل الله عز وجل ولذلك يزاد في عذاب هؤلاء بسبب الصد عن سبيل الله؛ قال تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾ [النحل: ٨٨].

٤٠٧. فيها: عظم جرم هؤلاء في استمرارهم في الصد عن سبيل الله؛ لدلالة الأفعال المضارعة على الاستمرار والتجدد ﴿يَصُدُّونَ﴾، ﴿وَيَبْغُونَهَا﴾.

٤٠٨. تهدي إلى: معنى التفصيل والشرح بعد الإجمال والعموم، فالظالمون الملعونون قبلها، هم من تحقق فيهم هذه الصفات، وكل واحدة ليست هي الأخرى: الصد عن سبيل الله – ابتغاء

(١) تفسير الرازي ٣٣٢/١٧.

الطريق المستقيم للإسلام عوجا تأويلا وتحريفا وتعطيلا...إلخ – الكفر بالآخرة، ظلمات بعضها فوق بعض.

٤٠٩. فيها أن الكفر بالآخرة سبب في الصد عن سبيل الله عز وجل فلو آمنوا بالمعاد لما صدوا العباد.

٤١٠. تفيد خطورة الجمع بين الصد عن سبيل الله الذي جاء في الكتاب والسنة، وهو سبيل الحق والهدى الْموصل إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وجنته، والسعي لسوقهم إلى عكس ذلك من طرق الضلال والغي والهوى، كما هو مشاهد اليوم تصرف الأموال في صد الناس عن طريق الرحمن لسوقهم إلى طريق الشيطان.

٤١١. فيها: إشارة إلى إدراكهم الكامل لاستقامة سبيل الله ورغم ذلك افتروا الكذب وصدوا عن سواء السبيل مما عظم من جرمهم وسوء عاقبتهم.

٤١٢. تفيد: كما يعمل للحق رجال فكذلك هنالك من يعملون لهدمه والتشكيك في هداياته فلا تتعجب عنهم فهذا صراع مستمر، وهي سنة التدافع بين الحق والباطل، في الحياة وأحمد ربك على ما وفقك.

قال ابن القيم رحمه الله في النونية:

لو شاء ربك كنت أيضا مثلهم فالقلب بين أصابع الرحمن

٤١٣. تفيد خطورة من يحاربون الدين من خلال تغير بعض أحكامه وصرفها عن ما وضعها الله تعالى عليه من الاستقامة، من خلال السعي لتحريفها واعوجاجها كما يحدث اليوم في كثير من القضايا الدينية التي يريدها الغرب بصورة معينة.

٤١٤. تهدي إلى: أن ابتغاء الإسلام عوجا محاولات لتغييره وتبديله عما جعله الله له من الاستقامة..

٤١٥. وفيها: تأكيد على انكارهم البعث، بدلالة وجود ﴿هُمۡ﴾ الثانية هنا على غرار آية الأعراف فيه مناسبة وهي تقوية الحكم؛ حتى تكون العقوبة أشد.

قَالَ تَعَالَى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَمۡ يَكُونُواْ مُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَۘ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ مَا كَانُواْ يَسۡتَطِيعُونَ ٱلسَّمۡعَ وَمَا كَانُواْ يُبۡصِرُونَ﴾ [هود: ٢٠].

٤١٦. تهدي إلى: معنى صفات القوة والعزة لله القوي العزيز، بذكر آثارها التي يحدثها للملعونين كفارا ومنافقين، الذين صـــدوا الناس، وبذلوا المحاولات لتغيير دين الله، وهم كفار بالآخرة، لا يؤمنون.

٤١٧. تفيد عظمة الله عز وجل وسعة علمه وقدرته وإنه لا يعجزه شيء في السماوات ولا في الأرض إنه كان عليما قديرا..

٤١٨. تهدي إلى: أن الولي الحقيقي والناصر الصادق هو من ينفعك _أي نفع _ كان وخاصة وقت الحاجة.

٤١٩. تفيد: أنه لا يعيذ، ولا يجير العبد من الله إلا الله وحده؛ لقوله: ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾. وفي الحديث: "وأعوذ بك منك"(١). رواه مسلم..

٤٢٠. فيها: أن من اتخذ غير الله وليا، فهو أصـــم أعمى. والعكس. قال الله: ﴿قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾ [الرعد: ١٦].

٤٢١. تهدي إلى: معنى مضاعفة العذاب، وهو مصطلح مبني على مضاعفة السيئات، ومع أن الأصل أن الحسنات هي التي تضاعف، والسيئة تكتب واحدة، إلا أن العذاب هنا تضاعف لهؤلاء الذين تعدى ضررهم، صدا عن سبيل الله، وابتغاء دين الله عوجا تحريفا وتعطيلا وكذبا على الله، وتشويها لوجه الحقيقة، وهم حقيقتهم كفار بالأخرة.

٤٢٢. تشـــير إلى: فضـــل الموحدين وكرامتهم على الله؛ لقوله: ﴿يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾؛ فكأنه يقول: يضاعف لهم، لفقدهم ولاية الله، وتدل أن الله ينجي الموحدين من النار، ومن عصى نجاه من الخلود فيها؛ بقرينة: ﴿يُضَٰعَفُ﴾.

٤٢٣. تفيد أن العذاب يتفاوت وأن هناك من يضـــاعف لهم العذاب لشـــدة اجرامهم وعظم ضـــلالهم، والقواعد العامة تدل على أن الســـيئات تتضـــاعف من حيث الكيفية، لا من حيث الكمية، لدلالة النصوص على ذلك.

---

(١) أخرجه مسلم ١/٣٥٢.

٤٢٤. تهدي إلى: معنى العلل والاسباب في الخواتم والفواصل، فهؤلاء ما الذي جرهم إلى هذا الخزي، إلا أسماعهم وأبصارهم، التي لم يوظفوها ولم ينتفعوا بها فيما أحل الله وهو تحذير لخطورة الوسيلة الإعلامية مسموعة ومبصرة، التي يصد بها عن سبيل الله وابتغاء دين الله عوجا.

٤٢٥. فيها: أنه يجب التركيز في دعوة غير المسلمين على الأدلة البصرية وآيات الله في كونه، فالإبصار الظاهري متأتٍ منهم بل بلغوا به مبلغاً سبقونا فيه بأشواط، ينقصهم التوجيه إلى الإبصار المتأمل الموصل للإيمان والتوحيد، وهذا يستلزم إتقان ما أتقنوه والتبحر فيما أجادوه إن لم نستطع السبق إليه، وإكسائه حلة الإيمان وتعليمهم كيف يرون الآيات بمنظورنا.

٤٢٦. تدل على تحتم: بناء مناهجنا التعليمية على السماع والإبصار الإيماني، الذي إنما خلق الله الكون بأكمله لهذا الغرض فلا نتبع الغرب بطريقة عرضه للعلوم المبتورة التي توصل إلى طرف النقيض (الإلحاد).

٤٢٧. تربية أطفالنا على سماع القرآن، وهذا يقودنا إلى التركيز في تعليم القرآن للصغار على التفسير بما يناسب مستواهم وعدم الاكتفاء بالتحفيظ. كذا تعليمهم النظر في آيات الله في كل ما حولهم بربطه دوماً بخالقه ومبدعه.

٤٢٨. فيها رد على المعتزلة والقدرية ورد على الجبرية لأن الاستطاعة في الآية الكريمة هي حقيقة القدرة التي يتهيأ بها الفعل ﴿مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُوا۟ يُبْصِرُونَ﴾ فالمراد نفي حقيقة القدرة لا نفي الأسباب والآلات ألا ترى أن الله تعالى قد ذمهم بذلك والذم إنما يلحقهم بانعدام حقيقة القدرة عند وجود سلامة الأسباب وصحة الآلات.

٤٢٩. يفيد: تقديم السمع عظم أثره في الاهتداء إلى الصراط المستقيم؛ ولذلك يقول أهل النار: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك: ١٠].

٤٣٠. تفيد: أن الاستطاعة في الآية لا يراد بها قصور القدرة وانعدام الإرادة، بل يراد بالاستطاعة الاستفعال أي: يقول لا يستطيعون بمعنى لا يطوعون أسماعهم لتلقي الحق فيحجبونه عنه ولا يطوعونها لاستقبال الحق فتنفذ إلى عقولهم، فيقول تعالى في موضع آخر ﴿جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ﴾ [نوح: ٧]، لحجب الحق عن النفاذ إلى عقولهم. وذلك لكي لا يقول قائل أن انتفاء الاستطاعة هنا هو انتفاء الإرادة فكيف يعذب الله من غابت إرادته، فيقال له

الاستطاعة هنا مسألة في حدود قدرة العبد من الاستفعال فهو يطوع سمعه، أو ينهاه عما يكره سماعه.فالاستطاعة: هي العلم، والقدرة، وهي الوسع. وهي ما يخلقه الله تعالى في الانسان من قدرة يفعل بها الانسان الأفعال الاختيارية.

٤٣١. فيها المبالغة في شدة رفضهم للإيمان بالله فهم لا يستطيعون حتى مجرد السمع فما بالكم بالعمل بما فيه الكلام. ووجهه: أن تقوم العلاقة بين المعنى الأصلي والمعنى المجازي على علاقات، من أشهرها السببية، وهو التعبير بالسبب عن المسبب وفي هذه الآية صورة من صور المجاز المرسل والذي علاقته السببية حيث ذكر السبب وأراد المسبب، فإن السبب هو (السمع) والمسبب هو القبول والعمل بما يسمع، الغرض البلاغي من هذا المجاز هو المبالغة.قال صاحب المراقي:

والعلم والوسع على المعروفِ شرط يعم كل ذي تكليف

والاستطاعة استطاعتان:

الأولى: كما قال الإمام الطحاوي:"هي التي يجب بها الفعل من نحو التوفيق الذي لا يجوز أن يوصف المخلوق به. وهذه تكون مع الفعل"(١) وهذه هي التي تتعلق بها مشيئة الرب تعالى وقدره الكوني.

والثانية: هي الاستطاعة من جهة الصحة والوسع والتمكن وسلامة الآلات فهذه كما قال الطحاوي:" قبل الفعل وبها يتعلق الخطاب" وهو كما قال تعالى ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وهي مناط التكليف وبها تتعلق مشيئة العبد نحو قوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ﴾ [آل عمران: ٩٧]، أما الآية التي معنا ﴿مَا كَانُواْ يَسۡتَطِيعُونَ ٱلسَّمۡعَ وَمَا كَانُواْ يُبۡصِرُونَ﴾. فالاستطاعة المنفية هنا هي الاستطاعة الأولى المصاحبة للفعل وبها يتحقق. والمراد بعدم الاستطاعة هنا: مشقة ذلك عليهم وانصراف اراداتهم عنه وانتفاء توفيق الله وعونه لهم. وهي الاستطاعة الكونية وهي مناط القضاء والقدر الكوني وبفقدها لا يتحقق وجود الفعل كما قال تعالى ﴿لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ﴾ الأعراف: ١٧٩

(١) شرح الطحاوية ١/٤٣٣.

فالآلات والأسباب متوفرة ولكنهم لا ينتفعون بها فلا يسمعون سماعاً ينتفعون به ولا يبصرون بصراً يستفيدون منه ومثلها قوله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ كَانَتۡ أَعۡيُنُهُمۡ فِي غِطَآءٍ عَن ذِكۡرِي وَكَانُواْ لَا يَسۡتَطِيعُونَ سَمۡعًا ١٠١﴾ الكهف: ١٠١

ولذا كان اختيار شيخ المفسرين الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله :أنَّهم لا يَسْتَطِيعُونَ أنْ يَسْمَعُوا الحَقَّ سَماعَ مُنْتَفِعٍ، ولا أنْ يُبْصِرُوهُ إبْصارَ مُهْتَدٍ؛ لِاشْتِغالِهِمْ بِالكُفْرِ الَّذِي كانُوا عَلَيْهِ مُقِيمِينَ عَنِ اسْتِعْمالِ جَوارِحِهِمْ في طاعَةِ اللَّهِ تَعالى، وقَدْ كانَتْ لَهم أسْماعٌ وأبْصارٌ. وَيَدُلُّ لِهَذا قَوْلُهُ تَعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ سَمۡعٗا وَأَبۡصَٰرٗا وَأَفۡـِٔدَةٗ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُمۡ سَمۡعُهُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُهُمۡ وَلَآ أَفۡـِٔدَتُهُم مِّن شَيۡءٍ إِذۡ كَانُواْ يَجۡحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ الأحقاف: ٢٦

وقد ذكر الشنقيطي أوجهاً أخرى للآية لا تخالف ماتم تقريره. ولا تجتمع النصوص الواردة في الاستطاعة الا على هذا التفصيل وهو ما وفق الله إليه أهل السنة والجماعة. نص على ذلك الإمام الطحاوي وشيخ الإسلام وشارح الطحاوية وغيرهم.

أما الطوائف الأخرى فهي على النحو التالي:

١- الجهمية قالوا بنفي الاستطاعة عن العبد بالكلية.

٢- المعتزلة قالوا بالاستطاعة الثانية وهي المتعلقة بالوسع والتمكن التي هي قبل الفعل، والمتعلقة بمشيئة العبد.

٣- الأشاعرة قالوا بالاستطاعة الأولى - مع الفعل- لا تتقدمه ولا تتأخر عنه. وهي المتعلقة بمشيئة الرب

٤- وأهل السنة قالوا بالتفصيل المذكور أعلاه وقالوا بالحق الذي مع المعتزلة واطرحوا ما معهم من باطل، وبالحق الذي مع الأشاعرة واطرحوا ما معهم من باطل، فاجتمع لهم الحق الذي تلتئم عليه النصوص من غير رد، أو تأويل شيء منها كما هو الأصل في منهجهم في الاستدلال وهو إعمال جميع النصوص من غير اطراح لبعضها وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

قَالَ تَعَالَى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ٢١ لَا جَرَمَ أَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ﴾ [هود: ٢١ – ٢٢].

٤٣٢. تهدي إلى: معنى الضياع والذهاب والتلف المتعلق بالافتراء والكذب، وأن الصدق، بقاء ودوام وثبات لا يضيع ولا يضل عن صاحبه.

٤٣٣. وفيها قبح صنيعهم وأنهم جمعوا ما بين التكذيب والافتراء على الله وتنكب طريق رسله والكفر باليوم الآخر من باب والصد عن سبيل الله ومحاولة طمس معالم دينه.

٤٣٤. تفيد ما كانوا عليه من الحرص والاستمرار والإقامة على الافتراء والكذب؛ دل على ذلك الفعل المضارع ﴿يَفْتَرُونَ﴾ وقوله: ﴿كَانُوا۟﴾.

٤٣٥. تفيد ضلال المشركين وخسرانهم، فإن في ظنهم أن الهتهم تشفع لهم يوم القيامة؛ لقوله: ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾.

٤٣٦. تفيد أن الله يحكم فلا معقب لحكمه ويقضي فلا راد لقضائه ﴿لَا جَرَمَ﴾.

٤٣٧. تفيد أن مفهوم الخسارة والفوز في القرآن يرتبط بالمصير الأخروي ليست الدنيا وما يملك الأنسان فيها ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ وقوله ﴿فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ﴾.

٤٣٨. فيها: أن هؤلاء هم أخسر الناس، وأحقهم بوصف الخسران، دل على ذلك الحصر الذي يفيده ضمير الفصل ﴿هُمُ﴾، فإن فائدة ضمير الفصل عند البلاغين التخصيص، إن لم يكن ما يفيد ذلك، فإن كان فهو لتأكيد التخصيص.

٤٣٩. يفيد: استئناف الجملة باسم الإشارة يفيد ربط النهايات وهي عظم الخسارة بأسبابها وهي كونهم كذبوا الرسل وافتروا على الله الكذب وصدوا الخلق عن دين الله وكفروا بيوم الدين لذلك استحقوا هذا الجزاء عدلا منه جل وعلا.

٤٤٠. تهدي إلى معنى خسارة الأخسرين، وهو من أشد أنواع تبكيت وتحسير المجرمين، فإن نفس الإنسان عند نفسه أعز عليه من أي شيء، ولو كان مالا وولدا ربما، فكيف خسرها وهي بين جنبيه؟.

٤٤١. تفيد أن أعظم وأشد خسارة هي خسران النفس في الآخرة ألا ذلك هو الخسران المبين.

٤٤٢. تفيد: أن الآخرة، هي الميزان الحقيقي للخسارة والربح.

٤٤٣. تفيد: تفاوت العذاب يوم القيامة، فكما أن الجنة درجات فالنار دركات، دل على ذلك اسم التفضيل في قوله: ﴿هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ﴾.

تفيد بأسلوب المخالفة أن أعظم الناس فوزا من عمل صالحا وسعي في إصلاح وهداية غيره داعيا إلى الله ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [فصلت: ٣٣].

٤٤٤. يفيد: التعبير بإشارة البعيد إليهم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾بعدهم في الخسران والهلاك والضياع.

والتعبير بخسارة النفس قمة الخسارة، أو أقسى أنواع الخسران.

٤٤٥. فيها: أن الإنسان يعمل ما يعمل لأجل نفسه فإن هو خسرها فلا شيء بعد ذلك؛ أفاده صيغة التفضيل وال التعريف والحصر بـ ﴿هُمُ﴾.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [هود: ٢٣].

٤٤٦. فيها: من المناسبة: أنه لما ذكر سبحانه حال الأشقياء ثنى هنا بحال السعداء، وهي مما يدل على أن القرآن الكريم مثاني، تثنى فيه الأحكام والأخبار، ليعيش المؤمن بين الخوف والرجاء.

٤٤٧. فيها: تأكيد الجزاء بالجنة لمن آمن وعمل صالحا ﴿إِنَّ﴾.

٤٤٨. فيها: أن الإيمان يستلزم الإيمان بجميع أركانه ﴿ءَامَنُواْ﴾ حذف متعلقاته.

٤٤٩. فيها: فضل الإيمان وتقديمه لأن الأعمال تنبني عليه.

٤٥٠. فيها: أن العمل الصالح من الإيمان والعطف هنا لا يقتضي المغايرة بل هو من عطف الخاص على العام للاهتمام به.

٤٥١. وفيها: فضل الإيمان والعمل الصالح.

٤٥٢. من محاسن الدين الاسلامي الدعوة لصالح العمل ﴿ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾

٤٥٣. فيها: أن الإيمان والعمل الصالح من أسباب الخلود في الجنة.

٤٥٤. فيها: ما يشير إلى عبودية الظاهر والباطن، وذلك في وصف المؤمنين بالإيمان والعمل الصالح وإخبات القلوب.

٤٥٥. تشير: إلى التواضع للنص وعدم الترفع عليه؛ لقوله بعد ذكر العمل: ﴿وَأَخْبَتُوٓاْ﴾وقول الله: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

٤٥٦. فيها: دليل على أعلى طرق التفسير وهي، تفسير القرآن بالقرآن بدليلٍ منفصل؛ حيث جاء تفسير المخبتين في قوله: ﴿وَأَخْبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾، في قوله ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ۝٣٤ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الحج: ٣٤ – ٣٥]، وفي آية سورة الحج دليل على تفسير القرآن بالقرآن بدليل متصل ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ۝٣٤ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الحج: ٣٤ – ٣٥]، وفيها مع آية الحج خمسة أحوال للمخبتين:

أولها: التواضع والإنابة إلى ربهم ﴿وَأَخْبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾.

ثانيها: وجل قلوبهم عند ذكر الله تعالى.

ثالثها: صبرهم على أقدار الله تعالى.

رابعها: إقامتهم للصلاة التي هي صلة بينهم وبين ربهم جل في علاه.

خامسها: إنفاقهم مما رزقهم الله؛ وهو من الصلة بينهم وبين إخوانهم من المؤمنين.

٤٥٧. فيها: أهمية أعمال القلوب ﴿وَأَخْبَتُوٓاْ﴾.

٤٥٨. فيها أن الإيمان والعمل الصالح، والإخبات هي أعظم أسباب دخول الجنات.

٤٥٩. علو مرتبة المؤمنين وشرفهم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾.

٤٦٠. الايمان بوجود الجنة وأن ذلك من الإيمان بالغيب.

٤٦١. كرامة أهل الجنة على ربهم وعلو منزلتهم حتى جعلهم ﴿أَصْحَٰبُ﴾ المكان.

٤٦٢. الخلود في النعيم ولذلك فهو من خصائص ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ﴾.

٤٦٣. فيها أن من النعيم، الخلود في الجنة والاطمئنان بعدم الفناء والموت ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ۝١٠٨﴾ [الكهف: ١٠٨].

٤٦٤. تفيد أنه لا يخلد في النار مؤمن ﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [هود: ٢٣].

قَالَ تَعَالَى: ﴿مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [هود: ٢٤].

٤٦٥. فيها: من المناسبة أنه سبحانه: لما بين الاختلاف بين حالي الكفار والمؤمنين. ضرب هنا التمثيل بالمدح والذم.

٤٦٦. وفيها من أوجه البلاغة اللف والنشر المرتب، وهو الأصل، فقابل كل صنف بنظيره مع التزام الترتيب، فأتى بالأعمى ثم الأصم، ثم ذكر نقيض الأعمى وهو البصير ثم نقيض الأصم وهو السميع.

٤٦٧. فيها: أهمية ضرب الأمثال، فإنها تقرب المعاني للذهن وتصور المعقولات في صورة المحسوسات. وهو من حسن التعليم الذي اشتمل عليه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ. قال الله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١].

٤٦٨. وفيها: التشبيه وهو صورة بديعة من أساليب القرآن.

٤٦٩. رصف المفردات وانتقاء العبارات وتقديم ما حقه التقديم وتأخير ما حقه التأخير من البلاغة القرآنية التي يجب العناية بها وهي وجه من أوجه إعجاز القرآن الكريم.

٤٧٠. في الآية: تشبيه واستفهامان: أما التشبيه فقوله ﴿مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ﴾ ونوعه تشبيه تمثيلي أي مثل الفريق المؤمن كالبصير والسميع في الهدى، ومثل الفريق الكافر كالأعمى والأصم في الضلال؛ والغرض من التشبيه والله أعلم الترغيب والتحبيب في حال المؤمنين، والترهيب والتنفير من حال الكافرين. وتقدم ذكر الأعمى والأصم على البصير والسميع تقديم كثرة في الناس بخلاف تقديم التشريف. وتقدم ذكر البصير على السميع تقديم مشاكلة للأعمى والأصم، وأما الاستفهامان ففي قوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾، وفي تذييل الآية: ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾، والغرض منه التوبيخ.

٤٧١. وفيها: أن العمى هنا عمى القلب عن الحق وكذلك الصمم يقصد به عدم سماع الحق بل والصد عنه.

٤٧٢. فيها أن العمى الحقيقي هو الكفر والإعراض عن الحق؛ ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ الحج: ٤٦

٤٧٣. فيها: أهمية المواهب، التي رزقها الله العبد، فيجب الاستفادة منها.

٤٧٤. تفيد: أن العبرة بالمعاني وحقيقة الأشـــياء لا بالألفاظ والمباني، فالحواس إن تعطلت عن اســتشــعار معاني الأشــياء وكنهها والمراد منها صــارت كالعدم وصــار صــاحبها كفاقدها من أساسها.

٤٧٥. تهدي إلى: معنى التذكر بعد النسيان، لأحوال العالمين، والفرق كافة، وخاصة رؤية الكفر والإيمان كيف افترقت وكيف آلت إلى هذه النهايات.

٤٧٦. تفيد: أن الناس ينقسمون إلى فريقين في الدنيا مؤمنون وكفار، ويوم القيامة فريق في الجنة وفريق في السعير.

٤٧٧. تفيد: أن الضد يظهره الذي ضده ويبينه أيما بيان، كما قيل:

والضد يظهر حسنه الضد وبضدها تتبين الأشياء

٤٧٨. تهدي إلى: أن من ســـاوى بين المختلفات والمفترقات وأجرى عليها العلل الواحدة فقد أخطأ النظر والقياس.

٤٧٩. وفي قوله تعالى: ﴿هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ اســـتفهام انكاري وجوابه: لا يســـتويان. ووجه ذلك ما تقدم من ذكر التشـــبيه التمثيلي، وليبين أن أحد القســـمين مبتلى والآخر معافى.

٤٨٠. فيها: عدل الله تعالى، قال سبحانه: ﴿أَفَنَجۡعَلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ كَٱلۡمُجۡرِمِينَ ٣٥ مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ﴾ [القلم: ٣٥ – ٣٦].

٤٨١. فيها عدم جواز التســـوية بين الإيمان والكفر وبين المؤمنين والكافرين وفي هذا رد على دعاة وحدة الأديان ونحوهم.

٤٨٢. فيها: مخاطبة القرآن للعقول، والأمر بإعمالها في الخير.

٤٨٣. في قراءة: (تذكرون) بالتضعيف: (تذّكرون)، إشارة إلى شدة غفلتهم وبعدهم عن إدراك المعقولات على حقائقها؛ ما استدعى حاجتهم إلى بذل جهد كبير للتذكر، وفي قراءة التخفيف دلالة على يسر فهم الدين وسهولة إدراكه لأهل البصيرة وذوي الطبع السليم، الذين لم يحيدوا عن فطرتهم الســليمة؛ إذ يدركون مقاصــد الشــرع بأدنى تذكر. وقرأ جمهور القراء من الســبعة

بالتشديد؛ (تذّكرون)، ما عدا حفصا وحمزة والكسائي، فبالتخفيف قرؤوا، قال الشاطبي رحمه الله:

وتذّكرون الكل خَفَّ على شذاً"، وترمز العين في: (على) إلى حفص، والشين في: (شذا) إلى حمزة والكسائي.

٤٨٤. في تعبيره بالتذكر تعريض لتوبيخهم في تفريطهم الذي جنى عليهم الغفلة والنسيان؛ لأن التذكر يستخدم في استرجاع شيء كان حاضرا بالفعل.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٢٥ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ [هود: ٢٥ – ٢٦].

٤٨٥. افتتحت القصة وأكدت بثلاث مؤكدات، الواو، وقد، والقسم المقدر؛ لأن التقدير، والله لقد أرسلنا، وذلك؛ لأن المخاطبين بها لما لم يحذروا ما نزل بقوم نوح بسبب كفرهم نزلوا منزلة المنكر لرسالته.

٤٨٦. نبهت على أن ما مر بيانه من إعراض المناقضين عن قبول الآيات، وتكذيبهم للنبي ﷺ، ليس أمرا مبتدعا من قومه ﷺ، بل هو خصلة مشتركة بين قومه ومن سبقه من أمم الرسل السابقين.

٤٨٧. فيها من مقاصد السورة: التسلية والتخفيف عن النبي ﷺ؛ لأن في تعميم المصيبة تخفيفا على المصَاب، وهذا ما حصل بذكر هذه القصص، ببيان عناد الكافرين السابقين وإصرارهم.

٤٨٨. أفادت اكتساب المؤمنين قوة إلى قوتهم، وإيمانا إلى إيمانهم، كما أورثت المبطلين إحباطا وانكسارا لقلوبهم، بما أوردت من تفصيل لعاقبة الكافرين المنكرين، من لعن في الدنيا، وخسارة في الآخرة، وتفصيل لعاقبة المؤمنين المحقين، من دولة ورفعة في الدنيا، وفوز وسعادة في الآخرة.

٤٨٩. فيها: أنه بعد إنذار المشركين ووصف أحوالهم، ناسب أن ينتقل إلى موعظتهم بما أصاب المكذبين قبلهم من المصائب، تأكيدا على أن الله تعالى يمهل ولا يهمل، فهو لهم بالمرصاد، إن هم ساروا على نهج اسلافهم من المكذبين والكافرين.

٤٩٠. فيها: بيان مناهج الأنبياء في دعوتهم، كل بما يناسب قومه، فقوم نوح في غوايتهم وغرورهم، وعاد في قوتهم وجبروتهم وبطشهم، وقوم صالح في تعنتهم ونقضهم وقوم لوط في فحشهم وقبحهم، وهكذا..

٤٩١. دلت – هذه القصص – على صحة نبوة نبينا ﷺ، حيث كان أميا لا يكتب ولا يقرأ، وفي تقصيصه لهذه القصص – من عدة وجوه، وفي أكثر من موضع في القرآن، من غير تناقض ولا اختلاف – حجة دامغة تدل على أن طريقه الوحيد في تلقي القرآن إنما هو وحي يوحى علمه شديد القوى، فزهق باطلهم في دعوى الافتراء، وقامت البينة على صحته وصحة نبوته ﷺ.

٤٩٢. فيها بيانا لسيرة البشرية في استعدادها النفسي والعقلي لقبول الإيمان أو رده، وسلوك طريق الخير، أو الإعراض عنه، فيستفيد – بهذا البيان – اللاحقون من أخطاء السابقين، وتقوم عليهم – به – الحجة، وتتضح لهم المحجة.

٤٩٣. تفيد طريقة من طرق القرآن: وهي إيراد أنواع الدلائل على الكفار واتبعها بالقصص تأكيدا، وتفننا في الكلام، وتنقلا بين الأساليب، للدلالة على بلاغته وكمال فصاحته.

٤٩٤. يفيد: تفنن الكلام، والتنقل بين أساليبه تنشيطا للسامع، وأخذا به إلى إدراك وتذوق أفانين البلاغة وأساليب اللغة العربية، ما يجعل مضمون الكلام إليه أقرب، وقبوله لديه أتم وأسرع.

٤٩٥. في ذكر قصص الأنبياء السابقين بيان لأصول الدين المشتركة بين الأمم، من أبواب الإيمان، والتوحيد، والبعث والجزاء، وحِكَم التشريع، وبيان علم الله وقوته وجبروته، وعدله ورحمته.

٤٩٦. في قصصهم بيان بلطف الله وعنايته الخاصة بهذه الأمة؛ حيث خفف عنها من التكاليف التي كانت على الأمم السابقة، قال تعالى: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

٤٩٧. فيها: الكشف عن سبق رحمة الله وعنايته الدقيقة بعموم البشر؛ لأنه لم يتركهم هملا، بل بعث إليهم رسلا يخرجونهم من الظلمات إلى النور.

٤٩٨. فيها: أن القرآن جاء بالتنويع في القصص؛ لأن النفوس ترغب في الاستماع إلى القصص، فكان الأسلوب القصصي انتهازا للفرصة لجلب انتباههم، لأخذ العبرة، وتهديد المعاندين، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [يوسف: ١١١].

٤٩٩. في: تصدير قصص الأنبياء بقصة نبي الله نوح – عليه السلام – مناسبة قوية وموافقة بين كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ؛ وأنها شارحة للقرآن، لأن اختلاق الشرك كان فيمن أرسل إليهم نوح عليه السلام، وكان نوح أول رسول بعد إحداث هذا الشرك، كما ثبت في حديث الشفاعة الطويل (...ولكن ائتوا نوحاً أولَ رسول بعثه الله..."[(١)] فناسب ابتداء القصص بهم، وفي ذلك دليل على أن السنة تفسر القرآن.

٥٠٠. في: إرسال نوح عليه السلام بعد انتشار الجهل، دلالة على وجوب تعلم العلم والدعوة إليه؛ فإن كل فساد في الأرض ناتج عن الجهل بالله وبما يُحبه ويُبغِضه من الأفعال والأقوال والاعتقادات.

٥٠١. فيها أن الرسل كانوا يبعثون إلى اقوامهم خاصة لمعرفتهم بهم وبلغتهم وأحوالهم وغير ذلك لقوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾ [نوح: ٢٥].

٥٠٢. فيها: تقديم النذارة والتركيز عليها عند ظهور عناد المدعويين وغفلتهم؛ لقوله: ﴿إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ مع أن الرسل مبشرين ومنذرين كما وصفهم الله تعالى.

٥٠٣. في: إرسال نوح إلى قومه بعد إحداثهم الشرك إشارة إلى خطورة ابتعاد الناس عن الوحي والتذكير؛ لأن الشيطان يستغل تلك الفرصة لإغوائهم وإبعادهم عن دين الله، كما حدث في قوم نوح عليه السلام.

٥٠٤. تفيد أن مقاصد إرسال جميع الرسل تحقيق العبودية الخالصة لله تعالى وهو أول واجب وأعظم واجب يقوم به الدعاة في الأرض. قال الشيخ حافظ الحكمي في سلم الوصول:

وأول واجب على العبيد معرفة الرحمن بالتوحيد

(١) أخرجه البخاري ٦/١٧، ومسلم ١/١٨٠.

٥٠٥. فيها أن التوحيد هو أســاس دعوة الرســل من أولهم إلى آخرهم وهو أول ما يبدأ به في الدعوة.

٥٠٦. تفيد أن النذير والداعية لابد أن يكون مبينا صاحب حجة واضحة وأدلة بينة وأسلوب حسن ﴿نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾.

٥٠٧. تفيد رحمة وشــفقة الأنبياء بجميع أقوامهم، وهكذا ينبغي أن يكون الداعية هدفه إنقاذ الناس من عذاب يوم القيامة، لا إقامة الحجة عليهم فحسب.

٥٠٨. تفيد أن تحقيق التوحيد أعظم ما ينجي العبد يوم القيامة الذي قال الله تعالى ﴿أَنْ لَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾.

٥٠٩. فيها التخويف من عذاب الله عز وجل وأنه أليم موجع.

قال تعالى: ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ﴾ [هود: ٢٧].

٥١٠. فيها من المناسبة: أنه لما حكى سبحانه عن نوح عليه السلام. بين سبحانه أنهم طعنوا بدعوته بشبه ثلاث.

٥١١. فيها: ديدن الطغاة الاستكبار والسخرية وعدم قبول الحق ﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأْيِ﴾.

٥١٢. وفيها: محاولة صد الاتباع الدين بإثارة الشبه.

٥١٣. في: قوله تعالى: عنهم: ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَأُ﴾ سرعة معارضة أهل الباطل، وتسويغهم معارضتهم وتعداد حججهم صدا للحق وأهله، فبادروا بالامتناع عن قبول دعوته، فكفروا به أول ما دعاهم نوح إلى الإيمان؛ لأن الفاء هو الأصل في الرد السريع" (١)

٥١٤. في إسناد القول إلى الملأ دلالة على رئاستهم في الضلال، والتصدي لمعارضة الحق، وإثارة الشبهات، وأنهم كانوا قادة لغيرهم في إنكار رسالة نوح، ونصب العداء له، كما قال تعالى

(١) ينظر تفسير المنار (٥٢/١٢)، والتحرير والتنوير (٤٥/١٢).

عن تحريضهم على دعوته: ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ (١) [نوح: ٢٣].

٥١٥. فيها: أن الكفر هو سبب هذه الأقوال الشنيعة والشبه الوضيعة؛ دل على ذلك صلة الموصول ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ﴾.

٥١٦. أشارت الآية إلى شدة ما لاقاه نوح عليه السلام من كفرة قومه؛ حيث اجتمع عليه في ذلك المصائب والشدائد من جهتين، جهة الملأ وهم ما هم من التمكين والقوة، وجهة القوم، قال: طرفة بن العبد البكري:

وظلم ذو القربى أشد مضاضة على المرء من وضع الحسام المهند

٥١٧. فيها: التماثل في البشرية حجة عليهم لا لهم، فلو كان ملكا لقالوا كيف نتبعه مع اختلاف الطباع.

٥١٨. فيها: خطورة اتباع الأهواء والآراء فإنها تؤدي بأصحابها إلى رد الحق ومعاندة الرسل؛ قالوا: ﴿مَا نَرَىٰكَ﴾، ﴿وَمَا نَرَىٰ﴾.

٥١٩. فيها: نبذ العنصرية التي عبر بها المشركون ﴿أَرَاذِلُنَا﴾ والحكم على الناس بأنهم أعلى أو أدنى.

٥٢٠. فيها: أنه لا يرى الفضل إلا أهل الفضل، ولذلك لم يرى المشركون للرسل فضلا.

٥٢١. فيها ظهور الحق ووضوح براهينه ولذلك اتبعه المؤمنون من قوم نوح بادي الرأي أما الملأ فاستكبارهم منعهم من معرفة الحق.

٥٢٢. بيان سنة الله في الرسالات، من حيث قبول الضعفاء، واستجابتهم لها، قبل الاغنياء.

٥٢٣. فيها: أن المال قد يكون سببا للكبر على الحق ونبذ دعوة الرسل.

٥٢٤. تهدي إلى معرفة طرق السياسة الفكرية الكفرية للأمم على ما يلي، والعوامل المساعدة على الجرائم الإنسانية في محاربة الدعوة إلى الله المناصب ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ في مقابل سيل من الاتهامات والشبه والاقتراحات، التشكيك في أصول النبوات والديانات ﴿أَرَاذِلُنَا﴾ الغرور ﴿بَادِيَ ٱلرَّأْيِ﴾ فيما يظهر لهم أن المؤمنين سفهاء، أومن باب تهمة المؤمنين انهم يبتدؤون الرأي

(١) القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث (١/١٧١و١٧٨).

دون الرجوع للأكابر والاشراف.ـ الكبر ﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾ التهمة للمؤمنين بالكذب المبنية على الظن ﴿بَل نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾.

٥٢٥. تهدي إلى: بيان تأثير وخطورة قضية الرأي العام سواء المبني على رأي الكبراء الكفرة، أو الجمهور.

٥٢٦. فيها: أن الحق لا يكمم الأفواه التي تنطق بالباطل إنما يتركها تظهر باطلها لأنه يدل على أصحابه وعلى آرائهم غير المقنعة.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾ [هود: ٢٨].

٥٢٧. في الآية الكريمة: لطف خطاب الانبياء، ودعوتهم بالحكمة والموعظة الحسنة، والتودد لقومهم آملا في قبول الدعوة ﴿قَالَ يَا قَوْمِ﴾.

٥٢٨. تألف نوح قومه رغم ما سبق من جلافتهم واستحقارهم لأتباعه، ففيه قدوة لكل داعية بضبط النفس وزنة الأقوال والأفعال بغية إنجاح الدعوة.

٥٢٩. تفيد أهمية التلطف في الخطاب الدعوي مع الناس واختيار الألفاظ التي تقربهم إلى الحق.

٥٣٠. فيها أهمية الحوار والجدال بالتي هي أحسن في الدعوة إلى الله عز وجل؛ لقوله: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ﴾.

٥٣١. فيها: أن الانبياء والصالحون يرون الأمور ببصيرة ويبصرون غيرهم بالحق واللطف وجمال الخطاب النفسي والاخلاقي ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾.

٥٣٢. فيها: البينة والحجة تكون من الله ﴿مِّن رَّبِّي﴾.

٥٣٣. فيها: أدب الأنبياء في نسبة الفضل لله أولا وأخيرا ﴿مِّن رَّبِّي﴾، ﴿مِّنْ عِندِهِ﴾.

٥٣٤. تهدي إلى: أنه يجب على طالب العلم، طلب البينة بالعلم والمعرفة ﴿إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾ من مصادره الأصلية ﴿مِّن رَّبِّي﴾، مع سؤال الله رحمة العلم ﴿وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ﴾، وأن لا يجره علمه الى الطغيان العلمي والعمى عن الحق.

٥٣٥. يفهم منها: أهمية اليقين في صحة المنهج الذي يكون عليه العبد؛ لقوله: ﴿عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي﴾. تظهر: عظيم يقين الرسل – صلوات الله وسلامه عليهم.

٥٣٦. فيها: حاجة الدعاة إلى اليقين والبصـــيرة والعلم حتى يكون أحدهم على بينة من ربه، وهذا له أثره الكبير في الصبر والثبات على طريق الدعوة المليء بالمصاعب.

٥٣٧. تفيد بدلالة السياق حكمة نوح عليه السلام في الدفاع عن نفسه لأنه قَصَدَ بِهَذا القَوْلِ الرد على قومه في قولهم: ﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾ [هود: ٢٧]، لِيُظْهِرَ فَضْـــلَهُ عَلَيْهِمْ بِأَنَّهُ عَلى بَيِّنَةٍ مِن رَبِّهِ وآتاهُ رَحْمَةً مِن عِنْدِهِ وهم قَدْ سُلِبُوا ذَلِكَ، فَأيُّ فَضْلٍ أعْظَمُ مِنهُ؟

٥٣٨. تفيد: رحمة الله تعالى على سائر خلقه خاصة الأنبياء ولا يستطيع أحد الاستغناء عنه طرفة عين.

٥٣٩. تفيد أن الحجة والبينات التي يواجه به الخصم وأهل الباطل أقواها وأرسخها ما جاءت عن الله تعالى.

٥٤٠. تفيد أهمية ثبات الداعية في دعوته وعدم التأثر بكلام أهل الباطل الذي مصدره الجهل والعمى.

٥٤١. يجب على الداعية أن يذكر المدعوين برحمه الله، مما يحببهم في دينه مما يدعو إلى اطمئنان القلوب وسكونها بين يدي ربها.

٥٤٢. تفيد: أن النبوة، رحمة للناس وقول الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

٥٤٣. تفيد أن عدم فهم الحق من أعظم أسباب الضلال ﴿فَعُمِّيَتْ﴾ أَيْ عُمِّيَتْ عَلَيْكُمُ الرِّسَالَةُ وَالْهِدَايَةُ فَلَمْ تَفْهَمُوهَا. يُقَالُ: عَمِيتُ عَنْ كَذَا، وَعَمِيَ على كَذَا أَيْ لَمْ أَفْهَمْهُ.

٥٤٤. الشرك عمى والتوحيد بصيرة وهدى.

٥٤٥. تفيد أن السعيد من رزقه الله تعالى بصيرة سليمة يبصر بها الحق والهدى.

٥٤٦. تفيد: الحذر من أن يعمى العبد عن الهدى والرحمة، وأن يســـأل ربه أن يريه الحق حقا ويرزقه اتباعه.

٥٤٧. فيها: أنه لا تنازل عن الثوابت، فكلامه رغم لطفه، إشـارات تسـتحق ان يقف عندها معارضـــوه، ففي قوله ﴿فَعُمِّيَتْ﴾ مقابلة لكلامهم في جدالهم: ﴿مَا نَرَاكَ﴾، ﴿وَمَا نَرَىٰ﴾.، ففيه

إشارة إلى السبب الحقيقي في عدم رؤيتهم. وفي قوله ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا﴾ إشارة خفية ليتوقعوا أن ما ينتظرهم عند ربهم أعظم..

٥٤٨. تهدي إلى: أن كره أي شيء يجر إلى العمى عن محاسنه، وعلى المؤمن أن يتقي الله، ويستعيذ بالله من شر نفسه، ويسأل ربه كلمة الحق في الغضب والرضا، وأن لا يغمط الناس، والاشياء حقوقها.. قال الشاعر:

عين الرضا عن كل عيب كليلة لكن عين السخط تبدي المساويا

٥٤٩. تهدي إلى: تلمس علوم أحكام القرآن ومعرفة قواعد شرع من قبلنا، فهذه الآية من ضمن آيات الجهاد وأيضا أحكام الردة بضوابطها وكلام أهل العلم فيها.

٥٥٠. أهمية تنوع الأساليب في الخطاب الدعوي في الموقف الواحد لأن الاستفهام في قوله ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا﴾ للإنكار، أَيْ لَا يُمْكِنُنِي أَنْ أَضْطَرَّكُمْ إِلَى الْمَعْرِفَةِ بِهَا، وإنما قصد نوح عليه السلام بِهَذَا الْقَوْلِ أَنْ يَرُدَّ عَلَيْهِمْ..

٥٥١. تفيد أن مهمة الأنبياء والدعاة بيان الحق للناس وهداية القلوب بيد علام القلوب.

٥٥٢. فيها: أن الإيمان أصله لا يقوم على الإكراه وإنما يدخله الإنسان عن قناعة وتصديق، ومن دخل فيه الزم بأحكامه وقتل إن ارتد عنه.

٥٥٣. فيها: اثبات كراهية بعض دعاة السوء للحق، فقط لأنه لا يتماشى مع أهوائهم أو تقاليدهم ﴿كَٰرِهُونَ﴾.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ [هود: ٢٩].

٥٥٤. فيها مع ما قبلها التدرج في الدعوة والبدء بالأهم فالمهم فلما دعاهم أولا إلى التوحيد وهو أصل الأصول فقد يظنوا أنه يريد بدعوته مالا أو جاها فبيّن لهم أنه لا يريد أجرا منهم..

٥٥٥. تفيد: ترغيب الدعاة إلى الله في لين الخطاب ﴿وَيَٰقَوْمِ﴾.

٥٥٦. تفيد: الترغيب في مخالطة الرسل لأقومهم والصبر عليهم ودعوتهم ومحبة إيصال الخير اليهم.

٥٥٧. فيها: أن أولي القربي أولى بالدعوة والمعروف.

٥٥٨. فيها: اختيار الأولى والأنسب لتنفيذ المصالح الشرعية ﴿وَيَٰقَوۡمِ﴾ ، فهو منهم.

٥٥٩. تأسيس القواعد الاقتصادية ﴿مَالٗا﴾ بتحديد نوع العوض.

٥٦٠. في: تنكير ﴿مَالٗا﴾ أنه لا يريد شيئا من المال قل أم كثر.

٥٦١. تفيد ترغيب الدعاة في التعفف والزهد عما في أيدي الناس وهذا أدعي للقبول.

٥٦٢. فيها: أن الأجر يطلب من الله عز وجل وحده دل على ذلك الحصر المستفاد من النفي والإثبات ﴿إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾.

٥٦٣. فيها: صيانة الدعاة إلى الله وتبرئة ساحتهم من أغراض الدنيا ﴿وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالٗا﴾.

٥٦٤. تفيد: أن النفوس الكبيرة لا تطلب الأجر إلا من الكبير المتعال.

٥٦٥. تفيد: أن التجرد من حظوظ الدنيا في الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى هو منهج الأنبياء، وهو من علامات الإخلاص وأسباب التوفيق.

٥٦٦. تفيد أن تبرئة الداعية ساحته من الحظوظ الدنيوية لا يعتبر رياء ولا يخدش في إخلاصه.

٥٦٧. تفيد أن الناس ينفرون ممن يطلب مالا ممن يدعوهم ويعلمهم، ويحبون من يقدم لهم العلم والخير دون مقابل، ومن هنا أعلن نوح ذلك حتى يتألفهم بالفعل كما تألفهم في الآية السابقة بالقول.

٥٦٨. فيها: إشارة إلى أن أفضل البذل؛ تعليم الناس شؤون دينهم، فالأنبياء ومن كانوا على إثرهم يبذلون الخير؛ ينفعون البلاد والعباد دون مقابل..

٥٦٩. فيها: أنه لما كان التبليغ عن الله من أشرف المقامات؛ ترفع أصحاب هذه الصفة عن استصغار أنفسهم، والنظر لما في أيدي الناس.

٥٧٠. فيها: مكانة التلقين الرباني في تثبيت الرسل.

٥٧١. تفيد: الترغيب في الحق الذي جاءت به الرسل وأن الدعاة إليه يستحقون الأجر لكن من الله عز وجل لا من خلقه المدعوين.

٥٧٢. فيها: تعارض رجاء ما عند الله من الثواب وما عند الناس من عرض كالمال وغيره وترغيب الدعاة إلى سؤال ورجاء الأجر وهو الثواب من الله وحده.

٥٧٣. تفيد الترغيب في علو همة الدعاة إلى الله كونهم يرغبون فيما عند الله لا ما عند الناس ويبتغون ثواب الله، والذي متعلق بالآخرة أعظم لا المال زينه الحياة الدنيا.

٥٧٤. في هذه الآيةِ: أنَّه ينبغي ألاَّ يُؤخَذَ على دعوةِ الناسِ وإرشادِهم مالٌ؛ لأنَّ أَخْذَ المالِ يَجعَلُ يدَ المعطِي العُلْيا، وتَنكسِرُ له النَّفْسُ الآخِذةُ، وتميلُ إليه وتُحِبُّهُ، والنَّفْسُ مجبولةٌ على حُبِّ مَن أحسَنَ إليها، وكلُّ مالٍ يَجعلُ صاحِبَهُ يقولُ الباطلَ أو يسكُتُ عن الحقِّ، فهو سُحْتٌ، وكلُّ آخِذٍ للمالِ أعلَمُ بنفسِه" [١].

٥٧٥. تفيد: أن الداعية كل ما كان أزهد فيما عند الناس وأعظم إخلاصًا وابتغاء للأجر من الله وحده كلما كان أحرص على دعوته وأعظم موالاة لأتباعه وإخوانه" [٢].

٥٧٦. فيها: زهد الداعية في ما عند الناس، وأثر ذلك في قبول دعوته، وتنقص مكانة الداعية بقدر حرصه على ما عند الناس وتزداد مكانته عندهم بقدر زهده فيما عندهم..

٥٧٧. تهدي إلى: إرشاد الداعية والمعلم إلى البعد عن مواضع التهمة، حتى لو كان عمله الدعوي يتطلب دعما ماديا، فلا يعلنه بشكل شخصي، بل تحت مظلة جماعة تتولاه وتنظم إدارته. بعيدا عن شخص العالم نفسه.

٥٧٨. تدل: الآية أن الأمر الذي جاء به الرسول هو أمر نافع؛ لأن الأجرة لا تستحق إلا مقابل المنفعة"[٣].

٥٧٩. تفيد إدراك الرسل عظيم أمرهم وما يترتب عليه من عظيم الأجر، فهو أصلاً مما يستحيل أداؤه من قبل البشر، لذا أوكله لله، ومنه حديثه عليه السلام: "فو اللَّهِ لأنْ يهْدِيَ اللَّه بِكَ رجُلًا واحِدًا خَيْرٌ لكَ من حُمْرِ النَّعم "[٤]. واستصحاب الداعية لهذه الفكرة يهون عليه كل جلل ولا يفوته للحظة الأمل..

٥٨٠. الدين الإسلامي يؤسس لقاعدة عمل الخير ابتغاء وجه الله ﴿إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾.

---

(١) أدب الدين والدنيا ص ٢٦٣.

(٢) أدب الدين والدنيا ص ٢٦٣.

(٣) تفسير الشعراوي ١١/٦٤٤١.

(٤) أخرجه البخاري ٤/٤٧، ومسلم ٤/١٨٧٣..

٥٨١. فيها: أدب الأنبياء في التعامل مع أتباعهم ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ﴾.

٥٨٢. فيها: أنه لا يعني التألف واللطف في الدعوة التذلل وإعطاء الدنية في الدين بتاتاً، ففي الدعوة أمور لا تقبل النقاش، فنوح عليه السلام القائل: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ﴾هو ذاته القائل: ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ﴾.

قال الشاعر:

لا يغرنك وجه راق منظره فالسيف فيه المنايا وهو بسام

٥٨٣. فيها: أنه على صاحب الدعوة أن يشعر أهلها بالعزة والانتماء والتمسك بهم والفخر بوجودهم ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ﴾.

٥٨٤. فيها أن ميزان التفاضل بين الناس يقوم على الإيمان والعمل الصالح المثمر للقوي.

٥٨٥. فيها: أن الايمان يكفل لصاحبه الإيواء ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ﴾.

٥٨٦. خطورة وحساسية الموقف من المستضعفين في الدعوة، لأنهم صنف وجد في الإيمان خلاصاً وقسم دفع ثمن الإيمان غالياً فاستحقوا من اللطيف خصوص رعاية وتوصية للرسل بهم﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ﴾.

٥٨٧. تفيد إصرار نوح عليه السلام على صحبة المؤمنين وعدم طردهم لذلك قال: ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ﴾ فاستعمل اسم الفاعل فلن يطردهم لا في الحال ولا في المستقبل.

٥٨٨. فيها: أن أهل الإيمان حقهم الإعزاز والإكرام والإعظام لا الطرد والإبعاد"[(١)].

٥٨٩. فيها: إثبات البعث ولقاء الله ﴿إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ﴾، وفيها شعار لمن تدبر بردع كل ظالم عن ظلمه وتطمين كل مظلوم برد مظلمته عند لقاء الله.

٥٩٠. في: قوله تعالى: ﴿إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ﴾ فيها من رسائل: للمستضعفين إعلان مساواتهم بغيرهم وكرامتهم عند ربهم بأنهم سيلاقونه ويؤخذ لهم بحقهم، لكفار قوم نوح: بأن يحسبوا حساب ذاك اليوم الذي سيكون فيه الأراذل خصماء لهم أمامه تعالى.

---

(١) تفسير السعدي ١/٥٩٤.

٥٩١. تفيد: أن إنكار البعث ولقاء الله سببه الجهل بالحق والجهل بالله.

٥٩٢. تهدي إلى: كرامة المؤمنين الضعفاء على ربهم، وهل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم، بصلاتهم وصيامهم ودعائهم.

٥٩٣. فيها: تشريف المؤمنين بربوبيتهم لله بعودة الضمير عليهم ﴿رَبِّهِمْ﴾.

٥٩٤. فيها: تبصير الجاهل بجهله من كشف الحقيقة وإجلائها أمام عينه ﴿وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾..

٥٩٥. تفيد أن من جهل شيٌ عاداه.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [هود: ٣٠].

٥٩٦. فيها تلطف الداعية مع قومه.

٥٩٧. فيها صبر الداعية وطول نفسه ورفقه؛ فما زال نوح عليه السلام يواصل في دعوته بأسلوبه الراقي وكلماته المهذبة وحواره المقنع، فهو كما قال عن نفسه: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارًا ۝٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ۝٧ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝٨ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۝٩﴾ [نوح: ٥ – ٩].

٥٩٨. وفيها أن المصلح يستمد نصر الله في دعوته من طاعة ورضا ربه.

٥٩٩. وفيها خشية الأنبياء من الله تعالى، وكذا أهل العلم من الدعاة والمصلحين.

٦٠٠. فيها: أن عذاب الله لا يرد ولا يمنع.

٦٠١. فيها: أن الأنبياء كغيرهم من البشر؛ متوعدون بعذاب الله إن خالفوا أمره ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ۝٤٤ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ۝٤٥ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ۝٤٦ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ﴾ [الحاقة: ٤٤ – ٤٧].

٦٠٢. تفيد: عدم الغلو في الانبياء مع أنهم أكمل الخلق فغيرهم من الصالحين من باب أولى.

٦٠٣. تفيد: أن الله يعاقب الذين يطردون المؤمنين، وأنهم لا ناصر لهم قط من هذا العقاب.

٦٠٤. تفيد: أن أهل المرء وعشيرته، لن يغنوا عنه من الله شيئا؛ إن هو خالف أمره وآذى المؤمنين.

٦٠٥. فيها أن أذى المؤمنين (وخاصة ضعفاؤهم) يجلب غضب الرب.

٦٠٦. خطورة أذى المسلمين فإن كان هذا الوعيد لمن أذاهم (معنويا) بطردهم فكيف بمن يؤذيهم حسيا ومعنويا بالسجن والتعذيب.

٦٠٧. فيها أن من ينصره الله فلا غالب له ومن يخذله فلن تجد له نصيرا.

٦٠٨. فيها أن الله ينتقم لأوليائه.

٦٠٩. تهدي إلى: أن من أرضى الناس بسخط الله، سخط الله عليه وأسخط عليه الناس.

٦١٠. فيها: شيوع ثقافة الاعتذار في خلق الأنبياء الكرام وتوظيفها في هداية الناس ودعوتهم.

٦١١. تشير إلى انقطاع حجج الكفار أمام كلام وحجج الأنبياء؛ لأنه سألهم عن الناصر من عذاب الله فلم يجدوا جوابا؛ وألا تراه يقول في اللاحق: ﴿قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [هود: ٣٢]، فقط حادوا عن الجواب ورموه بالجدال..

٦١٢. فيها عدم استجابة الداعية لمطالب المدعوين (مع حرصه على هدايتهم) إن كانت مخالفه لشرع الله.

٦١٣. تهدي إلى: أن نسيان الإنسان لأصل نفسه، تجعله يتكبر على الضعفاء ويطلب مالا يصح، إنسانية وديانة، ولذا قال: ﴿وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [هود: ٣٠] يا ناسيا تذكر، ما يردك لإنسانيتك، وكونك تحت سلطان الله.

٦١٤. فيها تذكير الغافلين بأبلغ الأساليب لعلهم يتذكرون وعدم اليأس من تذكرهم واستجابتهم.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ٣١].

٦١٥. فيها فراسة الداعية ونباهته في معالجة المدعوين وقراءة أحوالهم والتعامل معها بحسب ذلك.

٦١٦. فيها استباقية الأحداث وتبين الشبهات، وبالجملة قطع الطريق على العدو أو المحاجج.

٦١٧. يستفاد من الآية ضرورة إلمام الداعية بالمحيطين به من المدعوين وذلك فيما يتعلق بطرق تفكيرهم ومستوى عقولهم، ومخاطبتهم بناء على ذلك، فقد بيّن نوح عليه السلام خصائصهم العقلية ووجه لهم الخطاب على مستوى عقولهم، وقد كشف لهم محددات تفكيرهم الدافعة لهم

لاتباع ما يرونه مستحقا للاتباع، وذلك من خلال البعد المادي المحبوب لديهم (الخزائن)، والمقدرة على الإخبار بالجانب المخفي المجهول المخيف لديهم (علم الغيب)، والقوى غير الطبيعية التي يمكن الاستسلام لها (مَلَك). فلماذا تستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير.

٦١٨. تفيد أنَّ اللّائِقَ لِكُلِّ أحَدٍ ألّا يَبُتَّ القَوْلَ إلّا فِيما يَعْلَمُهُ يَقِينًا، ويَبْنِي أُمُورَهُ عَلى الشَّواهِدِ الظّاهِرَةِ، ولا يُجازِفُ فِيما لَيْسَ فِيهِ عَلى بَيِّنَةٍ ظاهِرَةٍ.

٦١٩. فيها: تواضع الأنبياء، وأنهم لا يتشبعون بما لم يعطوا، وأنهم أصدق الناس وأبرهم.

٦٢٠. فيها: التزام الأنبياء الأدب مع ربهم، وأنهم لا يتألون على الله. وفي الحديث الصحيح: "قال رجل: والله لا يغفر الله لفلان، فقال الله: من ذا الذي يتألى علي أن لا أغفر لفلان؟ إني قد غفرت له، وأحبطت عملك" (١).

٦٢١. فيها: صدق الداعية وصراحته.

٦٢٢. أشارت -بنفي ملكه خزائن الله بالقول: ﴿وَلَآ أَقُولُ﴾، دون النفي المباشر: (ولا أملك)- إلى سَوْغ إطلاق الملكية على بعضٍ من خزائن الأرزاق مجازا، بخلاف قوله في علم الغيب، فإنه نفاه مباشرة بقوله: ﴿وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ﴾.

٦٢٣. تهدي إلى: أسلوب التجرد من حظوظ النفس، ومن أوهام الغلو في الصالحين، فإن ما في الآية لم يصح لنبي، فمن باب أولى لم ولن يصح لولي، إن كان حقا وليا.

٦٢٤. تهدي إلى: عوامل علاقات نفي التوهم الباطل من نفوس المدعوين والعامة، ملك الخزائن، علم الغيب، الشخصيات الخارقة ممن لها علاقة بما وراء المشاهدات الأرضية كالملائكة)، وإثبات السلطان والملك والعلم ظاهره وباطنه لله.

٦٢٥. فيها تأكيد على ما مر من أن الغرض ليس دنيويا، فكما أنه لا يطلب منهم مالا مقابل دعوتهم، فكذلك لا يملك خزائن الله حتى يدفع إليهم من ذلك شيئا مقابل إيمان أحد به.

٦٢٦. أشارت إلى أن العبد مهما بلغت ثروته فلا يصل إلى حد الاستغناء المطلق، بحيث يكون كمن ملك خزائن الله، وعليه فهو محتاج إلى الله دائما.

---

(١) أخرجه مسلم ٤/٢٠٢٣.

٦٢٧. فيها رد عليهم في شبهتهم من أنه لم يتبعه إلا الذين وصفوهم بالفقر والدون، فبين أنه لا يملك خزائن الله ليمَكِّنه ذلك من تحويل حالهم، إلى حال الغنى والعز بالمال.

٦٢٨. فيها أن لله سبحانه وتعالى خزائن ﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [المنافقون: ٧]، وفي ضمنها توجيه للتعلق به وسؤاله من فضله العظيم وخزائنه الملآ التي لا تغيضها نفقة.

٦٢٩. فيها رد عليهم في إنكارهم فضله بقولهم: ﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلٍ﴾ أنه لم يدّع عليهم فضلا بِغِنًى ناتج عن اشتماله على خزائن الله حتى يجحدوا فضله.

٦٣٠. فيها إشارة إلى خطورة واقع المشعوذين والنصّابين، من ادعاء علم الغيب والنظر في أحوال الناس ومستقبلهم؛ فإن طريقة براءة نوح – عليه السلام – من علم الغيب – رغم كونه نبيا ومن أولي العزم – ملفت للأنظار إلى أنه مما لا يتهاون في ادّعائه..

٦٣١. فيها أن علم الغيب من أعظم صفات الرب سبحانه وتعالى وهو مما اختص به ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾ [النمل: ٦٥].

٦٣٢. فيها: أن الحواس تترجم ما في القلوب فها هي العيون تزدري القلوب كالقدور والسنتها مغاريفها.

٦٣٣. نظرات العيون تخفي وراءها لغة لا يتفطن لها إلا الدهاة من الدعاة.

٦٣٤. تعبيرات الوجه وخاصة التي تتم عن طريق العيون لها فاعلية كبيرة في توصيل الرسائل المعبرة عن الاتجاهات والميول نحو الآخرين والعلاقات معهم.

٦٣٥. فيها: عدم الحكم على المسلمين بالشر، أو القدح فيهم بسوء النية، ويوكل أمرهم إلى الله.

٦٣٦. تفيد: الحذر من ازدراء المؤمنين والتقليل من شأنهم. وقول النبي – لما ضحكوا من دقة ساق ابن مسعود –: "والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من جبل أحد"(١).

٦٣٧. تفيد أن من أنواع الظلم احتقار الآخرين والنظر إليه بعين الاستضعاف والازدراء وحط أقدارهم لأي سبب من الأسباب.

---

(١) غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام ٢٣٨/١، وحسنه الألباني.

٦٣٨. تهدي إلى: خلق الإنصاف من النفس، ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡۖ إِنِّيٓ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

٦٣٩. تفيد: أهمية إكرام العالم والداعية لمن هم معه في طريق الهداية وعدم التأثر بما يقال عنهم أو يحاول الحط من قدرهم، ﴿إِنِّيٓ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ يعني: إن طردتهم فلم أقبل منهم الإيمان، بسبب احتقاركم إياهم.

٦٤٠. تهدي إلى: بيان علاقة ازدراء واحتقار الناس، ونفي حصـــول الخير لهم بالقطع بالحكم فيهم هو حكم ظالم جائر، لا نصيب له من العدل والانصاف.

٦٤١. فيها عدم احتقار الضـــعفاء، فعن أبي الدرداء قال: سمعت النبي ﷺ يقول: (ابغوني ضعفائكم فإنما ترزقون وتنصرون بضعفائكم "[1].

٦٤٢. فيها: التحذير من الظلم.

قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [هود: ٣٢].

٦٤٣. فيها: ســـوء أدب الكفار وتطاولهم على الأنبياء؛ لقولهم: ﴿يَٰنُوحُ﴾، والثانية: ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾.

٦٤٤. فيها مشروعية المجادلة بالتي هي أحسن لبيان الحق وإقامة الحجة على المعاند.

٦٤٥. فيها: أن المجادلة لإيضاح الحق مشروعة.

٦٤٦. ينبغي للداعية أن لا يفتر ولا يمل بنشـــر الهداية والخير والعلم بين الناس وهكذا كان نوح عليه الســـلام ولذا قالوا ﴿قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا﴾ ولم يقولوا تجادلنا وقالوا ﴿فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا﴾ ولم يقولوا كثر الجدال بيننا، دليل على أن نوح عليه السـلام هو الذي كان يتعرض لهم ويدعوهم ولم يتركهم بل كان يلاحقهم في كل مكان ليدعوهم الى ربهم.

٦٤٧. وفيها: أن جدالهم بالباطل. وبعدما تبين الحق وهذا جدال مذموم.

٦٤٨. فيها: أهل الباطل، يرمون أهل الحق ويتهمونهم بمختلف التهم؛ والتي منها: اتهامهم "بالجدال".

---

(١) أخرجه الترمذي ٤/٢٠٦، وقال: حديث حسن صحيح.

٦٤٩. فيها: أن المعاند المستكبر آخر حلوله في مواجهة أهل الحق، استعجال العقوبة سخرية واستهزاء، وفيها: قولهم ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾ سخرية به، نظيرها قول كفار قريش للنبي ﷺ ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: ٣٢].

٦٥٠. تهدي إلى: أن من عاش الدعوة، ونافح، وجادل عنها وخاصم دونها وبلسانها فسيجد شيئا كثيرا، فالصبر الصبر، فإنما هو البلاغ، والتوفيق بيد الله.

٦٥١. فيها جهل وضلال قوم نوح حيث قابلوا المعروف بالمنكر والخير بالشر والدعوة إلى ما فيه نجاتهم بطلب ما فيه هلاكهم ودمارهم.

٦٥٢. تهدي إلى: الاعتبار بنظائر الضد، أفنى عمره عليه السلام حريصا عليهم، واعتبرها المجرمون مذمة له ومسبة لا منقبة (أكثرت)، وفوق ذلك يجاسرون بالطغيان التحدي ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾.

٦٥٣. من منهج نوح عليه السلام في دعوة قومه أنه يكثر من وعده لهم بالجزاء الرباني يدل على ذلك قولهم بالفعل المضارع ﴿تَعِدُنَا﴾ ولم يقولوا بما وعدتنا بالفعل الماضي..

قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ [هود: ٣٣].

٦٥٤. فيها أن سنة الله ماضية فيمن كذَّب رسله وطغى وبغى أن ينزل عليهم عقابه ويسومهم سوء العذاب.

٦٥٥. فيها ادب مع الله ﴿إِنْ شَاءَ﴾ نظيرها قول مؤمن آل فرعون ﴿يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾ غافر: ٢٨

٦٥٦. فيها أن التشتت قد يسبب تشتتا بين أعمالنا قصوراً في أدائنا... وبنظرة لما سبق من الآيات المتعلقة بنوح عليه السلام نجد مركزية هدفه ووحدته ووضوحه تماماً له، فكلامه كله – حرفياً– يدور حول رد كفار قومه إلى الله تعالى والتوحيد، بينما انصب كلام معارضيه على شخصه، كان دائماً يرجع الأمر كله وبقوة إلى الله وحده.

٦٥٧. فيها: ورع الأنبياء ودقتهم في حديثهم عن الله، وخوفهم من التألي على الله؛ حيث علق مجيء العذاب على مشيئة الله؛ وليس هذا فحسب، بل لأن الله قادر أن يهديهم؛ وتصديقه في قوله: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ [الأحزاب: ٢٤].

٦٥٨. فيها ما كان عليه الأنبياء من الصبر والحلم والجدال بالتي هي أحسن والقول البليغ.

٦٥٩. تهدي إلى: أن الرحمة واللين مع المدعوين وتفويض الأمر لله.

٦٦٠. فيها: إثبات المشيئة لله.

٦٦١. تفيد: أن الأمر كله بمشيئة الله وحكمته ﴿إِن شَآءَ﴾ فإن قضت مشيئته وحكمته بتعجيله عجله لكم، وإن قضت مشيئته وحكمته بتأخيره أخره، الأنبياء لعلمهم بكمال مشيئته وحكمته يفوضون الأمر إليه.

٦٦٢. تفيد أهمية أسلوب الترهيب مع المتكبرين ﴿قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ﴾ وفيه ما لا يَخْفى مِن تَهْوِيلِ المَوْعُودِ، فَكَأنَّهُ قِيلَ: الإتْيانُ بِهِ أمْرٌ خارِجٌ عَنْ دائِرَةِ القُوى البَشَرِيَّةِ وإنَّما يَفْعَلُهُ اللَّهُ تَعالى. وفِي الإتْيانِ بِالِاسْمِ الجَلِيلِ الجامِعِ تَأْكِيدٌ لِذَلِكَ التَّهْوِيلِ"(١).

٦٦٣. يوحي تعليق موسى عليه السلام العذاب بالمشيئة إلى عدم معرفته إن كانت ستعجل لهم في الدنيا أو ستكون في الآخرة، وفيها صبر من نوع آخر، فلا يسأل المولى تعالى (متى هو) رغم طول المدة وشدة ما يجد من الكفار.

٦٦٤. فيها أن الخلق جميعا كلهم في قبضة الله عز وجل وتحت تصرفه ومشيئته فهو سبحانه القادر والمتصرف لا يفوته شيء ولا يفلت منه هارب.

٦٦٥. تشير إلى: حلم الله وقوته في الوقت عينه، وأن كل شيء عنده بأجل مسمى؛ فإنه إن أخر العذاب، فلوقت مقدور ولحكمة بالغة ولعلهم يرجعون؛ لقوله: ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾، فكأنه يقول: وإن تأخر العذاب، فأنتم لستم بمعجزين؛ سيأتيكم به - إن شاء - في العاجل أو الآجل. وتصديقه: ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ [الأنعام: ١٣٤].

٦٦٦. تفيد: كمال قدرته وشدة بطشه وهو القوي العزيز العظيم.

---

(١) روح المعاني ٦/٢٤٥.

٦٦٧. فيها: ضعف الكافرين فلا يغتر بهم فإنهم لا يعجزون الله عز وجل.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِيٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [هود: ٣٤].

٦٦٨. عبودية الداعية بذل الدعوة.. والنفع يكون بيد الله ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ﴾.

٦٦٩. في تصريح نوح – عليه السلام – بعدم جدوى النصح لهم، بيانٌ لهم عن خطورة جرأتهم ومجاهرتهم بالتحدي واستعجال عذاب الله، ودليل على أن غضب الله ومقته ربما كان لزاما وعاجلا في مثل هذه الحال، كما قال نبينا ﷺ: (كل أمتي معافى إلا المجاهرين..."[1] الحديث، متفق عليه.

٦٧٠. فيها افتقار الداعية لله في دعوته.. فلا يعتمد على (لغته بيانه أسلوبه وسيلته..).

٦٧١. أفادت أن مجادلته لهم إنما كان على سبيل النصح شفقة عليهم، وإنقاذا لهم من عقاب الله العاجل والآجل، وليس من قبيل المجادلة المذمومة..

٦٧٢. تهدي إلى: بيان فضل النصيحة، وقمة صبر الانبياء عليهم السلام فيها.

٦٧٣. وفيها أن الأنبياء أنصح الخلق للخلق.

٦٧٤. تفيد أن من إمارات الغواية عدم الاستماع للنصح، إذا أراد الله بعبده خيرا، وفقه لقبول النصح والعمل به.

٦٧٥. ففيها: تحذير لأولئك الذين يتذمرون من النصح ويعرضون عنه؛ فإن النصح رزق يسوقه الله للعبد؛ ولا يرد الرزق إلا محروم.

٦٧٦. فيها: المواظبة على النصيحة، وأن ذلك دأب الأنبياء؛ لقوله: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِيٓ﴾، ولم يقل: "نصيحتي".

٦٧٧. فيها: رد على الجبرية؛ لأنه أثبت لنفسه إرادة ﴿إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ﴾.

٦٧٨. بينت أن الأمر كله لله، يهدي من يشاء ويضل من يشاء، وأنه فعال لما يريد، ولا معقب لحكمه، وأن من أراد الله فتنته فلن يملك له أحد منه شيئا.

---

(١) أخرجه البخاري ٨/٢٠، ومسلم ٤/٢٢٩١.

٦٧٩. فيها أن الهداية والغواية بيد الله سبحانه وتعالى يهدي من يشاء ويعافي فضلا ويضل ويخذل من يشاء عدلا.

٦٨٠. فيها: أن من سبق الحكم له بالضلالة، لم ينفعه النصح ولا بسط الدلالة.

٦٨١. أشعرت – بتعبيرها بـ: ﴿كَانَ﴾، والفعل المضارع: ﴿يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ﴾- بتقدم إرادة الله زمانا كتقدمها رتبة، كما أشعرت بأن غوايتهم كانت متجددة مستمرة.

٦٨٢. تهدي إلى: إثبات الإرادة الكونية لله، ونفي هداية التوفيق عن قوم مجرمين، لا ينتفعون بالنصح ولا يقبلونه.

٦٨٣. دلت على جواز تعلق إرادة الله تعالى بالإغواء، وأنها نافذة لا محالة، وأنه إنما يغويهم بما جرت به سنته بإضلال من يُضلّ بما كسبت أيديهم، وباكتسابهم الأسباب الموجبة لذلك، كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [المنافقون:٣].

٦٨٤. فيها: رد على القائلين بأن ضلال العبد من عند نفسه.

٦٨٥. في إسناد الرب إليهم ترغيب لهم في إحسانه وترهيب لهم من انتقامه؛ ليكفوا عن التكذيب والتعنت، ويبادروا بالتوبة إليه قبل فوات الأوان.

٦٨٦. في إسناد الرب إلى ضميرهم: ﴿هُوَ رَبُّكُمْ﴾تذكيرهم وتنبههم على معرفتهم بربهم وخالقهم، فهو الناظر في مصالح العباد، وهم تحت تصرفه ومشيئته..

٦٨٧. فيها إشارة إلى المبدأ والمعاد؛ فلازم ربوبيته – سبحانه – مقتض بدئه للخلق وإنشاءَه، وحِكمةُ الخلق: العبادة، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ الذاريات: ٥٦ وتحتم حسابهم على القيام بحق العبادة من عدمه، فكان لا بد من الرجوع إليه، فلا جرم هم صائرون إليه، للحساب يوم المعاد..

٦٨٨. فيها تأكيد المعاد بحصره على الله؛ لما في الآية من تقديم: ﴿وَإِلَيْهِ﴾ [هود: ٣٤] فالمرجع إلى الله لا إلى غيره..

٦٨٩. أفادت قراءة البناء لما لم يسمى فاعله: (تُرجَعون)، رجوع الكفار إلى الله قهرا ورغما عنهم.

٦٩٠. فيها بيان أن الرجوع الى الله عز وجل وأن المصير إليه لذا فعلى المسلم الصادق مراقبة الله عز وجل وخشيته في الغيب والشهادة وإحسان العمل واتقانه والمسارعة في الخيرات.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَيَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ﴾ [هود: ٣٥].

٦٩١. تفيد: أن الكفر، يكون بالقول؛ كما يكون بالفعل والاعتقاد؛ لقوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ﴾، وهذا كفر بقرينة ما بعدها: ﴿لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾ [نوح:٣٦].

٦٩٢. تفيد استمرار هذه الفرية وتكرار هذه الشبهة وهي زعمهم افتراء القرآن؛ دل على ذلك الفعل المضارع ﴿يَقُولُونَ﴾، وهذا على القول: بأن الآية الكريمة تتكلم عن النبي ﷺ وهي معترضة في قصة نوح عليه السلام..

٦٩٣. تفيد: استحالة وامتناع افتراء القرآن الكريم لذلك قال: ﴿إِنِ﴾وقد قال تعالى في سورة يونس قبلها: ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ٣٧].

٦٩٤. تفيد: أن الافتراء على الله، جُرم..

٦٩٥. فيها: التنزل مع الخصم لإلزامه الحجة.

٦٩٦. تفيد عناية الله تعالى برسوله حيث يلقنه الحجة البينة في الرد على الكفار﴿قُلْ﴾.

٦٩٧. تفيد أهمية تعلم رد الشبهات التي يذكرها أهل الباطل.

٦٩٨. تفيد أهمية الاقتداء بمنهج القرآن في رد الشبهات بحيث يكون بكلام مختصر جامع﴿قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَيَّ إِجْرَامِى﴾.

٦٩٩. فيها: أن كل إنسان محاسب على ما اجترح ولا تزر وازرة وزر أخرى؛ لقوله: ﴿فَعَلَيَّ إِجْرَامِى﴾.

٧٠٠. فيها: البراءة من الكفار وأهل الجرم والمفترين على الله.

٧٠١. تفيد أهمية الشجاعة في مواجهة أهل الباطل والرد على شبهاتهم بكل ثبات.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ [هود: ٣٦].

٧٠٢. فيها مناسبة دقيقة استدعت النعي عليهم بالهلاك، بعد استعجالهم بالعذاب وتضجرهم من الجدال مع نوح عليه السلام؛ فإذا لم ينفع معهم الجدال الحسن تحتم بيان مصيرهم؛ تنزيها لمقام الرسالة والوحي من العبث والضياع..

٧٠٣. في بناء الإيحاء لما لم يسم فاعله: ﴿وَأُوحِيَ﴾ تعظيم لله وبيان لعزته وتفرده بالوحي؛ فلما عُلم نفيُ اشتراك غيره معه في الإيحاء، حسن البناء هكذا؛ لأنه لا ينصرف إلا على من يصح منه وهو الله رب العالمين.

٧٠٤. تفيد بلاغة القرآن الكريم وذلك في ايجازه في قوله: ﴿وَأُوحِيَ﴾ ؛ لأن من يوحي إليه معلوم وهو الله عز وجل، وقد جاء في الخلاصة:

وحذف ما يُعلم جائز كما تقول زيد بعد من عندكما

٧٠٥. دلت على اختصاص الله تعالى بعلم الغيب؛ فقد أطْلع نبيه نوحا على أمر غيبي مستقبلي، بحكم اختصاصه بعلم الغيب.

٧٠٦. تفيد: أن الأنبياء لا يعلمون الغيب.

٧٠٧. أفادت – بضمير الشأن: (أن) في: ﴿أَنَّهُۥ﴾ – أن ما سيأتي بعده من شأنهم أمر خطير، لكونه تأييسا لنوح – عليه السلام- من إيمان من لم يؤمن من قومه، وأن ذلك خبر محزن وشديد عليه؛ لذلك فرع عليه التسلية بـ (فاء) التفريع، في: ﴿فَلَا تَبۡتَئِسۡ﴾.

٧٠٨. في التفات الكلام من الغيبة إلى الخطاب: ﴿قَوۡمِكَ﴾اهتمام بشأنه وتأكيد لمضمون الخبر، وتصوير له.

٧٠٩. فيها تسلية لنبي الله نوح عليه السلام، وجبر له مما تعرض له من قومه.

٧١٠. فيها إشارة إلى مدى الضيق والأذى الذي تعرض له نوح – عليه السلام – مع قومه؛ ما وصل به إلى حد الابتئاس من ذلك..

٧١١. يؤخذ منها كراهية حزن الداعية وتأسفه على ما يلاقيه في سبيل دعوته من أذى ومضايقات من قبل أهل الباطل والفساد؛ فإن الله نهى نوحا – عليه السلام – عن الابتئاس بأفاعيل قومه.

٧١٢. في تعقيب نهي نوح عن الابتئاس، على نعي الله عليه بعدم إيمان قومه، إرشـاد له أن لا يحسـب ذلك مذلة لدين الله؛ فإن دين الله عزيز وإن قلَّ المتمسـكون به، والباطل ذليل ولو كثر المروّجون له.

٧١٣. يستفاد منها أن الأنبياء كانوا حريصين حرصا شديدا على تخليص أقوامهم من الكفر والشرك والفسوق؛ ولذلك كان يحزنهم عناد أقوامهم وعدم استجابتهم لذلك.

٧١٤. يفيد التوجيه بالنهي عن الابتئاس بخطورته على الإنسان.

٧١٥. يستفاد من ذلك الانتباه إلى ضرورة الاهتمام بالصحة النفسية.

٧١٦. فيها النهي عن الحزن لأنه يضعف مسيرة الداعية ويشغله عن دعوته ويضعف قلبه.

٧١٧. يفيد أن الابتئاس من الحالات السالبة غير المرغوبة، والتي ينبغي التخلص منها.

٧١٨. على الداعية والعالم الرباني أن يقتدي بهدي الانبياء عليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم وأن يكون منهجهم في الدعوة إلى الله نبراس يقتدي به في كل الظروف والأزمان ومن ذلك أن لا يبتأس ولا يتقهقر عن دعوته إلى الله بمقتضياتها الشرعية وأصولها الربانية.

٧١٩. دلت – بتعبيرها ب: (كان) في سياق الجملة الفعلية على صيغة المضارع: ﴿كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾ – على رسوخ قوم نوح في مضايقته وإضراره بشتى أنواع الأذى، بصفة متجددة متكررة مستمرة.

٧٢٠. فيها: أن الاستمرار في الكفر والعناد، يسبب طبع القلب وعدم الإيمان كما قال تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأنعام: ١١٠].

٧٢١. تفيد كمال علمه وحلمه جل وعلا .

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَـٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾ [هود: ٣٧].

٧٢٢. فيها من المناسبة أنه: لما نهى الله سبحانه نوحا عليه السلام عن الابتئاس بفعلهم مع شدة جرمهم. أمره بصنع الفلك إيذانا بسبل النجاة.

٧٢٣. فيها أيضا مناسبة في نهي الله نوحا عن مخاطبته في الظالمين عقيب ذكر الوحي مناسبة قوية تشير إلى أهمية الوقوف عند الوحي والنصوص؛ لأن الأوامر والنواهي إنما تأتي عن طريق الوحي، فالنهي عقيب ذكره تنبيه على أهمية التقيد بهذا النهي الذي هو واحد من مضامينه.

٧٢٤. فيها مناسبة دقيقة أيضا حيث بينت وجه خلاص نوح ومن آمن به من قومه الفجرة؛ عقيب بيان بقائهم على كفرهم والإيماء إلى هلاكهم؛ فكان من اللائق رسمُ طريق لنجاتهم؛ لذلك أُمر بصنع الفلك هنا.

٧٢٥. فيها: إشارة إلى اختصاص الله تعالى بالوحي؛ للإضافة المقترنة بنون العظمة: ﴿وَوَحْيِنَا﴾.

٧٢٦. فيها: إرشاد إلى تعظيم الوحي واستشعار مكانته المرموقة؛ فإن الله تعالى اختص به وأضافه إلى نفسه، على طريقة العظمة والكبرياء: ﴿وَوَحْيِنَا﴾.

٧٢٧. أشارت إلى بذل نوح – عليه السلام – جهدا كثيفا في عمل السفينة، وعلى أن أمر الله له بذلك كان مقترنا بالإتقان والجودة في صُنعه؛ لما لأصل اشتقاق الصنع من دلالة لغوية على عمل الشيء بحذاقة وإتقان.

٧٢٨. فيها: توجيه لأرباب الحرف والصنعة، أن يستعينوا بالله على صنعتهم؛ فيوقنوا ويستحضروا أن إنجازهم ونجاتهم من المخاطر المحيطة بهم، بيد الله وعنايته.

٧٢٩. يفهم منها: أن الإسلام، يحث على "الصنعة"؛ بل ورد ما يدل على أن "الصنعة" من النعم التي امتن الله بها على عباده؛ وتصديقه: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ﴾[الأنبياء ٨٠]، وتأمل: ﴿فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ﴾ [الأنبياء ٨٠].ولا يخفى أن الكفار يسعون في الحيلولة بين المسلمين وبين تعلم "الصنعة"، والترويج في الأمة أن ذلك عيب؛ ليكونوا محاويج وغير مستقلين. وتأمل هذه الكلمات المباركة التي ترد عليهم وتحذر منهم ﴿لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ﴾، أي: لتحميكم من فتك السلاح بأجسامكم.

٧٣٠. فيها: أن صناعة السفن من أهم الصناعات لما فيها من منافع وقوة ولا يخفى أن السيطرة على البحار من أعظم مظاهر القوة العسكرية؛ ولذلك صنع الكفار حاملات الطائرات والبوارج العسكرية لتضمن لهم التفوق والسيطرة.

٧٣١. تفيد: أن من أعظم ما يخفف عن العبد عناء التعب والإرهاق بعد مجهودات الأعمال الدنيوية الشاقة أن يلجأ إلى مناجاة الله تعالى ومخاطبته فإن في ذلك راحة عظيمة لنفوس وأبدان عباد الله الصالحين؛ لقوله تعالى: ﴿وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا وَلَا تُخَٰطِبۡنِي﴾ أي: ابدأ في صناعة الفلك وخاطبني وناجني بعد فراغك من العمل اليومي الشاق لتكون تلك المخاطبة والمناجاة راحة لك مما أصابك من التعب والإرهاق ولكن لا تخاطبني في هؤلاء، ولهذا كان النبي ﷺ يقول في أعظم شعيرة يومية فيها المخاطبة والمناجاة بين العبد وربه.

٧٣٢. في: هذه الهداية قد تفتح الآفاق للمتأملين في مناسبة تكرار بعض العبارات والجمل في القصص القرآني؛ حيث تكرر النهي عن المخاطبة في الذين ظلموا في نفس الآية التي فيها الأمر بصناعة الفلك دون غيرها من العبارات الأخرى في سورتي هود والمؤمنون.

٧٣٣. تفيد أن القرآن الكريم يفسر بعضه بعضا؛ قال تعالى في هذه السورة: ﴿وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْۖ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ﴾. وقال تعالى في سورة المؤمنون: ﴿فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ أَنِ ٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسۡلُكۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ مِنۡهُمۡۖ وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْۖ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ﴾ [المؤمنون: ٢٧].

٧٣٤. تفيد عظيم رحمة الله بعباده، ورحمة الأنبياء بالخلق؛ إذ يطلب من نوح عليه السلام أن لا يخاطبه بالاعتذار للقوم الذين كفروا.

٧٣٥. بينت أن من سنن الله الكونية أن جعل الأسباب وسائل للغايات؛ فأمر الله نبيه نوحا بصنع السفينة لتكون وسيلة لنجاته ومن معه من المؤمنين، وإرشادا للخلق من بعده إلى الأخذ بالأسباب لقضاء الحوائج، وإلا فإنه – تعالى – قادر على إغراق وإنجاء من شاء دون سفينة، واقرأ – إن شئت – قوله تعالى عن نجاة موسى وإغراق فرعون وقومه: ﴿وَأَزۡلَفۡنَا ثَمَّ ٱلۡأٓخَرِينَ ٦٤ وَأَنجَيۡنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ ٦٥ ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ﴾ [الشعراء: ٦٤ – ٦٦].

٧٣٦. فيها أن الله تعالى لا يضيع أولياءه، وأن الرسل عليهم السلام، والسائرين على نهجهم يتمتعون بعناية ربهم الخاصة، وتوفيقه وإلهامه لهم، قال تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠].

٧٣٧. فيها إشارة إلى فضل نبي الله نوح، وخصيصة من خصائصه عليه السلام؛ لكونه أول من صنع الفلك بتعليم الله تعالى ورعايته؛ فكان كل صانع للفلك من بعده مقلدا له، ومقتفيا أثره.

٧٣٨. فيها: العناية الالهية والتوجيه الرباني لصناعة الفلك ﴿بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا﴾.

٧٣٩. أفادت: أن حكم الله تعالى إذا تبين في أمر لزم الاستسلام له، والشروع في تنفيذه على الفور، دون استطراد في المجادلات والاستكشاف عن المخارج، كما قال تعالى عن إبراهيم عليه السلام في هذه السورة: ﴿يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَآۖ إِنَّهُۥ قَدۡ جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ﴾ [هود: ٧٦].

٧٤٠. أشارت: إلى شدة غضب الله ومقته للمكذبين؛ حيث وصل إلى نهي نبيه ووليه من مجرد مخاطبته في شأنهم، فضلا عن شفاعته فيهم.

٧٤١. وفيها: نهي عن الشفاعة. فالشفاعة لها شرطان: الرضا والإذن، وإن الشرط المتعلق بهم لا يتحقق فيهم.

٧٤٢. تفيد: النهي عن الشفاعة في الظالمين وهذا أمر قد يتورط فيه أصحاب النية الحسنة.

٧٤٣. في التعبير بالموصول: ﴿ٱلَّذِينَ﴾ووضع الظاهر موضع المضمر في: ﴿ظَلَمُوٓاْ﴾– إذ صرح بظلمهم، ولم يقل: ولا تخاطبني فيهم – تسجيلٌ عليهم بوصف الظلم، وبيان تمكنهم فيه، وتصميمهم عليه، للإشارة إلى أن من كان بهذه الحال ليس أهلا للشفاعة ولا إمهال العذاب.

٧٤٤. فيها: أنهم – بكفرهم بنبي الله نوح وتكذيبهم إياه – كانوا ظالمين كما قال الله: ﴿وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾ حيث وضعوا الكفر والتكذيب محل الشكر والإيمان، فنهى الله تعالى نوحا عن مراجعته فيهم، لئلا يضعَ الشفاعة في غير موضعها.

٧٤٥. تفيد: أن حذف ما يعلم من السياق جائز؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾ أي في إنجاء الذين ظلموا؛ ولعل في هذا الحذف دلالة عظيمة على اشتداد غضب الله تعالى على هؤلاء الذين ظلموا، وكأن الله عز وجل لا يريد أن يسمع من نبيه نوح عليه السلام أي شيء يتعلق في شأنهم.

٧٤٦. فيها تعليل لنهيه – عليه السلام – وأيضا تعليل النهي ببيان مصيرهم بالغرق جواب لسؤالكم، فإن مصيرهم قد تبين لذلك نهاه عن مراجعته فيهم.

٧٤٧. وفيها: كذلك ﴿إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ﴾ وهو إخبار لسبب صنع الفلك.

٧٤٨. وفيها: ﴿إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ﴾تعليل لقوله ﴿وَلَا تُخَٰطِبۡنِي﴾فقد حكم سبحانه بإغراقهم فلا مجال للشفاعة والمخاطبة.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَيَصۡنَعُ ٱلۡفُلۡكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيۡهِ مَلَأٞ مِّن قَوۡمِهِۦ سَخِرُواْ مِنۡهُۚ قَالَ إِن تَسۡخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسۡخَرُ مِنكُمۡ كَمَا تَسۡخَرُونَ ٣٨﴾ [هود: ٣٨].

٧٤٩. فيها: أنه لَمّا أمَرَهُ تَعالى ونَهاهُ، أخْبَرَ أنَّهُ امْتَثَلَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ عاطِفًا عَلى ما تَقْدِيرُهُ: فَأيِسَ مِن إيمانِ أحَدٍ مِنهم فَتَرَكَ دُعاءَهم وشَرَعَ يُسَلِّي نَفْسَهُ: ﴿وَيَصۡنَعُ﴾ (١).

٧٥٠. فيها، وبضميمة ما قبلها: امتثال الأنبياء لأوامر الله؛ لأنه تعالى قال – في التي قبلها –: ﴿وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ﴾، ثم قال هنا: ﴿وَيَصۡنَعُ ٱلۡفُلۡكَ﴾ امتثالا لأمرنا.

٧٥١. تصوير القرآن ولفظه يجعلان الغائب حاضرا في الذهن وكأنه مشاهد، ولذلك عبر بالفعل المضارع ﴿وَيَصۡنَعُ ٱلۡفُلۡكَ﴾.

٧٥٢. تفيد الجملة: ﴿وَيَصۡنَعُ ٱلۡفُلۡكَ﴾، أن عليك العمل للدين وبما يحقق نصرة المؤمنين ولو كنت وحدك، فالله يحفظك ويسددك وينصرك.

٧٥٣. تفيد: أن الدعاة إلى الله هم رائدو نجاة المجتمعات وأن خيرهم متعدي للجميع فأنعم بهم من "مفاتيح للخير مغاليق للشر"

٧٥٤. تفيد: الترغيب في أن يتنزل القائد للميدان ويباشر المهام وهذه لها فعل السحر في إنجاز المهام وترسيخ القدوة واستنهاض الهمم وهذا في علم الإدارة يتسق مع حسن قياده فريق العمل وقيادة العمل على السواء والسيرة النبوية شاهد على ذلك كمباشره الرسول ﷺ الحفر بنفسه عند واقعه الخندق.

٧٥٥. فيها: أن من يعمل لنصرة الدين، ويصنع ما به نجاة الناس في دنياهم وآخرتهم لا ينبغي له الالتفات لفعل المخذلين والمثبطين، لأنه يعمل بأمر الله ويدرك ما وراء فعله من أثر ونتيجة.

٧٥٦. اليقين التام بتحقق وعد الله أكبر دافع للعمل والعطاء ﴿وَيَصۡنَعُ﴾وأكبر وقاية من تثبيط الهمم بإعلام الأعداء.

---

(١) نظم الدرر ٣/٥٢٩.

٧٥٧. تفيد: أن بعض الصناعات الحديثة والجديدة التي لا عهد للناس بها قد تؤدي بالسخرية من مخترعيها وصانعيها، مع أنها قد تصبح في يوم ما من أعظم الصناعات والاختراعات في عالم الإنسان والتي تمس حياتهم اليومية بشكل مباشر.

٧٥٨. فيها: أن المهن اليدوية فخر لا عيب، فالأنبياء عملوا بأنفسهم، خلاف الواقع الذي ينظر لبعض التخصصات والعاملين في الورش ونحوها بنظرة دونية..

٧٥٩. فيها: حرص الرؤساء على متابعة الأحداث، والإحاطة بما يجري حولهم، ﴿وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ﴾.

٧٦٠. تفيد: أن كل موضع ذكر فيه (القوم)، فهو رسالة ذات حدين، أولاهما: كونه تسلية للنبي ﷺ بأنه ليس بدعا في التعرض لأذى الأقارب...وثانيتهما: ما فيه من تحذير قومه بمقت الله وغضبه الشديد عليهم، فهم أحق بنصرته والتصديق به، وخذلانهم له أشد من خذلان غيرهم.

٧٦١. تفيد أن سخرية القوم ومن هم من بني جلدة الإنسان دون غيرهم من أشد الأمور على النفس؛ لقوله تعالى: ﴿مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ﴾، وصدق الشاعر حين قال:

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة على النفس من وقع الحسام المهند

٧٦٢. فيها أنهم يمرون في مجموعات ﴿مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ﴾ وليس فردا فردا، إذ أن غالب السخرية يصحبها ضحك المجموعة و لعل هذا من شدة البلاء للأنبياء الذين يقابلونه بصبر يعظم معه أجرهم.

٧٦٣. تفيد: أنك ما دمت تعمل.. فحتماً ستجد من يقف في طريقك فلا تلتفت.

٧٦٤. فيها: طول مدة صناعة السفن، ﴿وَكُلَّمَا مَرَّ﴾، ﴿ٱلْفُلْكَ﴾ال التعريف أفادت أنهم جميعا شاهدوها وأنها بقيت لفترة أمامهم..

٧٦٥. يفيد: لفظ الفلك أنها لفظة تصلح للمفرد، والجمع في مقتضى اللغة العربية، ومن ذلك قولهم فيما يعابا به، أن الأحدب ينوي الركوع بالنية، كفلك في العربية، أي الفلك في اللغة العربية تصلح للمفرد، والجمع.

٧٦٦. تفيد الجملة: ﴿وَكُلَّمَا مَرَّ﴾ كلما مر الكفار والمنافقون على أمر من الدين لا تبلغه عقولهم أو لا يوافق هواهم من آية أو حديث او حكم شرعي إلا وسخروا منه أو طعنوا ولمزوا كما فعلوا مع (صنع السفينة).

٧٦٧. فيها: أن السخرية والاستهزاء إنما تكون من الملأ الأشراف ذوو الجاه والسلطان والمال، دون أن يشاركهم في ذلك غيرهم؛ فذلك من شيم الملإ الطغاة، قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ﴾ [العلق: ٦-٧].

٧٦٨. تشير: إلى: التريث وعدم العجلة في اتهام الغير والسخرية منهم، وفي سائر الأمور؛ لأنهم تعجلوا وسخروا وما سألوا عن الحكمة من صنع الفلك – مثلا – بغض النظر عن كونهم كفارا هالكين.

٧٦٩. فيها: أن سخرية المشركين طالت أشخاص الأنبياء وأعمالهم ﴿مِنۡهُ﴾ ومما يقوم به.

٧٧٠. أفادت: استمرار قومه في السخرية منه بغيا وعتوّاً، طوال وقت صنع الفلك، بصفة متجددة في كل مرة يمرون به على تلك الحالة، إلى حين مجيء وقت هلاكهم، فدل على إصرارهم على طغيانهم وكفرهم بصفة لا يُحتمل..

٧٧١. أشارت – باستئناف الكلام برد نوح عليهم في سخريتهم، بقوله: ﴿قَالَ﴾ دون عطفه على جواب: ﴿وَكُلَّمَا﴾ – إلى أن نوحا لم يكن يرد عليهم في كل مرة، وإلا لقال: (وكلما مر عليه ملأ...سخروا منه ويقول) بالعطف والمضارع، كل ذلك للدلالة على أن رده جاء بعد بلوغ أذاهم له الغاية، وجريا على نهج الأخلاق الفاضلة المجبولة في آحاد الصالحين، فضلا عن كونه – عليه السلام – من خواص الأنبياء والمرسلين.

٧٧٢. فيها إرشاد للداعية إلى استصحاب الحكمة، وضبط النفس عند إثارة عومل الغضب، ودواعي الانتقام؛ لعدم تمادي نوح عليه السلام في السخرية منهم، كما كان دأبهم كلما مروا عليه وهو يصنع السفينة.

٧٧٣. تشير إلى: التحذير من السخرية، وعدم التهاون في أمر الضعيف – الذي يظهر أنه ضعيف.

٧٧٤. تفيد: سوء مغبة وعاقبة الجهل وأنه يورد صاحبه المهالك فسخريتهم إنما تدل على عظم جهلهم وتقديرهم للأمور

٧٧٥. فيها: أن سخريتهم من نوح صدرت عن سفه في عقولهم، وجهل عن غاية عمل يجهلونه، وسخرية نوح والمؤمنين به لعلمهم بأنهم جاهلون مغرورون معذَّبون.

٧٧٦. أفادت" أن المساس بأحد من رموز الدين أو أركانه أو مقوماته مساس بجميعه، لأنه إنما هو طعن في المنهج لا في الذات فلو وافقهم –وحاشا–، لما تعرض لما تعرض له من السخرية.

٧٧٧. المجازاة بالمثل لمن يستحق ويعاند ويكابر ﴿إِن تَسۡخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسۡخَرُ مِنكُمۡ﴾

٧٧٨. فيها: ردع إعلام الاعداء بإعلام مضاد واستمرار العمل والإنتاج ﴿نَسۡخَرُ مِنكُمۡ كَمَا تَسۡخَرُونَ﴾.

٧٧٩. تفيد: أَنَّ الواثِقَ بِأَنَّهُ عَلى الحَقِّ لا يُزَعْزِعُ ثِقَتَهُ مُقابَلَةُ السُّفَهاءِ أَعْمالَهُ النّافِعَةَ بِالسُّخْرِيَةِ، وأَنَّ عَلَيْهِ وعَلى أتْباعِهِ أنْ يَسْخَرُوا مِنَ السّاخِرِينَ" [(١)].

٧٨٠. تفيد أن السخرية والاستهزاء بالأنبياء والصالحين من خلق الكافرين والمعرضين والمكذبين.

٧٨١. فيها أن الجزاء من جنس العمل والقوي العزيز هو من له القدرة المطلقة على أخذ غيره من مأمنه؛ فإن سخريتهم قوبلت بسخرية المؤمنين منهم لغرورهم رغم قرب عذابهم، فكان جزاء من جنس عملهم، وأما اخذهم من مأمنهم فهو غرقهم بالطوفان الذي لم يسلم منه غير راكبي الفلك التي سخروا من صنعها آمنين من مكر الله جاهلين بحكمته في صنع الفلك.

٧٨٢. تفيد: أن على المرء أن يتعلم كيف يوزن تصرفاته وردود فعله تجاه من يخطئ أو يعتدي عليه.

٧٨٣. فيها: تأكيد على ظلم القوم، وزيادة في إظهار حالهم لنوح؛ ولما فيه من اطمئنان قلبه – عليه السلام – بما قضي وأبرم فيهم.

---

(١) التحرير والتنوير ٦٩/١٢.

٧٨٤. في الجملة: ﴿تَسۡخَرُ مِنَّا﴾ مراعاة حال المدعوين لينا وشدة في موضعها و لعل نوح عليه السلام بعد أن علم أن هؤلاء الكفار لن يؤمنوا شد عليهم ﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤۡمِنَ مِن قَوۡمِكَ إِلَّا مَن قَدۡ ءَامَنَ﴾.

٧٨٥. تفيد: أن المرء حيث يجعل نفسه؛ فإن شاء خالق الناس بالخلق الحسن، وإن شاء فعل ضد ذلك وجر على نفسه المقابلة بالمثل أو بالزيادة.

٧٨٦. تفيد: أدبًا شريفًا بأن الواثق على الحق لا يُزعزِع ثقتَه مقابلةُ السفهاء أعمالَه النافعة بالسخرية.

٧٨٧. تفيد أن الإنسان ينبغي أن يكون على وضوح تام مع من أخطأ عليه أو اعتدى في حقه بأن يعلمه بالخطوة أو ردة الفعل التي سيتخذها تجاه ذلك فيما يستقبل من خطأ واعتداء متكرر؛ لقول نوح عليه السلام لقومه : ﴿إِن تَسۡخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسۡخَرُ مِنكُمۡ كَمَا تَسۡخَرُونَ﴾ ولم يقل: (أنتم سخرتم منا ونحن نسخر منكم كما سخرتم)، وفي هذا دلالة واضحة على قمة الأدب والأخلاق التي كان عليها نبي الله نوح عليه السلام؛ فكأنه عليه الصلاة والسلام قال: توقفوا عن سخريتنا ونحن نغفر ونصفح لكم ما سلف، وإلا إن تسخروا منا بشكل متكررة ولم تتوقفوا فإن ردة فعلنا ستكون مماثلة.

٧٨٨. تحذير المعارض من سوء العاقبة هو من البلاغ..كما فعل نوح عليه السلام..

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيۡهِ عَذَابٞ مُّقِيمٞ﴾ [هود: ٣٩].

٧٨٩. فيها: اليقين بموعود الله؛ والأنبياء أعظم الناس يقينا؛ لقوله: ﴿فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾؛ فهذا يقين بنزول العذاب الذي أخبره الله في قوله: ﴿إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ﴾ هود: ٣٧.

٧٩٠. تفيد أن أشد العلوم وأقساها على النفس هي التي يتعلمها المرء حين نزول المصيبة أو العذاب؛ لقول نوح عليه السلام: ﴿فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾ ولم يقل: (فستعلمون).

٧٩١. تفيد أن على المؤمن أن يتحلى بالأخلاق الفاضلة والخصال الحميدة، حتى في أوقات الخصام والجدال مع خصومه ومناوئيه، وأن يبتعد عن فحش القول، وأن يعوِّد لسانه على الكلمة الطيبة والقول الحسن؛ والتلطف مع المدعويين ومداراتهم، لقول نوح عليه السلام لقومه: ﴿فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيۡهِ عَذَابٞ مُّقِيمٞ﴾، ولم يقل: (فسوف تعلمون إن أتاكم

عذاب يخزيكم ويحل عليكم عذاب مقيم). وفي هذه الآية دليل واضح على قمة الأدب ورقي التعامل وحسن الخُلق التي كان عليها نبي الله نوح عليه السلام؛ وقد اقتدى نبينا محمد ﷺ بهدي نوح عليه السلام فقال لخصومه ومناوئيه كما حكى القرآن الكريم: ﴿وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ سبأ: ٢٤.

٧٩٢. تفيد أن العذاب يأتي للكافر ويلحقه مهما تحصن منه ولو في كهوف الجبال، أو قاع البحار أي يأتيه حيث كان لا رد له ولا معقب لأمره.

٧٩٣. تفيد أن آثار العذاب النازل على الخلق مختلف ومن أسوء أنواعه الذي يؤدي إلى الذل والإهانة والخزي.

٧٩٤. تفيد خطورة أذية الأنبياء، وأولياء الله فهي سبب للعقوبة العاجلة والآجلة.

٧٩٥. تفيد خلود أهل النار لأن العذاب المقيم الدائم لا يكون إلا في الآخرة.

٧٩٦. تفيد أن على الباغي تدور الدوائر، والسخرية بالسخرية والبادئ أظلم، ومن يضحك أولا يبكي آخرا، ومن يضحك كثيرا يبكي أخيرا.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ﴾ [هود: ٤٠].

٧٩٧. فيها: أن لكل أجل كتاب ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا﴾ وأن أمر الله لا يستقدم ولا يؤخر.

٧٩٨. فيها: البلاغة القرآنية في ﴿جَآءَ﴾ – لا: أتى – لاختصاصه بحلول العقوبة على الأقوام، ﴿سَبَقَ عَلَيۡهِ﴾ – لا: له– كذلك تستخدم فيمن وقع عليه العقاب، ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ على القول بأنها تعبير عن الشدة – كقوله: حمي الوطيس –، ﴿قُلۡنَا﴾: اللطف الرباني والرحمة بالمؤمنين"(١).

٧٩٩. فيها: رحمة الله بنوح عليه السلام وأتباعه أن جعل لهم آية للدخول في الفلك.

٨٠٠. وهذا قوم نوح يفور الماء الذي أهلكهم من مكان مضاد للماء، وهو التنور، فإن عهدهم به التهاب النيران فيه، ولا يخفي ما بين الماء والنار من تضاد...كما كانوا مسخورين منهم بالطوفان الذي لم ينجو منه إلا أهل الفلك التي سخروا من صنعها.

---

(١) لمسات بيانية، د. فاضل السامرائي..؟

٨٠١. فيها: أنه حينما جاء أمر الله تعذب الكافر بما تغذى به، فأصبحت وسيلة غذائه هي سبيل عذابه، لانعدام شكره ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾.

٨٠٢. تفيد أن فوران التنور لم يكن إلا علامة من علامات مجيء أمر الله تعالى، وإلا فإن شدة الطوفان قد وقع بسبب فتح السماء بماء منهمر، وتفجير الأرض عيونا، ولهذا قال تعالى في هذه السورة: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي﴾[هود: ٤٤].

٨٠٣. فيها الهداية إلى جعل علامة أو كلمه سر، أو دليل على قرب وقوع الأحداث الهامة كما هو مستخدم في الحرب وفي هذا تهيئة وشحذ للهمم وضبط ودقة في التعاطي مع مثل هذه الأحداث العظيمة والآيات البينة ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾.

٨٠٤. فيها: قدرة الله وأنه لا يعجزه شيء؛ فإن شاء فجر النار من الماء أو العكس، وهذا على القول بأن معنى التنور: ما يخبز فيه، قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ سُجِّرَتۡ﴾ [التكوير: ٦].

٨٠٥. وفيها: فعل الأسباب لا ينافي التوكل على الله.

٨٠٦. تفيد التعليم للتخطيط للمستقبل وأخذ كل شيء بالحسبان حتى في أحلك الظروف؛ لقوله تعالى: ﴿قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا﴾.

٨٠٧. تفيد تعظيم الرب جل وعلا وبيان كبريائه وجلاله وعظمته وغناه؛ لقوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا﴾ بصيغة الجمع التي تدل على التعظيم..

٨٠٨. فيها إثبات القول لله سبحانه وتعالى.

٨٠٩. تفيد سنة الزوجية كسنة ملازمة للخلق وما يتفرع منها من إعجاز الخالق وكماله وغناه وافتقار المخلوق لغيره وأن التخالف في الخلق طريق للتكامل والتعاون وهذا لا يكون في الخلق المادي فحسب بل ويشمل الخلق المعنوي كالأفكار والرؤى والثقافات ﴿قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ﴾.

٨١٠. تفيد عظم هذه السفينة لما حملت من هذا العدد الكبير من المخلوقات فهي آية عظيمة من آيات الله عز وجل؛ ﴿فَأَنجَيۡنَٰهُ وَأَصۡحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلۡنَٰهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [العنكبوت: ١٥]، وقال تعالى: ﴿فَأَنجَيۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ﴾ [الشعراء: ١١٩].

٨١١. تفيد مع ما جاء في سورة المؤمنون أن الأمر بالحمل في الفلك تكرر وتوجه إلى نوح عليه السلام مرتين؛ مرة حينما أمر بصناعة الفلك، ومرة حينما جاء الأمر وفار التنور، بخلاف النهي عن المخاطبة في الذين ظلموا فلم يأت في السورتين إلا حين الأمر بصناعة الفلك.

٨١٢. تفيد تقديم ما حقه التقديم، من أولي القربي المؤمنين ثم عامه المؤمنين ﴿وَأَهْلَكَ﴾ وقوله ﴿وَمَنْ ءَامَنَ﴾، وقال تعالى: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [الأنفال: ٧٥].

٨١٣. فيها: العناية بالأهل والسعي في صلاحهم ونجاتهم من عذاب الله؛ لدلالة الآية ولقوله تعالى: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ﴾،وقال تعالى: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التحريم: ٦].

٨١٤. فيها: ذكر الخاص بعد العام لقوله تعالى: ﴿وَأَهْلَكَ﴾.

٨١٥. تفيد: القيود والاحترازات في النص القرآني لدفع الإيهام، عن فهم خاطي وهذا السؤال تتضح إجابته من خلال القراءة القرآنية الأخرى؛ وذلك بإضافة ﴿كُلٍّ﴾ إلى ﴿زَوْجَيْنِ﴾، وإنما أتى بأهلك ومن آمن لإزالة ما قد يعتري الفهم من الإيهام من أن المقصود في الزوجين الاثنين أنه يشمل الجميع ولكن الآية أخرجت الأهل ومن آمن من ذلك، فإنهم إذا كانوا أكثر من زوجين اثنين فإنهم محمولون على الفلك بخلاف غيرهم.

٨١٦. وفيها: لا نجاة ولا أمان إلا بالإيمان.

٨١٧. وفيها: أن من أعظم أسباب النجاة الإيمان بالله.

٨١٨. فيها توطئة لنوح عليه السلام فكأن في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ﴾، تمهيداً لنوح بفاجعته بابنه. وتخفيفاً من وطأة الأمر عليه.

٨١٩. فيها: إثبات القدر؛ لقوله: ﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ﴾.ورد على القدرية وسابق علم الله في الهالكين والناجين.

٨٢٠. فيها: أن الكفر والشرك سبب للهلاك والعذاب في الدنيا والآخرة.

٨٢١. تفيد أن المؤمنين متبعون للأنبياء ومعهم في كل أمورهم؛ لقوله: ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾.

٨٢٢. وفيها: أن على الداعية المضي في طريقه دون النظر لكثرة أو قلة الاتباع.

٨٢٣. فيها، وبضميمة ما سبق: حث للعبد ألا يفتر عن الدعوة إلى الله ونشر الخير؛ فها هو نوح – عليه السلام – يدعو إلى الله عمرا طولا ثم يقول الله: ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ ففيه تذكير لأولئك الذين يجتهدون في نشر العلم، ومع ذلك يقل أتباعهم ولا يزيدون. وقول الله: ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ الروم: ٤٤، فهو يعمل لنفسه أولا.

قَالَ تَعَالَى: ﴿۞ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٖىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [هود: ٤١].

٨٢٤. مناسبة ولطيفة دقيقة لما قبلها؛ من وجوه: وهي أن الذي ألهم بصناعة السفينة وسخرها وأنعم بها، فهو أحق أن يذكر ويحمد؛ فهي كقوله تعالى: ﴿لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ﴾ الزخرف: ١٣.

٨٢٥. فيها فضيلة التسمية عند القيام بالأعمال النافعة.

٨٢٦. ومنها: أن الذي ينجيها ويرسيها إلى بر الأمان، هو الأحق بالذكر والحمد – جل ذكره – ﴿۞ وَمُرْسَىٰهَآ﴾.

٨٢٧. دلت – بهذه التسمية وقت الركوب– على وجوب ربط همة المرء وتعليق قلبه بالله وحده، دون الاعتماد على الوسائل؛ لأن في توقيت الأمر بالتسمية إشارةً على قومه بأن لا يعوّلوا على تلك السفينة، وينسوا من بيده إجراؤها وإرساؤها.

٨٢٨. فيها أن التبرؤ من الحول والقوة، وصرف النظر عن الأسباب إلى مسببها من شيم خواص الله وأوليائه، ولا يُتَنَبَّه لذلك في الشدائد إلا بتوفيق الله ولطفه.

٨٢٩. في تبركهم باسم الله تعالى وقت الشدة والكرب العظيم – كما قال تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الصافات: ٧٦]– إشارة إلى أن الاسم الكريم حرز للمرء من كل سوء، وتثبيت له لدى الفتن والشدائد، ووقاية له من مكايد الشيطان وجنوده ووسواسهم.

٨٣٠. في أمرهم بالتسمية عند ركوب السفينة إشارة إلى أنه لا تصرَّفَ لأحدٍ غير الله في هذه السفن على الماء، تصديقا لقوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ﴾ [إبراهيم: ٣٢]، وقوله تعالى: ﴿رَبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ﴾ [الإسراء: ٦٦].

٨٣١. في قراءة فتح الميم في: (مجراها) إشارة إلى أهمية الأخذ بالأسباب وإتقان الأعمال وجودتها حسب ما يليق بها؛ لأن هذه القراءة مصدر للفعل الثلاثي: (جَرى)، وفي ذلك نسبة الجري إلى الفلك، ولو لم تكن مُتقَنَةً لما جرت.

٨٣٢. أفادت قراءة الفتح – أيضا – أن تحديد مسار السفينة ومكان جريها بيد الله وحده، طبقا لقوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ﴾ إبراهيم ٣٢، وذلك على أن المجرى اسم مكان.

٨٣٣. في قراءة: (مجراها) بضم الميم، إشارة إلى أن مقاليد الأمور بيد الله وحده؛ لأن هذه القراءة مصدر للفعل الرباعي: (أجرى)، وتَشهد لهذه القراءة قراءةُ بعض السلف بضم الميم وكسر الراء بدون إمالة: (مجراها) على وزن اسم الفاعل: (مُفعِل)، نعتا للفظ الجلالة في: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾– للدلالة أن الله هو الذي يجريها.

٨٣٤. أفادت تلك القراءة – قراءة (مجراها) على وزن اسم الفاعل: (مُفعِل)، كما تقدم– عظيمَ كرم الله لبني آدم عليه السلام، وعنايته الخاصة وسعة رحمته بهم على غرار قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النحل: ٧٩].

٨٣٥. في إسناد إجراء السفينة إلى الله تعالى تنبيه على أن راكبيها كانوا متمتعين بالأمن والطمأنينة إلى قدر لا يعلمه إلا الله وحده، ويشهد لذلك إسناد حملهم فيها إلى الذات المقدسة المعبر عنها بنون العظمة، في قوله تعالى: ﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾﴾ [القمر: ١٣-١٤] وقوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ﴾ [الحاقة: ١١].

٨٣٦. أفادت – بهذا الأمان والاطمئنان – ضمان نجاتهم بمجرد ركوبهم في الفلك، ولذلك أكّد الله ذلك في موضع آخر بمجرد استوائهم عليها، فأمر نوحا ومن معه بحمده – سبحانه – عندئذٍ، فقال جل وعلا: ﴿فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [المؤمنون: ٢٨].

٨٣٧. ومنها: أن العبد، مهما امتثل ودعا إلى الله وتعب في ذلك، فهو بحاجة إلى مغفرة الله؛ وتصديقه – ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا﴾[النصر: ١-٣] فقد دخلوا أفواجا الإسلام بسببه

ﷺ – حتى حطمه الناس – ومع ذلك يقول له ربه: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ﴾ [النصر:٣]، والشواهد مستفيضة؛ كالاستغفار بعد الصلاة مع أنها مكفرة للخطايا.

٨٣٨. في تخصيص اسم الله بالتبرك دلالة قوية على تفرد الله تعالى بالألوهية، وأنه لا يمكن أن يكون في الوجود معبود بحق سواه، سبحانه لا إله إلا هو؛ فلتفرده بالقيام بمصالح العباد كان اسمه الكريم مقصودا بالتبرك، قال تعالى: ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ﴾ [الأنبياء: ٢٢].

٨٣٩. أُسند الأمر في قوله: ﴿ٱرۡكَبُواْ﴾إلى جميع الركاب، مع وجود غير العاقلين بينهم، تغليبا للعاقلين، وتنبيها على عظمة الله وقدرته في خلقه، نظير قوله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ﴾ [الإسراء: ٤٤].

٨٤٠. في تعبيرها عن الركوب بالظرف: (في): ﴿فِيهَا﴾تنبيه للركاب بالاستقرار في جوف الفلك لا على ظهرها؛ إشارةً إلى شدة الأمواج وقوتها في فيضانها وطغيانها؛ فيصيبهم – بذلك – من الذعر، والخوف، ما قد يكدر عليهم صفو نجاتهم.

٨٤١. تفيد أن جميع المخلوقات في هذا الكون تذكر الله تعالى؛ لقول نوح عليه السلام: ﴿وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرِىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَاۚ﴾ أي : وقولوا يا أيتها المخلوقات المحمولة في هذا الفلك ذاكرين الله تعالى.

٨٤٢. نبهت: بذكرها التسمية وقت الإجراء والإرساء على أهمية الحرص على تسمية الله تعالى، عند ركوب السفينة والدابة، وعند إقدام المسلم على كل عمل ذي بال، طبقا لما في الحديث" كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بذكر الله [(١)].

٨٤٣. فيها إشارة إلى اتخاذ الموانئ لرسو السفن؛ لقوله: ﴿مَجۡرِىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَاۚ﴾، والمؤاني اليوم من أهم المواقع الاستراتيجية للدول، وإذا كانت في موقع هام واستراتيجي أدخلت على الدول مالا كثيرا.

(١) ضعيف، إراواء الغليل ١/٢٩.

٨٤٤. تفيد أن جميع المخلوقات العاقلة وغير العاقلة لها إدراك يليق بها تستطيع من خلاله فهم الخطاب والامتثال للأوامر، لقول نوح عليه السلام موجها خطابه لجميع المخلوقات التي حملها على الفلك: ﴿ٱرۡكَبُواْ﴾.

٨٤٥. فيها ترغيب عظيم للعباد في مغفرة الله ورحمته؛ لتأكيد الخبر بـ: ﴿إِنَّ﴾.

٨٤٦. أشارت – بإضافة نوح الرب إليه خاصة، دون قومه أو المؤمنين به، فلم يقل: (ربنا) – إلى شكره لله وتذكيرهم بنعم ربه الخاصة من الرسالة والوحي، فهو أعلمهم بالله، وأشدهم له خشية، فهي إشارة إلى معرفته بالله التي يفوقهم جميعا فيها.

٨٤٧. تفيد أن جري السفن في البحر ورسوّها، رحمة من الله؛ وهذا يأخذ إلى سر من أسرار التذييل ﴿لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾، فالمغفرة والرحمة، سبب في جريان السفينة.

٨٤٨. تقديم المغفرة على الرحمة؛ لأن المغفرة يحصل بها النجاة من المرهوب وهو الذنوب، والرحمة يحصل بها حصول المطلوب وهو دخول الجنة، ففيها تناسب بديع.

٨٤٩. في تعبيرها بصيغة المبالغة في: (الغفور) و(الرحيم)، دلالة على كثرة مغفرة الله ورحمته، وفي تكثير مغفرة الله تعالى ورحمته، بالمبالغة في الصفتين، ترجية للعباد في الاستغفار والتعرض لرحمة الله تعالى؛ لأن الرجاء يعظم في الكثير بصفة أكثر.

٨٥٠. تفيد تسمية الباري نفسه بالصفتين الكريمتين، – وبصيغة المبالغة –، دلالة على عجز العباد عن درجة الكمال، وعلى كثرة ذنوبهم، وشدة افتقارهم إليه سبحانه؛ لأن تسميته بالصفتين – بالمبالغة، إنما كانت لسبق علمه بحاجة العباد وافتقارهم إليه بهما.

٨٥١. يفيد تعليل تسمية الله بوصفه بالمغفرة والرحمة، إشارة إلى ضمان نجاتهم من الهلاك، حتى كأنه قال: اركبوا لينجيكم ربي الغفور الرحيم.

٨٥٢. في تذكيرهم بمغفرة الله ورحمته وقتَ إنجائهم – ومهلك الكافرين – مدعاة لتفادي العُجب بأعمالهم الصالحات، التي ربما خالجت بعضَهم الظنون أنهم إنما نجَوا من الغرق بسببها، أو بعِلمهم في صنع الفلك، والله أعلم.

٨٥٣. في اختيار صفة الرحمة – بصيغة المبالغة: ﴿رَّحِيمٌ﴾- إشارة إلى رحمة الله الخاصة بالمؤمنين؛ فإن القوم الغرقى إنما أغرقوا بذنوبهم الموجبة لسخط الله، فلا جرم أنهم أبعدوا عن الرحمة الخاصة بإنجاء المؤمنين، فناسب هذا المقام وصف الباري بالرحيم، والله أعلم.

٨٥٤. دلت – بتذكيره بمغفرة الله ورحمته أيضا – أن هلاك الكفار من نعم الله ورحمته بالمؤمنين، قال تعالى: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الانعام: ٤٥].

٨٥٥. فيها إشارة إلى أن العبد لا يستغني أبدا عن إعانة الله، بمغفرة ذنوبه، ورحمته، في جميع الأحوال؛ فمع كونهم قلة القلائل الذين آمنوا بالله وجابهوا الأحوال الشِّداد وصبروا على ذلك، ذكَّرهم بهذا الغرض معبرا عنه بصيغة المبالغة: ﴿لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾فهي إشارة إلى أنه ليس بمقدور أحد تقدير الله حق قدره مهما بلغ من الصلاح والعبادة.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [هود: ٤٢].

٨٥٦. تفيد جمال وروعة ودقة الوصف القرآني لتفاصيل أحداث نهاية حقبة زمنية عصيبة، لم يشهد البشر مثيلا لها، وذلك من خلال الانتقال من مشهد إلى مشهد بطريقة سريعة وجيزة، وبصورة تجعل القارئ والمستمع يعيش تفاصيل تلك الحادثة العظيمة بمشاهدها المختلفة بصورة تحبس الأنفاس، وتدخل الخوف والرهبة في النفوس؛ وفيها الكثير من العبر والعظات؛ لقوله تعالى: ﴿وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ﴾.

٨٥٧. فيها كمال قدرة الله تعالى الذي أجرى السفينة في أمواج كثيرة وأكبر منها وكأن السفينة كانت داخلة فيها.

٨٥٨. فيها عظيم قدرة الله عز وجل في هذا الطوفان الذي أغرق الأرض وجعل الأمواج كالجبال.

٨٥٩. تفيد دقة وصف هول الموقف والمشهد وتشبيه الموج بالجبال يدل على عظم تدفق الماء سواء من عيون الأرض أو انهمار الماء من السماء.

٨٦٠. يفيد النداء أن الابن كان بعيدا، وفيها خطورة التباعد والابتعاد عن الصالحين والمصلحين.

٨٦١. أفادت حرصه الشديد على ابنه جريا على ما جبل عليه الإنسان من العاطفة.

٨٦٢. تفيد أن الأب ينبغي أن يحرص وأن لا ييأس من استجابة ابنه إلى ما فيه نجاته إلى آخر لحظة، فنوح عليه السلام كان حريصا على نجاة ابنه حتى مع بدء جريان السفينة في تلك الأمواج العاتية، فكيف بحرصه على ما قبل ذلك؟.

٨٦٣. دلت – بإضافة الابن إلى نوح في: ﴿ٱبۡنَهُۥ﴾– على أنه ابنه من صلبه؛ حملا لكلام الله تعالى على الظاهر والمعروف من كلام العرب، وهو المتعين هنا؛ إذ لا حاجة إلى صرفه هنا عن الحقيقة، خلافا لمن أنكر ذلك.

٨٦٤. فيها: أن اختلاف الدين لا يقطع النسب؛ فإن الله تعالى لم يقطع نسب نوح بابنه رغم اختلاف دينهما.

٨٦٥. تفيد أن ذَوي الأرحامِ يُوصَلون على أيِّ حالٍ كانوا، وفي هذا الترغيب في حق الرحم وأن هذا الحق لا يسقط بالعزلة ولا بتيقن الكفر، والحديث (ولكن لهم على رحم سأبلها ببلالها"(١)

٨٦٦. في وصف ابن نوح بالانعزال، دون تحديد الشيء الذي انعزل عنه، إفادة عموم يشمل الإشارة إلى انعزاله عن الدين وعن السفينة جميعا، كما يشمل انعزاله عن المؤمنين والكفار معا، الأمر الذي قد يجعل نوحا غير متبين من كفره، ويترجح لديه إيمانه؛ لأن انعزاله عن الكفار قد يكون عن عدم رضاه بكفرهم، والله أعلم.

٨٦٧. في مناداته لابنه بالتصغير: ﴿يَٰبُنَيَّ﴾ دليل على رأفة نوح وحنانه الشديد على ابنه، عسى أن يتقبل منه ذلك ويأوي إلى المؤمنين الذين حسبه نوح واحدا منهم، فينجو من الهلاك؛ لأن في هذه الصيغة معنى اللهفة والحنان، وأصلها: (يا بُنَيَّا)، فحُذفت ألفه تخفيفا واجتُزِأَ بالفتحة عنها.

٨٦٨. في قراءة: (يا بني)، بكسر الياء، تناسب لما يشعر به الأب من حرارة العاطفة وانكسار قلبه لعدم تلبية ابنه لندائه في أمثال هذه الظروف الصعبة.

---

(١) أخرجه البخاري ٦/٨، ومسلم ١٩٢/١.

٨٦٩. يفيد تذكر نوح ابنه في هذا الظرف العصيب يدل على صدق محبته وقوه عاطفته تجاه ابنه ومحض نصحه له.

٨٧٠. في قراءة الفتح إشعار بخفة عقل الابن وسوء تقديره في إخبار والده وأوامره؛ لأن الفتحة أخف الحركات.

٨٧١. في مجموع القراءتين دلالة على رغبة نوح – عليه السلام – في إنقاذ ابنه؛ لاجتماع القراءتين على بيان حبه الكبير له وتحسره على عدم تلبيته لدعوته لخفة عقله..

٨٧٢. في تعبير نوح – عليه السلام – عن المعية، بالجمع: ﴿مَّعَنَا﴾ولم يقل: معي، دلالة على تقديم الدين على النسب؛ لأن الجمع شامل لنوح والمؤمنين، بخلاف الإفراد..

٨٧٣. فيها دلالة على تقديم أنبياء الله – تعالى – لأمر الدين على كل غرض آخر؛ فهذا ابن نوح معرض للهلاك، ومع ذلك يقدم أمر الدين على النسب...

٨٧٤. أشارت – بقوله: ﴿وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ ولم يقل: (من الكافرين) – إلى أن نوحا لم يكن على علم يقين بكفر ولده وأن الولد ربما كان يخفي منه كفره نفاقا أو حياء فحسبه نوح من المؤمنين به فناداه ويشهد لعدم علمه بكونه كافرا قوله تعالى فيما بعد: ﴿فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ﴾ [هود: ٤٦]، حيث نفى عنه العلم، فإن نوح عليه السلام لا يعلم أن ابنه (منافق) يظهر الايمان ويبطن الكفر، ووجهه قول نوح ﴿ٱرۡكَب مَّعَنَا﴾، لان الله أمره أن يحمل فيها المؤمنون فقط.

٨٧٥. في تعبيرها بالكفر: ﴿وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ ولم يقل: ولا تكن مع المغرقين، إشارة إلى أنه ينبغي على العاقل أن يكون تَحَفُّظُه على دينه آكَدَ من تحفظه على نفسه؛ لأن حفظ الدين آكد من حفظ النفس.

٨٧٦. فيها: تحذير الوالد أبناءه وذريته من الكفر وموالاة الكافرين؛ لقوله: ﴿وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ فتهلك؛ فالعجب ممن يرمي بأولاده وسطهم.

٨٧٧. تفيد الترهيب عن مساكنة الكفار والعيش بين أظهرهم ما استطاع المؤمن إلى ذلك سبيلا.

٨٧٨. تفيد استفراغ الوسع في أمر النصح أمرًا بالمعروف ونهيًا على المنكر.

٨٧٩. في نهي ابنه عن الكون مع الكافرين إشارة إلى أهمية الابتعاد عن مواطن الشر، وساحات الظالمين؛ لأن ابن نوح كان في معزل عن الجميع، ومع ذلك نهاه أبوه أن يكون مع الكافرين؛ لأن قربه منهم لا يؤمّنه من الصيرورة معهم.

٨٨٠. فيها دلالة على أن الإيمان بالله هو الملجأ الآمن، والحصن المنيع من الهلاك؛ فإن ابتعاد ابن نوح من المؤمنين احتُسب عليه انضماما للكفار أو تقاربا معهم..

٨٨١. فيها إرشاد الى عدم الإياس من إجابة الدعوة إلى التوحيد، مهما كانت الأحوال.

٨٨٢. أمر نوح ابنه بمصاحبته ومن معه من المؤمنين وبمفارقة من وصفهم بوصف الكفر يدل على حضور ورسوخ عقيده الولاء والبراء والترغيب في ذلك والحث عليه.

٨٨٣. تفيد أن الهداية بيد الله تعالى وحده لا يملكها أحد من الخلق.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ﴾ [هود: ٤٣].

٨٨٤. تفيد مع ما قبلها أن من رحمة الله تعالى على عبده أنه قد يعطيه بعض العلامات والإرهاصات على قرب هلاكه، لذا عليه أن يتنبه ويتفكر جيدا في ملاحظة تلك العلامات، ويوليها اهتمامه؛ ويراجع حساباته الخاطئة قبل الاقدام على أي خطوة قد تكون فيها نهايته؛ لقوله تعالى في الآية السابقة : ﴿وَهِيَ تَجۡرِي بِهِمۡ فِي مَوۡجٖ كَٱلۡجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ﴾، ولم يتفكر الابن ولم يلاحظ هذا الوصف العظيم وتلك العلامة الخطيرة ﴿مَوۡجٖ كَٱلۡجِبَالِ﴾ بل قال: ﴿قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ﴾، وأي جبل يؤويه من هذا الموج الذي يراه أمام عينيه كالجبال؟!.

٨٨٥. فيها أن الكفر سبب للغرور والأمن من مكر الله تعالى، فهذا الابن العاق يرى الدلائل على بدء العذاب وطوفان الماء، ويسمع نداء الوالد الرحيم ومع ذلك يقول: ﴿سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ﴾.

٨٨٦. تفيد أنه لا تنال رحمة الله تعالى الخاصة إلا بطاعته والامتثال لأوامره.

٨٨٧. فيها: أن الواجب عند الشدائد، أن يأوي العبد إلى ربه؛ لأنه لا ينجيه إلا الله وحده.

٨٨٨. قلوب المؤمنين تعي حقائق الأمور، وقلوب أهل الباطل لا ترى إلا الظواهر.

٨٨٩. فيها أن الواجب أن لا يلجأ العبد لغير الله في تفريج الكرب؛ فمهما كانت قوة المخلوق فلا هو أقوى من الجبل.

٨٩٠. فيها أن النجاة من العذاب برحمة الله تعالى؛ ﴿قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾ ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا﴾ ونحوها من الآيات.

٨٩١. فيها إثبات صفة الرحمة لله سبحانه وتعالى والرد على المعطلة.

٨٩٢. تفيد أن العصمة والنجاة من الابتلاءات هي نعمة ورحمة تستوجب الشكر.

٨٩٣. تفيد أن الإيمان بالله وتوحيده من أعظم الأسباب التي تنال به رحمة الله وأن الكفر بالله من أعظم أسباب العذاب.

٨٩٤. تفيد أنه لا اجتهاد مع ورود النص.

٨٩٥. تفيد خطورة معارضة قول الأنبياء بالرأي.

٨٩٦. تفيد أن ما يرسله الله من عذاب ولو كان ضعيفا فإنه لا يرده أي سبب من الأسباب وإن كان قويا (جبل – ماء)، فهو ظن أن الجبل بقوته وعلوه سيعصمه من الماء الذي لم يكن يتصوره قوته وحجمه، فلا تنظر إلى ضعف المرسل ولكن انظر إلى قوة من أرسله وسلطه.

٨٩٧. تفيد أن الماء الذي هو سبب الحياة، هو كذلك جند من جنود الله يسلطه على من يشاء.

٨٩٨. تفيد أن الموفق من وفقه الله لتقدير الأمور بعين البصيرة، فهذا الابن كان في عمى؛ لأنه يرى الموج من بعيد قادم عليه مثل الجبال ثم يقول ﴿قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ﴾، ويترك سبب النجاة الذي بين يديه، والذي دعاه هو من لا ينبغي له أن يرد طلبه لو لم يكن نبيا فكيف وهو نبي الله تعالى.

٨٩٩. فيها: أن المرحوم من وفقه الله للهداية من عنده والهالك من أضله الله وأعمي بصره عن الحق. فقد توفرت أسباب الهداية لابن نوح وراي بعينه تحقق نبوة والده ومع هذا هلك مع الهالكين..

٩٠٠. تفيد هوان الكافر عند الله تعالى مهما كان نسبه ﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ﴾.

٩٠١. تفيد أن هنالك ثواني فاصلة في حياة الإنسان بين السعادة والشقاء.

٩٠٢. فيها: وبضميمة ما قبلها: أن الكافرين، سبب في غرق المرء وهلاكه؛ لقوله قبلها: ﴿وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾، ثم قال: ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ﴾

٩٠٣. تفيد درسا قويا لمن يرفض صحبة الصالحين ويكون بمعية الكافرين.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ٤٤].

٩٠٤. في تقديم أمر الأرض بالبلع على الإقلاع السماء، تقديم للأهم؛ لأن البلع أعظم سبب لغيض الماء، ففيه تقديم الأولى فالأولى.

٩٠٥. تفيد كمال قدرة الله تعالى على المخلوقات حيث لم تمتنع السماء والأرض عن إجابة أمره، وقد قال الله تعالى آمرا لهما بالإتيان فكان الجواب: ﴿قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: ١١].

٩٠٦. في هذه الآية– على قِصرها – محسنات بديعية ليس بمقدور أحد تنظيم كلامه على منواله غير الحكيم العليم، فذَكَر السماء مع الأرض طِباقا، والبلع مع الإقلاع جِناسا، مع ما في البلع من استعارةٍ – لبلع الآكل طعامه – بدلا من التعبير بغور الماء؛ لجامع الشبه بينهما في الذهاب إلى مكان خفي، ومن تشبيهٍ للأرض – في تقويتها على الإنبات بما بلعت – بالآكل الذي يتقوى بأكله، وأضاف ملكية الماء إلى الأرض مجازا؛ لجامع الشبه بين اتصالهما، وبين اتصال الملك بالمالك، فدلت هذه على بلوغ القرآن أقصى حد في البلاغة والفصاحة، وقد عدت أبلغ آية في القرآن" [(١)].

٩٠٧. في الآية من جمال البلاغة وبلاغة الكلمة وعمق المعنى وفصاحة اللفظ ما لا يدرك غوره ولا يمكن وصفه، حتى قال عنه الإمام السيوطي: " أَمَرَ فيها ونهى، وأخبر ونادى، ونعت وسمَّى، وأهلك وأبقى، وأسعد وأشقى، وقصَّ من الأنباء ما لو شُرح ما اندرج فيه من بديع اللفظ والبلاغة والإيجاز والبيان، لجفت الأقلام."[(٢)].

---

(١)ينظر النكت في القرآن الكريم (ص٢٤٩-٢٥٠)، ومفتاح العلوم (ص٤١٧-٤١٩)، والتحرير والتنوير (٧٨/١٢).

(٢)الإتقان في علوم القرآن (٣م١٨٤).

٩٠٨. نبهت إلى أهمية امتثال العباد لأوامر الله واجتناب نواهيه، والبعد عن التجبر على خلق الله ومجاهرته بالمعاصي، فإذا كانت هذه المخلوقات العظيمة تنقاد لله بهذا القدر، وكان الثقلين أقل منها قوة وأصغر منها جسما، ففيم التعاظم، وعلام التعالي؟!.

٩٠٩. أشارت إلى امتثال السماء والأرض بأمر الله تعالى في الإقلاع والبلع، وأن هذه الأجرام العظيمة منقادة لله بقدر يشعر بأنها عاقلة مميزة، ومعترفة بعظمة الله وجلالته، ومقرة بثوابه وعقابه، وتبينت لزوم دخولها تحت طاعته، مفزعة من التوقف أو الامتناع عن تنفيذ أوامره، فتُنفِّذها كما ترد عليها دون حبس ولا إبطاء"[(١)].

٩١٠. أشارت – بتعبيرها عن ذهاب الماء بالبلع – إلى شدة وفور الماء وانهماره إلى حد يشعر أنه لم يكن كالماء المعتاد الذي يتم غيضه بالطريقة المعتادة، الكائنة على سبيل التدرج، وقد فُصِّل ذلك في قوله تعالى: ﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ۝١١ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ۝١٢﴾ [القمر:١١-١٢].

٩١١. فيها دلالة على أن الماء من أصل الأرض وليس من السماء وذلك في نسبة الماء للأرض ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ﴾ وأن الماء عندما يكون في السماء يقال له "الرجع" لأنه يرجع إلى الأرض التي تبخر منها وتكثف ثم نزل.

٩١٢. في تعبيرها بصيغة البناء لما لم يسمَّ فاعله في: ﴿وَقِيلَ﴾ إشارة إلى أن المقام متحدث بنفسه عن القائل، والحال دالة عليه؛ إذ لا تسمع السماء والأرض ولا تأتمران بأمر أحد سوى العزيز القهار، فلا يذهب الوهم – عندئذ – إلى قائل بهذا القول غيره، سبحانه جل شأنه، وتعالى جَدُّه.

٩١٣. فيها من دقة القرآن في تعبيره: أنه صرح باسم الماء هنا: ﴿ٱبْلَعِى مَآءَكِ﴾؛ لأن المقام مقام نقص وتقليل للماء، بخلاف إشارته إليه بالأمر في: ﴿مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾؛ لأن ذلك المقام مقام تفخيم وتهويل.

---

(١)ينظر الكشاف (٢/٣٩٨،٣٩٧)، والتحرير والتنوير (١٢/٧٩)، وأيسر التفاسير (٢/٥٤٧).

٩١٤. أشعرت – بمناداة الأرض والسماء على القول بأن (يا) للمنادى البعيد – بتبعيد المنادى والتهاون به إظهارا للعظمة الربانية وجلالتها وإيذانا بما يستدعيه المقام من إبداء شأن ذي العزة والجبروت.

٩١٥. دلت على قدرة الله وعظمته – أيضا – في ملكوته؛ بنداء الأرض والسماء مناداة العاقل في قوله: ﴿يَٰٓأَرۡضُ﴾و: ﴿وَيَٰسَمَآءُ﴾ثم أمرهما بما يُؤمر به أهل العقل والتمييز في قوله: ﴿ٱبۡلَعِي﴾ و: ﴿أَقۡلِعِي﴾..

٩١٦. فيها من عجيب صنع الله في خلقه: إثبات القوى والتصرف للجمادات طبقا لقوله تعالى: ﴿وَأَخۡرَجَتِ ٱلۡأَرۡضُ أَثۡقَالَهَا﴾ [الزلزلة: ٢]، وقوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٍ﴾ [الحج: ٥].

٩١٧. دلت على عدم وجود حاكم، أو متصرف في العالم العلوي والسفلي، غير الله تعالى، وأن ذلك متقرر في العقول؛ فلذلك حسن التعبير بما لم يسم فاعله هنا: ﴿وَقِيلَ﴾.

٩١٨. حُذِف متعلق الإقلاع: ﴿أَقۡلِعِي﴾ – فلم يذكر المقلوع عنه، نحو: أقلعي عن الإمطار– اكتفاء بذكر متعلق البلع، وهو: ﴿مَآءَكِ﴾واختصارا وتأكيدا على بلاغة القرآن وفصاحته؛ فيعبر عن المعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة..

٩١٩. في الوقف على: ﴿أَقۡلِعِي﴾مناسبة تحاكي فعل الإقلاع؛ لأن السماء – أيضا – وقف عن الإمطار.

٩٢٠. فيها إبراز جانب من جوانب إعجاز القرآن للمناقضين عن الإتيان بمثله على هذا النمط العجيب مع القوة البلاغية ومحاكاة القدرة الإلهية بتوجيه هذه الأوامر إلى هذه المخلوقات الجسيمة.

٩٢١. في إيراد هذه الآية في هذه السورة مناسبة حسنة لما ورد فيها من تحدي المناقضين المفترين بالإتيان بعشر سور فقط من مثله مفتريات كما زعموا؛ لأن هذه الآية مشتملة على أصناف راقية من أصناف البلاغة والفصاحة.

٩٢٢. تفيد أن أمر الله عز وجل نافذ لا معقب لحكمه ولا راد لأمره سبحانه وتعالى؛ لقوله: ﴿وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ﴾.

٩٢٣. في تعبيرها عن رسوِّ السفينة بالاستواء إشارة إلى شدة تلك الأمواج وقوتها؛ لأن التعبير بالاستواء إشعار بالاستقرار والتمكن بلا ميل ولا زيغ ولا اضطراب بعد حصول ذلك كله وقت جريها في الأمواج.

٩٢٤. في تعبيرها بالاستواء إشارة إلى طمأنينة قلوب أهل السفينة وأمانهم وأمنهم بعد رسوِّها؛ لما للاستواء من دلالة على انتفاء الاضطراب والقلق.

٩٢٥. تهدي إلى: قيمة معنى الاستواء حسا ومعنى وشرف الصفة، ولذا كانت صفة الاستواء لله لا كصفة استواء المخلوقات، شرف الكمالات، علوا وارتفاعا قهرا وقدرا وذاتا لله العلي الكبير.

٩٢٦. في استواء السفينة بعد الأحوال المفزعة إبان إهلاك القوم الظالمين بالطوفان الجارفة مناسبة لتبشير الناس – عند كثرة البلايا – بالخير وبعث روح الأمل فيهم بأن يتفاءلوا بقرب الفرج من الله وتحويل الكرب نِعَمًا والعسر يسرا؛ فإن الله القوي الذي أنجى نوحا والمؤمنين به وحول اضطراب فلكهم استواءً قادر على فعل مثل ذلك لهم أيضا.

٩٢٧. أرشدت – بتصريحها بمكان استواء الفلك تعريفا به: ﴿ٱلْجُودِيِّ﴾ – إلى الاتعاظ بآيات الله وسننه في الأمم السابقة كما قال تعالى عن فرعون: ﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً﴾ وقال تعالى عن قوم لوط عليه السلام: ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ [الصافات: ١٣٨-١٣٩].

٩٢٨. فيها معرفة الأماكن التي وقعت فيها أحداث كبرى وعبر عظمى لما في ذلك من الاتعاظ والاعتبار؛ لقوله: ﴿وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ﴾.

٩٢٩. في اختيار مكان الاستواء المسمى ب: (الجودي) بعث تفاؤل في نفوس الناجين بالاسم المذكور؛ لأن يعقب هذا الانتقام من الجود والكرم بالخيرات والمنافع والرحمة الخاصة والعامة كما صرح به فيما بعد بقوله: ﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ﴾ (١) [الآية هود: ٤٨].

(١)نظم الدرر (٩/٢٩١).

٩٣٠. في التصريح باسم المكان – الجودي – رد على المستغربين والذين يدَّعون أن لا حقيقة لقصص القرآن وأنها من وحي الخيال.

٩٣١. ومجيء أخباره على الفعل المبنى للمفعول للدلالة على الجلال والكبرياء، وأن تلك الأمور العظام لا تكون إلا بفعل فاعل قادر، وتكوين مكون قاهر، وأن فاعلها فاعل واحد لا يشارك في أفعاله أحد"(١).

٩٣٢. في إطلاق الله تعالى لهذه القوى الهائلة من إمطار السماء وتفجير الأرض بالماء إشارةٌ إلى شدة غيرة الله على دينه وسرعة انتصاره لأوليائه ودلالة على مكانة المؤمنين عنده؛ إذ كان ذاك الطوفانُ استجابةً لدعاء نوح: ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ﴾ [القمر: ١٠]، وتطهيراً للأرض من الظالمين، وإخلاءً للساحة أمام المؤمنين.

٩٣٣. تفيد أن عاقبة الظلم والظالمين وخيمة.

٩٣٤. في هذه الأخذة الرابية دلالة على هوان الظالمين والمفسدين على الله تعالى؛ فإن هلاكهم بهذه الطريقة كان بسبب فرط ظلمهم وتجاوز طغيانهم.

٩٣٥. فيها إشارة إلى قطع عذر العلماء والدعاة في تبليغ الدعوة؛ لأن الله تعالى يذلل لهم الصعوبات ويزيل أمامهم العقبات التي تواجههم في الإرشاد والدعوة؛ كما طهر الأرض من قوم نوح الكفرة الفجرة الذين صدوا الناس عن دعوته قرونا كثيرا.

٩٣٦. دلت – بمجيء الإخبار بصيغة البناء لما لم يسم فاعله في: ﴿وَقِيلَ بُعْدًا﴾ – على جلالة المولى وكبريائه وأن هذه الأفعال الجبارة لا تكون إلا من القادر المقتدر وأنه متنزه عن الشريك فيها كتنزهه عنه في سائر أفعاله؛ فكما أنه لا يُتوهَّم أن يقول غيره: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى﴾ ولا أن ينفِّذ غيره تلك الأمور الجسيمة، فكذلك لا يتوهم أن يقول غيره: ﴿بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

٩٣٧. فيها أن الظلم وأعظمه الشرك سبب للبعد عن رحمة الله تعالى، وسبب للهلاك والعذاب في الدنيا والآخرة؛ لقوله: ﴿وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾

---

(١)ينظر الكشاف (٢/٣٩٨).

٩٣٨. لعل فيها: إشارة إلى بغض الله لهؤلاء المغرقين وهوانهم على الله؛ لقوله: ﴿وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٤﴾، ولم يقل: "وقلنا"

٩٣٩. في إطلاق الظلم ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ دون تحديد من ظلموه إفادة عموم بينت أن ظلمهم تجاوز أنفسهم إلى غيرهم وأنهم ظلموا بوضعهم كل شيء في غير موضعه قال تعالى: ﴿وَقَوۡمَ نُوحٖ مِّن قَبۡلُۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ هُمۡ أَظۡلَمَ وَأَطۡغَىٰ﴾ [النجم: ٥٢].

٩٤٠. أومأت إلى شدة تمكنهم في الظلم حتى صاروا ثابتين فيه عريقين؛ فعبر عنهم بالاسم: (الظالمين)[١].

٩٤١. فيها أن ما وقع من تنفيذ وعد الله حسب قضائه وقدره في انتقامه من الظالمين تحذير للمشركين من الاستمرار في استعجال العذاب كما في مطلع السورة: ﴿لَّيَقُولُنَّ مَا يَحۡبِسُهُۥٓۗ﴾ [هود: ٨]، لئلا يصيبهم مثل ما أصاب قوم نوح عليه السلام.

٩٤٢. فيها – بضميمة لبث نوح فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما – دلالة على أن المعركة بين الحق والباطل معركة خالدة دائمة حتى يأتي نصر الله لأهل الحق فتميل الغلبة إلى كفتهم.

٩٤٣. دلت أنه يجب على أهل الحق عدم الاستسلام، أو التراجع عن مبادئهم، مهما كلفهم ذلك؛ فإن هؤلاء الظالمين ظلوا متمسكين بكفرهم وظلمهم، حتى مَهْلَكِهم وإبعادهم، رغم مكث نوح – عليه السلام – فيهم تلك القرون الكثيرة، وصبره عليهم ودعوتهم دون فتور ولا سآمة..

٩٤٤. في ربطها بواقع هذه الأمة تحذير شديد للمكذبين بالنبي ﷺ، والذين يدّعون افتراءه للقرآن، فإنهم ليسوا أكرم على الله من هؤلاء الهالكين المبعَدين من قوم نوح عليه السلام، ونبينا ﷺ أكرم على الله من جميع الرسل والأنبياء، فلولا لطف الله وسبق حكمته بتأخير العذاب عنهم لعاجلهم بعذاب الاستئصال ولأخذهم أخذ عزيز مقتدر"[٢].

---

(١)ينظر غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٤/٢٥). ونظم الدرر (٩/٢٩٢)، وإرشاد العقل السليم (٤/٢١١).

(٢)ينظر تفسير القرآن العظيم (٣/٢٤١).

٩٤٥. دلت على أن ما قضى الله به في الأزل واقع في وقته، لا مانع له ولا راد، في الأرض ولا في السماء سبحانه"[(١)].

٩٤٦. تهدي إلى: معرفة أسلوب القرآن في سنة الختام والاغلاق، بالامتصاص حسا ومعنى لجذور الباطل، في وقوع النهايات، كما هو البدع والعنوان في إنشاء البدايات لأصول الحق، نصرا وأمنا ابتداء وانتهاء، ولا يظلم ربك أحدا.

٩٤٧. حكم الله على قوم نوح بالعذاب بالماء وكأن الأرض تنجست بكفرهم فاختار الله الماء ليطهرها من رجسهم وينقذ المؤمنين من تبعات هذه التطهير.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [هود: ٤٥]

٩٤٨. فيها: أن النداء يكن للقريب، واستشعار قرب الله داعي لليقين.

٩٤٩. فيها: أنه عند الشدائد أعرف من تنادي، ما كل من ناديت بالمنادى ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ﴾.

٩٥٠. تفيد أن الذي ينادى ويستغاث به في الشدائد هو الرب الرحيم؛ قال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩].

٩٥١. فيها: شدة رأفة الله بخاصة عباده، بإضافة ﴿رَّبَّهُۥ﴾ لنوح إيماء للنهي بعده نهي عتاب مقرون برأفة وتشريف.

٩٥٢. فيها التوسل باسم الرب جل وعلا؛ لقوله: (رب) من قوله: ﴿رَّبَّهُۥ﴾ وهو أكثر اسم توسل به الأنبياء والصالحون في أدعية القرآن الكريم.

٩٥٣. تهدي إلى: معاني الرجاء والطمع في رحمة الله ولو في أبعد الحالات وقوعا وأشدها استحالة.

٩٥٤. تحقيق الإسراع إلى الدعاء واللجوء إلى الله عند الحاجات والنوازل.

٩٥٥. أهمية الدعاء، والتضرع لله سبحانه وتعالى، واللجوء إليه خاصة وقت الشدائد والمحن..

٩٥٦. فيها عظيم مناجاة الرسل ودعائهم لربهم وشكاية ما يجول بدواخلهم وبث همومهم له فإليه الملتجأ والمشتكى وعليه المتكل فهو نعم المولي ونعم النصير.

---

(١) ينظر اللباب في علوم الكتاب (٤٩٩/١٠).

٩٥٧. الكفر لا يلغي صـــله الرحم بل يلقي تبعات الحرص على دعوتهم إلى الله ونصـــحهم والسعي الحثيث في خلاصهم مما هم فيه ﴿إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي﴾

٩٥٨. تشير بعض العبارات أنه كان يخفي كفره من أبيه، وقد رتبت على ذلك هدايات كثيرة، مثل قوله تعالى ﴿فِي مَعۡزِلٖ﴾ فاحتمال اعتزاله عن المؤمنين والكفار وأراد، وقوله ﴿سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ﴾ لم يصرح بإيوائه إلى الكفار أو إلى مأواهم، وقوله ﴿يَعۡصِمُنِي﴾ فلم يقل يعصمنا، قال أبو حيان: وإنما ناداه ظنا منه أنه مؤمن، ولولا ذلك ما أحب نجاته، أو ظنا منه أنه يؤمن إن كان كافرا لما شـــاهد من الأهوال العظيمة، وأنه يقبل الإيمان، ويكون قوله: ﴿ٱرۡكَب مَّعَنَا﴾ كالدلالة على أنه طلب منه الإيمان، وتأكد بقوله: ﴿وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾، أي اركب مع المؤمنين، إذ لا يركب معهم إلا مؤمن لقوله: ﴿وَمَنۡ ءَامَنَۚ﴾.

٩٥٩. فيها: حسن أدب نوح عليه السلام في الدعاء، حيث أن نوح عليه السلام مدركٌ لحال ابنه فكان دعاءه غير مباشر في طلب نجاة الابن.

٩٦٠. تهدي إلى: عظيم شـــفقة الوالد التي لا يحس ولا يشـــعر بها الأبناء، يرجو أن يعود ابنه برجاء فيه عمق الإحساس والألم، وعدم التصريح بما يعلمه الله، وقد هلك.

٩٦١. تفيد أن أعظم الخســـارة بعد النفس خســـاره الأهل ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ﴾[الزمر: ١٥].

٩٦٢. فيها الشـــفقة على الأهل ورحمتهم والحرص على نجاتهم وهدايتهم؛ قال تعالى ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾الشعراء: ٢١٤.

٩٦٣. فيها: أن ﴿رَبِّ﴾ افتتاح الدعاء بصيغة "ربّ" مجردة من ياء النداء من آداب الدعاء.

٩٦٤. فيها: أنه قد يضعف الانسان ويحكم عاطفة الأبوة.

٩٦٥. فيها: حرص الآباء على الأبناء، والشفقة عليهم من أن يصيبهم سوء، أو ينالهم مكروه، وإن كانوا على غير هدى من الله.

٩٦٦. فيها: أن الرحمة على الخلق صفة لا تنفك عن كل داع للخير، وهمه لا يبرح عن الشفقة عليهم ،وهي أعلى الهمم.

٩٦٧. تفيد عظمة المسؤولية للوالدين تجاه الأولاد. فالأبوة ليست إنجابا وتخلي. بل هي مسؤوليات كبرى وعلى رأسها الحرص على سلامة العقيدة.

٩٦٨. فيها: أن معاملة الناس على ما ظهر من صلاحهم، يظهر في ﴿إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي﴾ على من قال أنه منافقًا ؛ولذلك استحل نوح أن يناديه" (١).

٩٦٩. تفيد أن المرء يتحدث بما عنده من العلم حتى ولو كان خطأ؛ لكن إن بيّن الصواب وأدرك الخطأ، يجب أن يرجع ويستغفر؛ بدليل اللاحق: ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٤٦﴾

٩٧٠. فيها أن الخير والشر، والنفع والضر، والهداية والضلالة؛ بيد الله تعالى وحده، وأن الإنسان مهما بلغ شأنه لا يملك لنفسه، ولا لغيره نفعا ولا ضرا..

٩٧١. وفيها الترغيب في أدب الخطاب مع الله عز وجل فقدم الاعتراف بربوبيه الله له ﴿فَقَالَ رَبِّ﴾ والاستدلال والتذكير بوعد الله له في خاصه أهله والتوسل بصفات الله واسمائه الحسني من صدق الوعد ﴿وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ﴾ والحكم ومنتهي الحكمة ﴿وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ﴾.

٩٧٢. تفيد التأدب مع الله تعالى في الدعاء، وذلك بالثناء عليه بما هو أهله.

٩٧٣. فيها أن وعد الله حق وأن الله لا يخلف الميعاد.

٩٧٤. أن الله تعالى في مواضع إرشاد نوح للنجاة استثنى من أهله من حق القول منهم فقال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ﴾[هود: ٤٠].فقد نهاه أن يراجع ربه في الظلمة بما فيهم من استثناه من أهله ، ومن هنا نفهم حياء نوح في دعاء ربه في ابنه في هذا الموضع.

٩٧٥. فيها أن من وضعه عمله وأهانه؛ لا يرفعه نسبه؛ يدل على هذا قوله ﷺ: " من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه"(٢).

٩٧٦. تهدي إلى: معنى الثقة بالله والتفويض إليه في كل أمر صعب أو سهل.

---

(١) تفسير القرطبي ٩/٤٥.

(٢) أخرجه مسلم ٤/٢٠٧٤.

٩٧٧. تفويض الأمر لله رب العالمين مع الأخذ بالأسباب؛ حيث قال: ﴿وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ﴾ بعد الدعاء والتضرع لله سبحانه..

٩٧٨. فيها دليل لمن قال بالأسماء الحسنى المضافة ك ﴿أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ﴾ ، و (أرحم الراحمين)، وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى..

٩٧٩. فيها: أن من الأدب مع الله تفويض الأمر لحكمته بعد كل دعاء.

٩٨٠. فيها: التوسل إلى الله بأسمائه وصفاته، واختيار ما يناسب المقام منها..

قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [هود: ٤٦].

٩٨١. تفيد إثبات صفه الكلام في حق الله عز وجل.

٩٨٢. أفادت أن أهلية الدين أقوى من أهلية النسب، فمن كان نسيبك في الدين، فهو قريبك، وإن بعُد عنك منزلة أو منزلا، ومن كان على خلاف دينك، فهو بعيد عنك ولو كان قريبك في النسب؛ لأن أخوة النسب تنقطع باختلاف الدين، وأخوة الدين ثابتة بثبوته.

٩٨٣. تفيد: "أن الأنساب لا وزن لها مع الكفر؛ كما أنها لا حاجة لها مع الإسلام".

٩٨٤. فيها: أن وجود القدوة لا يلزم منه اتباع القريب لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ﴾.

٩٨٥. دلت على وجوب التبرأة من القرابة في حال تبرئهم من دين الله، وقد ثبت في حديث الحوض تَبَرُّؤُ النبي ﷺ، من بعض أمته بقوله: (...فأقول إنهم مني، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول: سحقا سحقا لمن غير بعدي"[(١)]..

٩٨٦. أفادت أن دين الله تعالى أول من حارب العنصرية، ونَسَف روابط النسب والدم والأرض واللون واللغة، في حال الاختلاف في رابطة الدين؛ فإن الله نفى أهلية ابن نوح عنه لاختلاف دينهما، وقال تعالى: ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾ [الحجرات: ١٣].

٩٨٧. دلت على عدم اكتساب الإيمان والصلاح بالوراثة، وأن اختلاف الناس فيهما حسب اختلاف استعدادهم، وما يحيط بهم من مجريات وأسباب، وما يتعاطونه من آراء ومكاسب،

---

(١) أخرجه البخاري ٨/ ١٢٠ ومسلم٤/ ١٧٩٣.

فمن عمل صالحا فلنفسه، ومن أساء فعليها، ولو كان الأمر بالوراثة لكان جميع الناس كأبيهم آدم عليه السلام.

فلو كانت الأخلاق تُحوى وِراثة ولو كانت الآراء لا تتشعَّبُ
لأصبح كلُّ الناس قد ضَمَّهم هوى كما أنّ كلَّ الناس قد ضَمَّهم أبُ

٩٨٨. فيها: أن من النعيم المعجل كون الأهل على ملة حق واحدة وهو مما يتنعم به أهل الجنة {أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ}.

٩٨٩. يؤخذ منها جواز إطلاق الأهل على أهل الدين، فالله تعالى نفى عن ولد نوح أهليته لانتفاء دين أبيه عنه، وقد قال الله تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الصافات: ٧٦].

٩٩٠. فيها: أن وعد الله حق، وأنه لا خلف لوعده.

٩٩١. أشارت إلى نفي المولاة بين المؤمنين والكافرين، فإذا كان الله قطع العلاقة بين نبيه نوح عليه السلام وابنه، بداعي اختلاف دينهما، فمن باب أولى أن لا تكون ثمة موالاة بين الكفار والمؤمنين الذين لا قرابة بينهم أصلا.

٩٩٢. في هذه الآية الكريمة المباركة أصل عظيم من أصول الإيمان ومن أكبر ركائزه وهو الولاء والبراء وهو أحد قواعد الإيمان عند أهل السنة والجماعة.

٩٩٣. فيها دلالة على خطورة تبني أبناء الصالحين أفكارا منحرفة، وضلالات موبقة، تَحُول بين الأقارب، وتجعلهم أباعد، فيستحيل الجمع بينهم مرة أخرى في الدنيا والآخرة، وما واقع الأمة إلا أكبر مثال لذلك في هذا الزمان.

٩٩٤. في قراءة ﴿عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾ بالمصدر مرفوعا، ورفع: ﴿غَيْرُ﴾ توجيه اللوم إلى نوح في خطاب الله في شأن ولده، بعد نهيه عن ذلك، كما في قوله: ﴿وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟﴾ [هود: ٣٧]، وقوله: ﴿ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ﴾ [هود: ٤٠]، وأكّد ذلك في سورة المؤمنون، بـ: ﴿مِنْهُمْ﴾ في قوله: ﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ﴾[المؤمنون: ٢٧].

٩٩٥. في إسناد تأكيد اللوم إلى العمل دون العامل، في: ﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ﴾ – فلم يقل، مثلا: إنك عملتَ – دلالة على لطف الله بأوليائه، ورفعة قدرهم عنده؛ بعدم مباشرتهم باللوم، كما في شأن النبي ﷺ، حيث لم يواجهه بخطاب العقاب الذي ذكره في حال لو تقوّل بعض الأقاويل،

فجعل جميع ضـــمائره بالغيب، فقال: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ۝٤٤ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ۝٤٥ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ۝٤٦ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ۝٤٧﴾ الحاقة ٤٤-٤٧. ومثله قوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ۝١ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ ۝٢﴾ [عبس: ١ – ٢].

٩٩٦. أرشـدت إلى أهمية الانشـغال بشـكر الله تعالى عقيب اسـباغ نعمه على العبد، وخاصـة مثل نعمة الإنجاء من الأعداء، وإهلاكهم، وإن الانشـغال وغير ذلك من طلب انجاء أحد، غير مستأهل لذلك، قد يكون من باب ترك الأولى والله أعلم.

٩٩٧. أفادت قراءة: (عمِلَ)، بالمضـي، ونصـب: (غيرَ)، أن ابنه عمِل عمَل المشـركين، فكان تعليلا لما من أجله اســتُثني من أهل نوح الموعودين بالنجاة، وفيه إشــارة إلى أن من كان على شـاكلة قوم لحق بهم، وقد قال ﷺ: "من تشبّه بقوم فهو منهم"(١) تقريرا لمبدأ تحمّل كل إنسـان مسؤولية عمله، وأن لا تزر وازرة وزر أخرى.

٩٩٨. أفادت – بقراءة (عَمِلَ) – التقليل من شأن ابن نوح عليه السلام، إذ لم يتعرض لوصفه بالبنوّة، فقال: (إنه عَمِلَ)، وقال عنه: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾، ولم يقل: (إن ابنك عمل)، أو: (إن ابنك ليس من أهلك)، كل ذلك دلالة على أن الكفر يحط من قيمة العبد عند ربه، فيجعله كأرخص شيء لا يكاد يُذكَر..

٩٩٩. تفيد إنَّ الإيمانَ والصَّلاحَ لا علاقةَ له بالوِراثةِ والأنسابِ.

١٠٠٠. تفيد أنّ الإيمانَ والصَّلاحَ طريقه العمل الصالح من بعد توفيق الله عز وجل.

١٠٠١. يفهم منها أن الله رحم نوحا ومن ءامن به وأنجاهم من الغرق بســبب عملهم الصالح، فلذلك ورد اللفظ بنفي ابن نوح عن العمل الصالح، دون نسبته إلى الفساد مباشرة.

١٠٠٢. يفهم منها خُلوُّ ابنِ نوح التامُّ من العمل الصــالح؛ إذ لو عبر عنه بالفســاد قد يفهم من ذلك أنه ربما اشــتمل على بعض الأعمال الصــالحة، كما هو الحال في بعض أهل الفساد، وقد عبر الله تعالى عن رهط ثمود بالفساد في الأرض مزيلا وهم إصلاحهم بعده مباشرة،

(١) سـنن أبي داود، كتاب اللباس، باب في لبس الشـهرة، الحديث رقم (٤٠٣١)، (٤ / ٣١٤) قال شـيخ الإسـلام في الاقتضاء ١/٢٧٠، وهذا الحديث أقل أحواله يقتضي تحريم التشبه بهم، وإن كان ظاهره يقتضي كفر المتشبه بهم.

في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ [النمل: ٤٨]، فكانت العبارة هنا – في سورة هود – ألخص وأشمل، والله أعلم.

١٠٠٣. أرشد مجموع القراءتين إلى أهمية بيان مواطن الخلل وتسليط الضوء عليها تسليطا لا يبقى معه أدنى غموض؛ لأن الله تعالى علل عدم كون ابن نوح من أهله بهذه الجملة بكلتا القراءتين..

١٠٠٤. دلت على إعجاز القرآن وبلوغه الغاية في الفصاحة والبلاغة، فيورد المعاني الكثيرة في الألفاظ القليلة، كما أكدت الآية أن تعدد القراءات بمنزلة تعدد الآيات.

١٠٠٥. فيها إطلاق العمل على الكفر؛ لأنه عمل القلب، وتظهر آثاره في عمل المتصف به خارجا، بدليل امتناع ابن نوح عن الركوب معه في السفينة، فدل ذلك على عدم تصديقه بنوح، أو تهاونه بوعيده بالطوفان.

١٠٠٦. فيها إرشاد إلى هجران المعاصي وأهلها، وعدم الالتفات إليهم، أو النظرة إليهم نظرة إشفاق أو رحمة.

١٠٠٧. دلت على أن ثواب الله إنما يُنال بالإيمان والأعمال الصالحة، لا بقرابة ولا محاباة الآباء والأجداد ولا بوساطتهم.

١٠٠٨. في ربطها بالوقع الآن دلالة على قبح وشناعة ما يَبني عليه بعض الناس مقاييسهم، في اختيار الناس للمناصب، أو الوظائف ونحوها، فيقدمون – بالوساطة أو المحاباة – المؤَخَّرَ، ويؤخرون المقدَّمَ، دون مراعاة للكفء والجدارة، قال تعالى: ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ [النساء: ١٠٩].

١٠٠٩. فيها بيان انتفاء علم نوح بحال ابنه وبما سأل الله به فلم يدعو معتدياً وهو يعلم بحرمة الدعاء لابنه الكافر..

١٠١٠. أفادت أن من سأل الله دعاءً لا يصلح، فإنه لا يقر عليه، بل ينبهه الله ويرشده إلى الصواب.

١٠١١. فيها تسلية للآباء الصالحين عند فساد أبنائهم، فإن ملامة الله لنبيه نوح في شأن ولده موعظة بليغة لكل من لم يوفق في أبنائه، بأن يأخذوا حذرهم حتى لا يوقعوهم في سخط الله من

حيث لا يعلمون، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ﴾ [التغابن: ١٤].

١٠١٢. فيها التنبيه على أن الله لا يسأل عن أسباب أفعاله التي قد طوى علمها عن خلقه، سبحانه هو الفعال لما يريد، وقال تعالى: ﴿لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

١٠١٣. تفيد الآية الكريمة في جملتها: ﴿فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ﴾، نهيٌ من الله تعالى ذكرهُ نبيه نوحًا أن يسأله أسباب أفعاله التي قد طوى علمها عنه وعن غيره من البشر. يقول له تعالى ذكره: إني يا نوح قد أخبرتك عن سؤالك سبب إهلاكي ابنك الذي أهلكته، فلا تسألن بعدها عما قد طويتُ علمه عنك من أسباب أفعالي، وليس لك به علم، "إني أعظك أن تكون من الجاهلين" في مسألتك إياي عن ذلك، أفاده الطبري رحمه الله [(١)]..

١٠١٤. تهدي إلى: حدود ما يجب التزامه من العبد تجاه علم مولاه ووليه الله العليم الحكيم.

١٠١٥. من هدايات قراءات: (فلا تسألنّي)تُؤخذ من قراءة نصب اللامِ والنونِ مشدّدةً في آخره مع حذف الياء: (فلا تسألَنَّ)، إفادةُ التعميم بإيقاع النهي المؤكد عن مثل هذا السؤال، سوء كان موجها إلى الله كما مر، أو إلى غيره.

١٠١٦. أفاد قراءتي حذف الياء وإثباته في قوله: ﴿تَسۡـَٔلۡنِ﴾تأكيد شمول النهي عن السؤال فيما ليس للمرء به علم..

١٠١٧. في تنوع أساليب النهي مناسبة لصُور المنهي عنه؛ فإن تشديد النون مناسب للنهي عن الأمور العظام، وتخفيفه مناسب للنهي عن السؤال في الأمور الهيّنة، في تخفيف النون إرشاد إلى التلطف في النهي، وخاصة إذا كان موجَّها إلى من يندر منه الهفوات، كالأولياء والأصفياء؛ كما هو الحال هنا مع نبي الله نوح عليه السلام.

١٠١٨. تؤخذ من قراءة نصب اللام وتشديد النون مع إثبات الياء، في: (فلا تسألَنّي)، شدةُ نهي نوح عن مثل فعله ذلك، وتعظيمُ أمر سؤال المرء ربه عمّا حجب عنه وجه الحكمة فيه..

---

(١) تفسير الطبري ١٥/٣٥٠.

١٠١٩. يؤخذ منها تحريم إقدام المكلف على فعل حتى يعلم حكم الله فيه، ففيه دلالة على العلم قبل العمل..

١٠٢٠. أشارت إلى إعذار نوح – عليه السلام – في مسألة ربه، بأنه لم يكن على علم بخطورة هذه المسألة، أو بكفر ولده، كما مر، فأرشده إلى اتخاذ الحيطة والتبين قبل الإقدام على المسألة، والله أعلم.

١٠٢١. يفهم منها سعة علم الله تعالى وانفراده بعلم الغيب، فإن نبي الله نوحا خفي عليه حال ابنه، ولم يتبين من كونه مؤمنا، حتى وقع في الهفوة في سؤال الله في شأنه، فأعلمه الله الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء بحقيقة أمره.

١٠٢٢. دلت على أنه يشترط في الدعاء مطابقته للشرع، وسنن الله في خلقه، وتحريم سؤال ما هو محرم، أو مخالف للسنن القطعية بما يقتضي تبديلها، أو تحويل نظام الكون لأجل الداعي.

١٠٢٣. يؤخذ منها أن التعريض بالشيء قد يأخذ حكم التصريح به، فإن نوحا عليه السلام إنما نادى ربه تلويحا بطلب نجاة ابنه، وقد سمى الله تعالى ذلك سؤالا؛ لتضمنه شأن الوعد المقطوع بنجاة أهله، فكأنه سأل الله ذلك.

١٠٢٤. تفيد أن النهيُ يدلُّ على أنَّه يُشتَرَطُ في الدُّعاءِ أن يكونَ بما هو جائزٌ في شرعِ الله وسُنَنِه في خَلقِه، فلا يجوزُ سؤالُ ما هو محرَّمٌ، وما هو مخالِفٌ لسُنَنِ الله القطعيَّةِ بما يقتضي تبديلَها، أو تحويلَها، وقلبَ نظامِ الكونِ لأجلِ الدَّاعي"[(١)].

١٠٢٥. يؤخذ منها أن الكمال لله وحده، وأن المعصوم من عصمه الله تعالى، وأن المعصوم قد تكون منه هفوة، لبيان شدة حاجته إلى الله المتصف بالكمال، ولمنع الناس من الغلو فيه..

١٠٢٦. بينت أهمية الموعظة واحتياج جميع أطياف البشر إليها، فوقعت هنا رفعة وتنزيها لنبي الله نوح – عليه السلام – عن مقام الجاهلين، إلى مقام العلماء العاملين.

١٠٢٧. أفادت أن استكشاف أفعال الله بغير علم، يقود المرء إلى ما لا يليق في جناب رب العزة والجلال، حتى ينطبق عليه وصف الجهل.

---

(١)تفسير المنار ٧١/١٢.

١٠٢٨. في تنزيلها على الواقع الأمة معالجة لخطورة الجهل المستشري في الناس هذا الزمان، فيغالون في بعض المنتسبين إلى الشرفاء، سوءا أكانت نسبتهم زورا أم صحيحة، فَيَعُدونهم – بذلك – من أولياء الله ولو كانوا من أجهل الخلق بالله وكتابه وسنة نبيه ﷺ ، بل ربما ادّعوا استحقاقهم – ومن يعظمهم – سعادةَ الدارين، ولو ارتكبوا محرمات ظاهرة، حتى وصل الأمر ببعضهم إلى طاعتهم في معصية الله، وارتكاب الشعوذة والخرافات، فلو كان ثمت شرف فوق شرف الدين، لما عاتب الله نبيه نوحا في مخاطبته في ابنه الكافر، ولما قال رسول الله ﷺ: (...ويا فاطمة بنت محمد، سليني ما شئت من مالي، لا أغني عنك من الله شيئا"[(١)].

١٠٢٩. في ربطه بواقع الناس – أيضا – بيان أن مِن أجهل الناس وأضلِّهم سبيلا من يسألون بعض من يصفونهم بالإمامة و الصلاح شيئا قد عاتب الله نبيا من أولي العزم لاقترابه منه باجتهاد منه، كسؤال هؤلاء الصالحين بأن يسقطوا عنهم تكاليف، أو يعفوهم عن العذاب الأخروي ونحوها، أو سؤالهم بأن يتوسلوا لهم إلى الله أن يحقق هذه الأمور، ولم يحقق الله ذلك لأنبيائه ورسله!!..

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [هود: ٤٧].

١٠٣٠. تفيد قمة الأدب مع الله تعالى، وهو الرجوع سريعا لموافقة الله تعالى، فأنه ﷺ قال هذا استعطافا، فأرشده الله أن المقام مقام براءة، فإن كل الصلات تتلاشى مع اختلاف الدين، فتلك مفازة لا تعبر ولا يقام عليها معبر، فاستعاذ الله أن يسأله ما ليس له به علم.

١٠٣١. تفيد أن الاستعاذة عبادة وأنها من سنن الأنبياء كما قال نوح عليه السلام هنا: ﴿أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾.

١٠٣٢. وجوب تدريب النفس على الانكسار والتذلل لله بحق وبإيمان.

١٠٣٣. تفيد أهمية تعلم فقه وأدب دعاء الله تعالى.

١٠٣٤. تفيد الترغيب في النظر إلى الماضي وإخفاقاته بعين الاعتبار تصحيحا للمسيرة والعزم على الإستفادة من تجاربه مستقبلًا ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ﴾.

---

(١) أخرجه البخاري ٦/٤، ومسلم ١٩٢/١.

١٠٣٥. تهدي إلى: أن نقص العلم أساس كل بلية، فيتوب بعد ظهور بوادرها العالم الصالح وينتهي، ويلج الجاهل الغاوي ولا يرعوي.

١٠٣٦. تهدي إلى: أن من لا يقوده الأدب مع الله ثم مع النفس والناس إلى الاعتراف بالخطأ، والاعتذار من الخطيئة والزلل، فلن يقوده كثرة العلم إلى بلوغ التوفيق وبلوغ الغاية والهدف، ولا حول ولا قوة إلا بالله..

١٠٣٧. تفيد فقه استمطار الفوز والتوفيق والبعد من الخسران ويشمل ذلك صدق العزم وقوه الإرادة وتصحيح المسيرة باستدراك الأخطاء والاستفادة من التجارب المتراكمة، والبراءة من الحول والقوة، التوكل والاعتصام بالله وحده والالتجاء اليه والعمل على علم ونور من الله.

١٠٣٨. فيها، وبضميمة ما سبق: النهي عن الدعاء للكافرين والشفاعة فيهم.

١٠٣٩. تفيد مكانة ومنزلة وأهمية العلم لما يفعله الإنسان ويتركه.

١٠٤٠. بضميمه ما قبلها من الآيات تفيد قاعدة أن ما ظاهره التعارض في كتاب الله فهو ليس بتعارض حقيقه لأن المثبت غير المنفي وذلك في قوله ﴿إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي﴾ وقوله ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ﴾.

١٠٤١. أن دعوى العصمة المطلقة للأنبياء والرسل باطلة لأن الفضيلة في مغالبة النفس وإكراهها على إتيان الطاعة وترك المعصية فإن كان معصوماً فلا فضيلة له في ذلك لأن خلقته أصلا لا تحمل الخطأ، فتكون استقامته وطاعته في ظل منازعة النفس بين الخير والشر هي عين الكمال والفضل.

١٠٤٢. وفيها: أن كرم الله وتوفيقه للعبد المخطئ أن يذكر ذنبه، فيستغفر فإن ذلك مما يحبه الله في المكلفين من خلقه.

١٠٤٣. وفيها: طلب العون والهداية من العبد الضعيف للخالق القوي.

١٠٤٤. فيها: الاعانة على الهداية توفيق من الله.

١٠٤٥. وفيها: أيضا مغفرة الذنوب رحمة منه سبحانه وتفضل.

١٠٤٦. في الآية إشارة إلى اجتهاد الأنبياء وجواز الخطأ.

١٠٤٧. فيها: حُسنُ تَرتيبٍ، حيث قدَّم طلَبَ المغفرةِ ابتداءً؛ لأنَّ التَّخْليَةَ مُقدَّمةٌ على التَّحْليةِ، ثمَّ أعقَبَها بطلَبِ الرَّحمةِ؛ لأنَّه إذا كان بمحَلِّ الرِّضا مِن اللهِ كان أهلًا للرَّحمةِ"(١).

١٠٤٨. تدل: على أن العبد مهما كانت منزلته ومكانته فإنه مفتقر إلى الله عز وجل بالتوبة والمغفرة.

١٠٤٩. تفيد مكانة وأهمية العناية بالأدعية الشرعية فإن فيها السلامة من الخلل، والزلل، ففيها كمال المبنى والمعنى وهي بحمد الله كثيره ومبثوثة في كتاب الله وما صح من سنه رسول الله.

١٠٥٠. تفيد " عدم جواز الدعاء بما لا يعلم الإنسان مطابقته للشرع" (٢).

١٠٥١. تفيد وبضميمة ما قبلها: {أن الاستغفار والإقلاع عن المخالفة، سبب في الأمن والبركة؛ لقوله بعدها: ﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ﴾.

١٠٥٢. تهدي إلى: كليات أدعية الانبياء من لدن أبيهم آدم ﴿رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]، وضابطه إظهار غبن النفس والفرار بها عن الخسران بإظهار الوسيلة بالافتقار إلى الرحمة والغفران.

١٠٥٣. تفيد، وبضميمة ما سبق: أن من تكلم في القدر بغير إذن الشرع، فهو من الخاسرين؛ إلا أن يتوب..

١٠٥٤. فيها أنه بالمغفرة والرحمة ينجو العبد من أن يكون من الخاسرين ﴿وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ والقرآن يعضد بعضه بعضا ومن ذلك قوله عن آدم عليه السلام، بعدما أكلا من الشجرة ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

قَالَ تَعَالَى: ﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمۡ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [هود: ٤٨].

١٠٥٥. النداء بالاسم الصريح للفت الانتباه والرفعة للمنادى وإشعاره بمنزلته.

---

(١) التحرير والتنوير ١٢/٨٨.

(٢)فتح القدير للشوكاني ٣/ ٤٢٨.

١٠٥٦. تهدي إلى: أسلوب طمأنة الناجين من المؤمنين، والوقوف معهم، بعد كل حدث صعب، ومحنة عسيرة ﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ﴾وخاصة إذا صدر من ذوي الهيئات، والمقامات الرفيعة ﴿مِّنَّا﴾.

١٠٥٧. تفيد أن اعتبار السلامة من ركوب الأفلاك والنجاة من وعثاء الرحلة والسفر سواء في البحر أو البر أو الجو لا يكون إلا بقدر الله، وأن على راكبها استشعار المعية الإلهية؛ والاشتغال فيها بغير معصية المنعِم رجاء الحفظ والهبوط بسلام.

١٠٥٨. تهدي الآية إلى أن التمسك بالتقوى والصبر والتوبة سبب في تحصيل السلامة والعاقبة الحسنة. إذ ثمة فرق بين ﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ﴾ وبين ﴿ٱهۡبِطُواْ مِصۡرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلۡتُمۡۖ وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلۡمَسۡكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِۗ﴾ فالأول محفوف بالرعاية والعناية من المولى. أما الهبوط الثاني فيعتريه الذل والخذلان بسبب المعصية.

١٠٥٩. فيها: أن السلام من الله، وفي الحديث: "اللهم أنت السلام ومنك السلام"(١).

١٠٦٠. فيها: الأنبياء مباركون حيث حلوا حلت بركتهم ﴿ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ﴾.

١٠٦١. لما كان نوح عليه السلام خائفا في أول الأمر، عبر بقوله ﴿قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا﴾هود: ٤٠، لمشعر بعظمة القائل وأنه مع عبده الفقير، ثم لما نجاه الله عبر بقوله ﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ﴾ وبناه للمفعول لزوال الخوف.

١٠٦٢. تفيد أن الله كتب السَّلامَ لعباده الصالحين وسلّم أوليائه وأمنهم من عقوبته وأن ينقصهم حقهم في الدنيا والآخرة ﴿ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ﴾.

١٠٦٣. فيها: أن الله تكفل بالسلامة والبركة بالرزق لمن التزم أوامره.

١٠٦٤. فيها: أن السلام والبركة رزق من الله يزيد بقرب العبد من ربه.

١٠٦٥. فيها: دليل على أن الصديقين لا يفرحون بالنعمة من حيث إنها نعمة، ولكنهم إنما يفرحون بالنعمة من حيث إنها من الحق، وتعينهم على الحق، لقوله تعالى: ﴿بِسَلَٰمٖ مِّنَّا﴾ (٢).

---

(١) أخرجه مسلم ١/٤١٤.

(٢) تفسير الرازي ١٨/٣٦١.

١٠٦٦. فيها، وبضميمة ما سبق: أن الله، ينجز وعده ويزيد من فضله؛ فأما عن إنجاز الوعد، فلقوله: ﴿بِسَلَٰمٍ﴾، وأما عن زيادة الفضل، فلقوله: ﴿وَبَرَكَٰتٍ﴾ وهذا يدل على سعة كرم الله وأنه ﴿خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ﴾ [يوسف: ٥٩]، كما قال: ﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٩].

١٠٦٧. فيها، وبضميمة ما سبق: بشارة للصابر المحتسب والمظلوم؛ بأن الله ينصرهم ويفضل عليهم في الدنيا قبل الآخرة؛ لقوله: ﴿بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ﴾، فذكر السلامة للنجاة والنصرة، وذكر البركات للإفضال بعد النجاة.

١٠٦٨. وفيها أن من أجل مظاهر البركات أن تصرف الأعمار والأموال وسائر ما أنعم الله على العبد في طاعة ربه ونصرة دينه ﴿وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ﴾.

١٠٦٩. تهدي إلى: فحوى تحية الإسلام بجميع جملها منطوقة ومفهومة السلام، البركات، الرحمة (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته).

١٠٧٠. فيها: أن نفع البركة التي هي أثر لصلاح العبد يتعدى إلى الأولاد والأحفاد.

١٠٧١. فيها: أن الله جعل حظ المؤمن سلامة يعقبها بركة، والكافر متاع دنيا ثم يعقبه عذاب، وهذا من كمال عدله جل جلاله.

١٠٧٢. فيها مع التي قبلها إشارة إلى أن التوبة سبب للسلامة ونيل الرزق والخير الوفير، وقد صرح بها، فقال تعالى على لسانه: ﴿وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾.

١٠٧٣. فيها إشارة إلى أثر القدوة الحسنة، فقد شابهت توبته عليه السلام توبة أبينا آدم وأمنا حواء عليهما السلام فقال الله على لسانهما: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف: ٢٣].

١٠٧٤. فيها أن السلام الحقيقي -الذي يتشدق به أعداء السلام - إنما هو في طاعة الله واتباع الرسل وإقامة الدين في الأرض. فلا سلام للبشرية جمعا ولا بركات إلا بذلك.

١٠٧٥. فيها: جبر الله الجميل وتلطفه بعباده، جعل نوحًا -عليه السلام- أبًا للبشر جميعًا بعد كسر قلبه على ابنه.

١٠٧٦. فيها: سنة الله في الخلق تقسيمهم إلى أمم ﴿وَأُمَمٌ﴾.

١٠٧٧. فيها: الحث على تحري البركة والحاجة إليها، والامتنان على نوح ومن معه بها.

١٠٧٨. فيها أنه ليس المعوَّل عليه في أمر العبد تنعمه في الدنيا، بل ما كان مآله في الآخرة.

١٠٧٩. وفيها أن أعظم ما يمحق البركات تنكب الصراط المستقيم كفرًا بالله وتكذيبا لرسله ﴿وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

١٠٨٠. تهدي إلى: قصة التسلسل التاريخي هيئة ومضمونا، رحمة المؤمنين، وهلاك المتمتعين من لدن من عاش بعد من نجى من تلك السفينة دهرا بقرون قوم عاد وثمود، جنوبا وشمالا من جزيرة العرب، وأرض العرب هي أرض الخلافات الأولى، ومهبط الرسالات، وسنة الله جارية في هلاك المتمتعين بغير حق..

١٠٨١. تهدي إلى: أن مسمى الألم اسم يقع في القرآن للحرمان بعد العطاء، والإبعاد بعد التقريب، والعذاب بعد النعيم، ولا يظلم ربك أحدا.

١٠٨٢. فيها: هول عذاب الله وأنه لا يقدر قدره، وذلك من وجهين: الأول: للتعبير بالمسيس، في قوله: ﴿يَمَسُّهُم﴾؛ وهذا أشبه بقوله: ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ [الفجر: ١٣]. قطعة عذاب (قطعة واحدة). والثاني: وصفه بأنه ﴿أَلِيمٌ﴾.

قَالَ تَعَالَى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود: ٤٩].

١٠٨٣. فيها: أمر الله لنبيه أن يتأسى بمن سبقه من الرسل، والصبر على الأذى في سبيله؛ وتصديقه: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

١٠٨٤. ففيها: أهمية القصص القرآني، وأنها تسلية وعبرة.

١٠٨٥. فيها تسلية وتثبيت للنبي ﷺ في الصبر على أذى المشركين حيث العاقبة الحميدة والنصر المبين والعز والتمكين له ولصحابته الكرام.

١٠٨٦. فيها: أن من أعظم أسباب الثبات على الحق قصص الأنبياء.

١٠٨٧. تفيد عظمة وأهمية هذه القصص القرآنية ولذلك سماها ﴿أَنبَاءِ﴾ ؛ لأن النبأ خبر ذو قيمة عظيمة.

١٠٨٨. وفيها أن ما يأتي به النبي ليس من عند نفسه بل حادث طارئ عليه آتاه الله إياه وحياً بنصه ورسمه وإنما هو نذير مبلغ لم يزد فيه ولم ينقص.

١٠٨٩. تهدي إلى: أن كل نبأ خلا عن البينة بالشهود والحضور فهو في حيز الظن والبحث والتقصي..

١٠٩٠. فيها: أن النبي - ﷺ لا يعلم الغيب؛ فغيره من باب أولى.

١٠٩١. فيها: امتنان الله بالعلم على عبادة، لا عالم إلا بفضل لله.

١٠٩٢. فيها: أن القرآن منبع علم لا ينضب ﴿مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا﴾ ومصدر كل خير.

١٠٩٣. تفيد الترغيب في استشعار الداعية لمسؤوليته تجاه قومه ومخالطتهم ودعوتهم والصبر عليهم ﴿أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ﴾.

١٠٩٤. تفيد تحريض أهل الكتاب بإتباع النبي ﷺ بما عندهم من بقية من علم فالوحي يصدق بعضه بعضًا.

١٠٩٥. تفيد أن الله عز وجل قد يخص بعض رسله ببعض الغيب.

١٠٩٦. فيها: أن الله أشار للنبي ﷺ وقومه حصراً بأنهم لم يكونوا يعلمون عن قصة نوح؛ لأن أهل الكتاب يعلمون من كتبهم خبر نوح فخصص ربنا الجهل بهذا الخبر على قريش والنبي ﷺ.

١٠٩٧. نلحظ من البلاغة في الخطاب أن الله ساوى بين النبي ﷺ وبين قومه في نفي العلم بهذا الخبر، فلو كان النبي ﷺ مفترٍ لهذا الحديث لما خاطب نفسه بهذه الطريقة.

١٠٩٨. فيها نذارة ضمنية لقريش بأن الله قادر على استئصالهم كما فعل بقوم نوح.

١٠٩٩. فيها: فضل التقوى، وأنها تنال بالصبر.

١١٠٠. تهدي إلى: ترقب حسن العواقب بسلاحي الصبر والتقوى.

١١٠١. فيها: أن العاقبة للمتقين وهذا وعد منه سبحانه.

١١٠٢. فيها: العاقبة الحسنة خصيصة وملك ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ ثابتة لهم منتفية عن ضدهم.

١١٠٣. وفيها: امتنان على النبي عليه الصلاة والسلام وتصبير لما يلقاه من قومه.

١١٠٤. وفيها: أهمية الصبر. وخاصة على الدعوة. فعاقبته النصر والتمكين.

١١٠٥. فيها: أن الصبر صفة يجب أن لا تنفك عن الداعية لله.

١١٠٦. فيها: أن الصبر ليس له عاقبة إلا الظفر والتمكين.

١١٠٧. فيها الأمر بالتزود بالصبر وأن على الداعية أن يتحلى بالصبر في سبيل نشر دين الله في الأرض فالصبر يحصل المقصود وتنال الرغائب وتعظم النتائج.

١١٠٨. وفيها: أنه لابد من ترويض النفس على الدعوة ونتائجها.

١١٠٩. وفيها: سنة الله جارية لنصرة رسوله وعباده المتقين.

١١١٠. تفيد أن الأمور بخواتيمها وعواقبها.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾ [هود: ٥٠].

١١١١. تفيد أن الأنبياء يبعثون إلى أقوامهم خاصه، عدا رسولنا عليه السلام فقد بعث للناس كافه ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ﴾.

١١١٢. فيها: استمالة القلوب للداعية ومعرفتهم بأخلاقه أدعى لقبول دعوته، ﴿أَخَاهُمْ﴾.

١١١٣. وفيها: أنه ﴿أَخَاهُمْ﴾ في النسب وليس في الدين.

١١١٤. وفيها: كل قوم أرسل لهم رسول منهم حتى يكون أبلغ في الحجة وأدعى للقبول.

١١١٥. في: إيراد القرآن للقصص المتوالية عن أحوال الأمم تدل على حاجة الناس للتذكير المستمر لتصحيح المسار والاعتبار بمن سبق.

١١١٦. فيها: رحمة الله تعالى بالخلق في تتابع إرسال الرسل لهدايتهم؛ قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ۖ﴾.

١١١٧. فيها: تلطف الداعية في الخطاب واستعطافهم والحرص على استرعاء الأسماع ﴿قَالَ يَا قَوْمِ﴾ من مفاتيح القلوب.

١١١٨. وفيها: النداء بـ﴿يَا قَوْمِ﴾ فيه إشارة لأهمية لما سيلقى على آذانهم.

١١١٩. فيها: أهمية ومشروعية الجهر بالحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

١١٢٠. تفيد: إن دعوة الأنبياء واحدة، وهي الدعوة إلى التوحيد.

١١٢١. وفيها: مفتاح دعوة الرسل الدعوة إلى عبادة الله وحده دون سواه.

١١٢٢. فيها أن التوحيد نفي وإثبات ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ إثبات ﴿مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ﴾ نفي، فلا بد منهما جميعا.

١١٢٣. فيها: مبدأ كل دعوة وصـــلاح يكون في الدعوة لتوحيد الألوهية، فقلّما توجد طائفة تنكر توحيد الربوبية.

١١٢٤. فيها: توجيه لجميع المشتغلين بالدعوة إلى الله، أن يهتموا بالعقيدة الإسلامية.

١١٢٥. تفيد: رحمة الأنبياء بأقوامهم، ومحبة الخير لهم، وخوفهم عليهم من العقوبة، لذا حذر كل نبي أمته عاقبة الشرك..

١١٢٦. فيها: أن من الأســـاليب النافعة في الدعوة إيضـــاح العلة وتدعيمها بالدليل، ومخاطبة العقول بما هو ظاهر لها

١١٢٧. فيها: تعاهد الدعوة للتوحيد في كل زمان والحرص على وجود فئة تقوم بالنصـــح لله وهذا ظاهر في تتابع الرسل.

١١٢٨. فيها وجوب التحذير من الشرك وبيان قبحه لأنه من أعظم الافتراء والكذب.

١١٢٩. وفيها: أن عبادتهم لمعبوداتهم ليست عقيدة وإنما إفكا.

١١٣٠. فيهـا: قوة الأنبيـاء في الحق، وأنهم لا يخـافون في الله أحـدا؛ لقولـه: ﴿إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا مُفۡتَرُونَ﴾.

١١٣١. تفيد ان اعظم الافتراء اعتقاد العقائد الباطلة والدعوة لها ز

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِي فَطَرَنِيٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ [هود: ٥١].

١١٣٢. فيها: أن التحبب للناس في الدعوة، من أساليب الترغيب فيها كما هو أسلوب الترهيب، فندائهم بقوله: ﴿يَٰقَوۡمِ﴾، يوحي لهم باعتزازه بالانتساب إليهم والتودد لهم لعل الله يفتح قلوبهم للحق.

١١٣٣. فيها: عظمة أولئك المصلحين عليهم الصلاة والسلام فلم يكونوا باحثين عن مناصب أو أغراض دنيوية، ولذا كان هذا المنهج الذي قاموا به منهجاً ربانياً جاء ليحقق مصالح العباد في الدنيا والآخرة.

١١٣٤. فيها أن على الداعية أن يحسن نيته ومقصده، بأن يكون عمله خالصا لله عزو جل.

١١٣٥. تنكير الأجر وتنوينه يفيد أنه لا يطلب منهم قليلا ولا كثيرا؛ ففيها أن الداعية لا يلتفت للقليل ولا الكثير من حطام الدنيا وأموال أهلها.

١١٣٦. فيها أن عزوف الداعية عن ملذات الدنيا وشهواتها يجعل لقوله ودعوته قبولا عند الناس.

١١٣٧. فيها أن أسلوب دفع ريبة المنفعة وشكوك الرغبة في المال والسلطة لدى الناس من أوجه ما يؤلف القلوب ويفتح الأذهان، فإن الشك في نوايا الداعية والرسول، هو من أهم موانع الاستماع لدعوته وفهم عناصرها.

١١٣٨. تهدي: للمبادرة إلى نشر الهدى والعلم الشرعي وتعليم الناس الخير؛ خصوصا لمن وفقهم الله للحاق بركب الدراسات الإسلامية وعدم كتم الحق ودرسه (أي نسيانه) انتظارا للوظيفة والجاه والمنصب؛ فما عند الله خير وأبقى.

١١٣٩. وفيها معنى قوله تعالى: ﴿وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ﴾[النساء: ١٢٨]، فالنفس جبلت على الحرص على المال والتفلت من السلطان فإن أمِنَت هذين فقد فتحت بابين عظيمين من أبواب القلوب.

١١٤٠. فيها: أن الداعية لله حقًا لا يتشوف للدنيا وعطاء أهلها.

١١٤١. فيها: أن التردد على حياض الدنيا ومطامع ملوكها فيه طعن بصدق الشخص.

١١٤٢. فيها: أن العمل إذا كان مطهر عن دنس الطمع قوي تأثيره على القلوب بلغ نفعه وبركته.

١١٤٣. فيها: أن الداعية الفطن يأسس قبل البناء ويخلي قبل التحلية.

١١٤٤. فيها احتساب أجر الدعوة إلى الله عز وجل والحرص على الإخلاص فيها؛ لقوله: ﴿إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِي فَطَرَنِيٓۚ﴾.

١١٤٥. فيها أن هود عليه السلام جعل أجره الشرعي، مطلوب كل العقلاء، والأنبياء أكمل الناس عقولا فهم عليه أحرص وله أطلب، جعل أجره على من قد فطره وهو الله عز وجل.

١١٤٦. فيها دليل عقلي على التوحيد والإخلاص؛ لقوله: ﴿ٱلَّذِي فَطَرَنِيٓۚ﴾ فالخالق الذي فطرك وخلقك هو الذي يعطي الأجور ويجازي على الأعمال لا غيره من المخلوقين الذين لا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا.

١١٤٧. تفيد: التذكير بنعمة العقل؛ فهو نعمة عظيمة وهبها الله الإنسان ليميز بين الأشياء حسنها وقبيحها.

١١٤٨. فيها تشديد النكير على المشركين ولفت عقولهم إلى النظر في أدلة التوحيد وصحة النبوة.

قال تعالى: ﴿وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ مُجۡرِمِينَ﴾ [هود: ٥٢].

١١٤٩. فيها: من المناسبة أنه لما دعاهم في الآية السابقة للتوحيد دعاهم هنا للتوبة والاستغفار.

١١٥٠. تفيد: لين الخطاب والتودد للمخاطبين واستثارة عواطفهم وبيان حرصه على دعوتهم ونفعهم عسى ولعل أن يستجيبوا ﴿وَيَٰقَوۡمِ﴾.

١١٥١. فيها: ليس عيبا أن يخطئ المرء ولكن العيب الاستمرار عليه.

١١٥٢. فيها: أهمية الاستغفار. ويتأكد في نهايات الأعمال والأقوال والأماكن، بدلالة تقديم الاستغفار على التوبة فإن عطفها عليه بحرف التراخي: ﴿ثُمَّ﴾- يدل على أهميته.

١١٥٣. فيها: أن إنهاء العبد الأعمال بالاستغفار والتوبة مدعاة لترك العُجب وانكساره بين يدي الله وأحرى لقبول العمل.

١١٥٤. فيها الحث على الاستغفار وأنه من أصول دعوة الرسل عليهم السلام.

١١٥٥. فيها التفريق بين الاستغفار والتوبة لدلالة العطف؛ لأن العطف يقتضي المغايرة.

١١٥٦. في تقديم الاستغفار على التوبة دلالة على أنه لا يمكن للعبد أن يتوب من ذنبه دون اعترافه به؛ فإن استغفاره من ذنوبه لازم لاعترافه بها" (١).

١١٥٧. أشارت بتأخير التوبة عن الاستغفار - إلى إمهال الله تعالى لعبده العاصي ولو تأخرت توبته، مع ما في تأخيرها من خطورة بالغة، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣].

١١٥٨. أفادت بتقديم الاستغفار على التوبة أيضا أن التوبة لا تصح إلا بعد الإيمان بالله تعالى؛ لشمول الاستغفار على كفرهم وشركهم بالله، من باب أولى، وفقا لسَبق التخلية للتحلية" (٢)،

(١) ينظر أيسر التفاسير (٢/٥٥٢).

(٢) ينظر روح البيان (٤/١٤٧).

على أن للتوبة – أيضا – أهميتها القصوى، بدلالة نفس التراخي، المشير إلى علوّ رتبتها، وجلالة قدرها؛ حيث جعل الاستغفار مقدمة وتوطئة لها" (١).

١١٥٩. في اقتران القرآن – كثيرا – بين الاستغفار والتوبة، إرشاد إلى الجمع بين القول والعمل؛ لأن الاستغفار يكون باللسان، والتوبة بإقلاع الجوارح والقلوب عن الذنوب" (٢)

١١٦٠. فيها: أن ابتدأ العبد الأعمال بالاستغفار والتوبة يزيد من ثباته عليها وقوته فيها وبركتها.

١١٦١. فيها أن نهج القرآن الربط بين الطاعات والمنافع الأخروية وهو أكثر، وبه السعادة التامة، وأما منافع الدنيا تكن بقدر الكفاية، ويكفي المؤمن نعيم الأنس بتلك الطاعة، ولذة القرب من الله..

١١٦٢. في: عطف جملة ﴿تُوبُوٓاْ﴾ في قولة تعالى: ﴿ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ﴾ بـ ﴿ثُمَّ﴾ التي تدل على التراخي، دون الواو التي تدل على الجمع فيها الحث على الاستمرار والمداومة على التوبة التي تعني الرجوع إلى طاعة الله والاستمرار على ذلك إلى الممات وعدم الرجوع إلى الشرك بعد طلب المغفرة منه. ويستفاد هذا المعنى من دلالة ﴿ثُمَّ﴾ على التراخي في الزمان.

١١٦٣. ومنها: فضل التوبة ومنزلتها عند الله؛ لأن فيها رجوعا إلى طاعة الله تعالى وإقبالا على الأعمال الصالحة التي يحبها الله، والأحاديث النبوية تدل على هذا المعنى. ويستفاد هذا المعنى من دلالة ﴿ثُمَّ﴾ على التراخي في الرتبة والمنزلة.

١١٦٤. فيها: أن إمساك المطر تنبيها على غضب الله وكثرة الذنوب.

١١٦٥. فيها: أن من رحمة الله بعباده وعلمه بضعفهم وتثبيتا لهم أن أثابهم بتعجيل نعيم الطاعات في الدنيا.

١١٦٦. فيها: أن من لزم رضى الله، أرضاه الله بتيسير رزقه وحفظ قوته.

١١٦٧. يستفاد من قوله تعالى ﴿وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ﴾. أن الاستغفار والرجوع إلى الله بالطاعة والعمل الصالح سبب مضاعفة القوة لأهل الإسلام وعدم نقصها، وأن الكفر والمعاصي سبب للضعف ونقص البركات.

---

(١)ينظر نظم الدرر (٣٠٨/٩).

(٢)ينظر جامع العلوم والحكم (٤٠٧/٢).

قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [هود: ٥٣].

١١٦٨. تفيد هذه الجملة من الآية: ﴿قَالُوا يَا هُودُ﴾ ما كانوا عليه هؤلاء من الغلظة وعدم التأدب ومن حُرم الأدب مع رسوله الكرام حُرم الهداية.

١١٦٩. تفيد أن كل دعوي لم تقم عليها حجه واضحة، تدل على صحة هذه الدعوي فإن أصحابها أدعياء ﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾.

١١٧٠. وفيها: ﴿قَالُوا يَا هُودُ﴾ هذا النداء يوحي بأمر مهم سيقال أو سيفعل.

١١٧١. وفيها أن من حال الله بينه وبين الهداية ينكر البينات الصريحة والحجج الصحيحة فكان هذا جزاءً وفاقا لإعراضهم عن الحق وتنكبهم طريق الإيمان والانقياد ﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾.

١١٧٢. تفيد أن البينة علي المدعي، وفي ذلك قوله عليه السلام عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: "لو يعطى الناس بدعواهم، لادعى رجالُ أموالَ قومٍ ودماءهم، لكن البينة على المدعي واليمين على من أنكر"(١).

١١٧٣. تفيد: أنهم قد أصروا على التولي والكفران إذ تكرار النفي منهم، وذلك في قولهم: ﴿مَا جِئْتَنَا﴾ وأيضا: ﴿وَمَا نَحْنُ﴾.

١١٧٤. تفيد: ذم الجدال بالباطل بعد ظهور الحق وأن هودا عليه السلام جاءهم بالبينات؛ قال السعدي: فـ ﴿قَالُوا﴾ رادين لقوله: ﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾ إن كان قصدهم بالبينة البينة التي يقترحونها، فهذه غير لازمة للحق، بل اللازم أن يأتي النبي بآية تدل على صحة ما جاء به، وإن كان قصدهم أنه لم يأتهم ببينة، تشهد لما قاله بالصحة، فقد كذبوا في ذلك، فإنه ما جاء نبي لقومه، إلا وبعث الله على يديه، من الآيات ما يؤمن على مثله البشر، ولو لم يكن له آية، إلا دعوته إياهم لإخلاص الدين لله، وحده لا شريك له، والأمر بكل عمل صالح، وخلق جميل، والنهي عن كل خلق ذميم من الشرك بالله، والفواحش، والظلم، وأنواع المنكرات، مع ما هو

(١) أخرجه النسائي ٨/٦٤٠، وصححه الألباني في الإرواء ٨/٢٦٤.

مشتمل عليه هود، عليه السلام، من الصفات، التي لا تكون إلا لخيار الخلق وأصدقهم، لكفى بها آيات وأدلة، على صدقه"[(١)].

١١٧٥. وفيها: تعلقهم بآلهتهم كبر وعتو واتباع وعادة وليست عبادة؛ ولذلك ليس لها أثر.

١١٧٦. فيها أن أهل الباطل يتشابهون في أسلوبهم وطريقتهم، ذلك أنهم جميعا يصدرون عن هوى نفوسهم، مستكبرين معاندين.

١١٧٧. يفيد: جمع الآلهة تعدد المعبودات من دون الله وهذا مكمن الحاجة لإرسال الرسل ﴿أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ [ص: ٥].

١١٧٨. فيها: أن ديدن أهل الكفر والمعاصي المحاجة والتقليد والاصرار.

١١٧٩. فيها: أن قسوة القلب وعدم قبول الحق من الحرمان والعذاب المعجل.

١١٨٠. فيها: أن من تشرب الشبهات صعب عليه الانقياد للحق الواضح.

١١٨١. فيها: أن من الجهل سد أبواب الخير وسماعه.

١١٨٢. فيها أن الشرك يفسد العقل والتصورات، ويجعل صاحبه يتمسك بما هو ظاهر البطلان ولهذا قالوا: ﴿بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾

١١٨٣. وفيها: ﴿وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ جملة أسمية ومزادة بالباء فيها دليل أنه لا يرجى منهم الإيمان بأي وجه كان.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ﴾ [هود: ٥٤ – ٥٥].

١١٨٤. فيها: دلالة على أنهم كانوا قد بلغوا في تمجيد آلهتهم واعتقادهم القوة والبطش فيها إلى حد لا يعلمه إلا الله؛ للتعبير بصيغة الحصر في: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا﴾ وما في: ﴿ٱعْتَرَىٰكَ﴾من معنى الغشيان والقوة، والتبعيض في: ﴿بَعْضُ ءَالِهَتِنَا﴾ حيث لم يسندوا إضراره إلى جميع آلهتهم" [(٢)].

---

(١) تفسير السعدي ١/٣٨٣.

(٢) ينظر العين (٢/٢٣٣)، ومقاييس اللغة (٤/٢٩٦)، والمحكم والمحيط الأعظم (٢/٣٣٨)، ومفاتيح الغيب (١٨/٣٦٤)، ونظم الدرر (٩/٣٠٩)، والتحرير والتنوير (١٢/٩٨).

١١٨٥. تفيد: أن أهل الشرك دائما يعيشون في أوهام ليست معها بينات ﴿بَعۡضُ ءَالِهَتِنَا﴾ وهذا شأنهم إلى يومنا هذا يوهمون الناس بمثل هذه الأقوال.

١١٨٦. في: قولهم بنسبة فعل السوء لبعض آلهتهم لزم وجود بعضها لم يحصل منها ذلك وهذا من دلائل الضلال واختلال مفهوم الالوهية عندهم.

١١٨٧. أفادت أنهم اعتقدوا أن آلهتهم لم تبالغ في مسه بالسوء وإلا لكان ذلك كافيا في القضاء عليه، وانتهاء دعوته إياهم بترك عبادتها؛ لما في تنكير السوء: ﴿بِسُوٓءٖ﴾ من معنى التقليل.

١١٨٨. دلت على أنهم كانوا جفاة، غلاظ الأكباد، غير مبالين بالبينة، ولا ملتفتين إلى النصح، بجهلهم المفرط وَبَلَهِ عقولهم، ما وصل بهم إلى اعتقاد ترَتُّب العقاب على معصية الحجارة، وأنها تنتصر وتنتقم ممن عصاها، ولعلهم أجازوا – حينئذ – الحصول على ثواب منها!" [(١)].

١١٨٩. أشعرت: بخطورة مخالطة المشركين لمن لم يكن على علم وقوة توكل؛ لأنه يكون عرضة لزرع دسائسهم وإلصاق خرافاتهم، فهذا نبي من أنبياء الله يتعرض لذلك إبان دعوته لهم، فأخرسهم بما وهبه الله تعالى من قوة توكل وصدق يقين، في تحد صارم لا يصدر إلا مِن مَن تيقّن بحفظه من لدن الحفيظ العليم.

١١٩٠. بينت – بربطها بواقع الأمة – بيان خطورة التشبه بالمشركين في قيلهم كقول بعض الجهلة من المنتسبين إلى الإسلام: إنما أصاب فلانا سخطُ الوَلِيّ الفلانيّ أو: فلان ضربه الوَلِيُّ الفلاني"[(٢)].

١١٩١. بينت – بربطها بواقع الأمة – خطورة ما انتشر من عبادة القبور وإجلال أصحابها وصرف أنوع العبادة – التي لا تصرف إلا لله وحده – لهم من الخوف من أذاهم وتخويف الناس – أيضا – منهم"[(٣)].

---

(١) ينظر الكشاف (٤٠٣/٢)، ومحاسن التأويل (١٠٨/٦).

(٢)ينظر مصرع التصوف لإبراهيم بن عمر البقاعي (٢٦٤/٢)، وأيسر التفاسير (٥٥٤/٢).

(٣)ينظر كتاب التوحيد (ص٩١)، وفتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص٣٤٤).

١١٩٢. أفادت: أن ترك القيام بالواجب – كأمر الله تعالى أو تبليغ دعوته – خوفا من غير الله من أخطر أنواع الشرك؛ فإن نبي الله هودا عليه السلام لم يلتفت إلى تخويف قومه من سوء آلهتهم، وكان غرضهم في ذلك تخويفه لثنيه عن نهيه من عبادتها"(١).

١١٩٣. فيها تثبيت للنبي ﷺ للوقوف في أعين قومه الذين يحاولون تخويفه لترك بعض ما يوحى إليه من ربه.

١١٩٤. فيها تطابق مع هدي نبينا محمد ﷺ وبعض أصحابه رضي الله عنهم؛ فإن الله تعالى بين قوة توكلهم عليه وصدق يقينهم به، بصدور مثل هذا الموقف منهم، في قوله جل وعلا: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

١١٩٥. فيها: إشارة إلى أهمية تركيز المحاور على محل النزاع؛ لبدء هودٍ الرَّدَّ عليهم ببراءته من الشرك، دون نفيه المباشر لمسه بسوء من آلهتهم؛ لأن أكبر مهمة الرسل والأنبياء عليهم السلام هو محاربة الشرك، فصَبَّ هود – عليه السلام – تركيزه على نقطة مهمة هي: اعتقادهم في آلهتهم القوة والانتصار ممن قَصَّر معهم، ولا يقدر أحد على ذلك إلا الله الواحد القهار"(٢).

١١٩٦. أفادت: أن السكوت عن إنكار المنكر يعتبر موافقة له، فرد عليهم في افترائهم أنّ دعوته وقعت نتيجةً لسوء تعرض له من بعض آلهتهم؛ حيث كان يسوغ له السكوت عن رد هذا الادعاء، طالما أنه متيقن بكذبهم في ذلك، لكن لما كان السكوت عن الباطل موافقة له، رد عليهم في ذلك مفندا هذا التّخرص والادعاء.

١١٩٧. تفريق هود عليه السلام، بين إشهاد الله بقوله: ﴿أُشْهِدُ ٱللَّهَ﴾ وبين أمره إياهم بالشهادة بقوله: ﴿وَٱشْهَدُوٓا۟﴾ولم يقل: (وأُشهدكم)؛ لما في إشهاد الله – تعالى – على براءته من الشرك من معنى التثبيت لإيمانه وشَدِّ معاقده"(٣).

---

(١)ينظر فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص٣٤٤).

(٢)ينظر الحوار في القرآن معالمه وأهدافه (١٠٥٣/٢).

(٣)ينظر الكشـــاف (٤٠٣/٢)، وأنوار التنزيل وأســـرار التأويل (١٣٨/٣)، والبحر المحيط (١٤٥/٦)، والتحرير والتنوير (٩٩/١٢).

١١٩٨. في تفريقه بين الشهادتين – أيضا – حسن الأدب مع الله تعالى في عدم تسويته معهم في الشهادة؛ إذْ كان أمره إياهم بالشهادة تهاونا منه بدينهم وعدم مبالاة به بخلاف إشهاد الله بصيغة الخبر التي هي أشرف وأجل، فحَسن التغاير بين التعبيرين"(١).

١١٩٩. في تأكيد هود براءته من الشرك وأهله – وفقا لما جرت عليه عادات الناس من توثيق أمورهم بإشهاد الله تعالى، وشهادة العباد – دليل على يسر القرآن وقربه للأفهام كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ﴾القمر: ١٧، فلم يخرج عن طرقهم في الكلام ومع ذلك لم يقدر أحد على معارضته بالمثل"(٢).

١٢٠٠. أفادت – بتبرئته عليه السلام، عن الشرك، بالجملة الاسمية المؤكدة بـ: (أنّ): ﴿أَنِّي بَرِيٓءٌ﴾ أن هذه البراءة متأصلة فيه قديمة ثابتة فلا يثنه عن ذلك تخويف ولا تهديد ولا وعيد"(٣).

١٢٠١. فيها استحسان تعقيب البراءة من الباطل بالتحدي والإعجاز مجاهرةً؛ لما في ذلك من تأكيد البراءة وتصديقه وتثبيت البريء على موقفه؛ ﴿فَكِيدُونِي جَمِيعًا﴾(٤).

١٢٠٢. فيها مزيد من تعيير آلهتهم والطعن فيها دليلا على عجزها وبيان عدم استحقاقها الألوهية، فكان بالإمكان أن يَكُفَّ هود – عليه السلام – عن طعن آلهتهم عقيب تهديدهم له وادعائهم أن لها قدرةً لمَسِّه بضرر لكنه – رغم ذلك – بالغ في تفنيدها وهتك سترها بهذا التحدي"(٥).

١٢٠٣. دلت: على أن صحة المعتقد من أبلغ القوى المعنوية التي يمنحها الله تعالى لعباده المؤمنين؛ فإن اعتقاد هود – عليه السلام – العجز والضعف والذل في آلهة قومه أدى به إلى تحديهم مع آلهتهم بمسه بسوء؛ لذلك فرَّع على براءته من آلهتهم قوله﴿فَكِيدُونِي جَمِيعًا﴾ (٦).

---

(١)ينظر الكشاف (٤٠٣/٢)، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل (١٣٨/٣)، والبحر المحيط (١٤٥/٦)، ونظم الدرر (٣١٠/٩).

(٢)ينظر البحر المحيط (١٦٨/٦).

(٣)ينظر إرشاد العقل السليم (٢١٨/٤).

(٤)ينظر القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث (٢٤٦/١).

(٥)ينظر الوجيز للواحدي (ص٥٢٣)، والقصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث (٢٤٦/١).

(٦)ينظر التحرير والتنوير (١٠٠/١٢).

١٢٠٤. في: اختصاره على الكيد – دون تحديد نوع من أنواع المكايد – تعميم وتفسيح للمجال أمامهم وذلك أبلغ في إظهار عجزهم مع آلهتهم وأدحض لحجتهم في استحقاقها للعبادة، كما أنها أبلغ في نفي مسه بخبل أو جنون منها.

١٢٠٥. وفيها: تحديه لهم وبراءته من آلهتهم إمعانا في اثبات ضعفها عن ايذاءه فلو كان ظنهم صحيحاً لأخضعته تلك الآلهة لعبادتها.

١٢٠٦. في براءة هود من شرك قومه – عقيب افترائهم مسه بسوء من آلهتهم – إشارة إلى أن خوف المرء – سِرّاً – من إصابة الأوثان والطواغيت بِشَرٍ من الشرك بالله تعالى؛ لأن هذا الخوف لا يصرف إلا لله وحده، كما قال تعالى: ﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٧٥]. (١).

١٢٠٧. فيها وجوب البراءة من الشرك وأهله وإعلان ذلك والصدع به؛ لقوله: ﴿أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٥٤﴾، وقال إبراهيم عليه السلام ومن معه لقومهم: ﴿إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة : ٤].

١٢٠٨. تفيد: وجوب الكفر بعبادة غير الله تعالى كائنا من كان من ملك أو نبي أو صالح أو غيرهم ﴿دُونِهِۦ﴾.

١٢٠٩. وفيها: أنه بعد تحدي الآلهة والبراءة منها فقد تحدى قومه أن يكيدوه جميعهم بأن يدفعوه لفعل السوء ثم يوقعون عليه العقوبة ﴿ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ﴾ أي تسارعون بالعقوبة عليّ.

١٢١٠. فيها: استعمال أسلوب التحدي في الدعوة إلى الله عز وجل، وأثر ذلك في إظهار الحق وبيان بطلان الشرك؛ لقوله: ﴿فَكِيدُونِي جَمِيعٗا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ﴾.

١٢١١. تفيد: أهمية الشجاعة والثبات في نصرة الحق، وإعلان التوحيد ودحض الشرك.

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۡۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [هود: ٥٦].

١٢١٢. مناسبة الآية لما سبق من الآيات ففيها رد ودحض لقولهم: ﴿مَا جِئۡتَنَا بِبَيِّنَةٖ﴾؛ إذ لا شيء أبين من أمر من كان على الصراط المستقيم، فظهر أمره لكل أحد، دون أدنى ملابسة، أو

(١) ينظر كتاب التوحيد (ص٩١)، وفتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص٣٤٤).

خلل أو اضطراب أو اعوجاج بوجه من الوجوه؛ لذلك كان اعتراف جميع عباده له بالعبودية بالفطرة غير أن بعضهم يجحدون بآياته بعد ما استيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا.

١٢١٣. فيها: بيان اختصاص الله لأولياءه بالتربية والعناية ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي﴾ فأكد وخصّ وقدّم، وجمع بين الألوهية، والتي هي موطن النزاع، وبين الربوبية فقال: ﴿اللَّهِ رَبِّي﴾.

١٢١٤. تفيد: أن الأنبياء هم أعظم الناس توكلا على ربهم، قال تعالى: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَمَا كَانَ لَنَا أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [إبراهيم: ١١-١٢].

١٢١٥. فيها: التوكل على الله عز وجل في القيام بأعباء الدعوة وأن هذا من أعظم أنواع التوكل.

١٢١٦. تفيد: وجوب التوكل وتفويض الأمور لله تعالى.

١٢١٧. : أن الداعية المتوكل حق التوكل لا يخاف لومة لائم.

١٢١٨. فيها: أن قوة توكله وثقته بنصر الله له توحي لهم ضعف ما يستندون عليه من آلهة لا نفع فيها ولا نصر بل تضرهم..

١٢١٩. فيها: أن التوكل الحق يكثر الواحد ويقوي الضعيف.

١٢٢٠. فيها: أن الشجاعة والقوة سمة لا ينبغي أن تنفك عن الداعية.

١٢٢١. تفيد: بدلالة المناسبة أثر التوكل على الله تعالى في تحقيق الشجاعة والثبات على الحق.

١٢٢٢. فيها: أن غاية الشجاعة هي التوكل على الله ﴿مِن دُونِهِ ۖ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ﴾.

١٢٢٣. فيها: أنه عندما يتيقن العبد أن نواصي الخلق كلهم تحت قهر الرب جل جلاله يصل لدرجة الأمن الذي لا يشوبه خوف.

١٢٢٤. تفيد كمال ربوبية الله تعالى التي تستلزم تقواه والتوكل عليه والاستقامة على أمره ﴿رَبِّي وَرَبِّكُمْ﴾.

١٢٢٥. في تقديم كلمة ربي إشارة لمقام العارف بربه والقريب منه.

١٢٢٦. فيها: تقرير الخصم بربوبية الله وإدخالها ضمن الخطاب ﴿وَرَبِّكُمْ﴾ لينساق بالاعتراف به.

١٢٢٧. في الجملة من الآية: ﴿مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ﴾ بيان ضعف وضاءلة قومه مناسبة لادعاءهم ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾؟! وأنهم ضمن دواب الأرض الكثيرة التي كلها بيد الله، ولذا أمر الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أن يقول لمن ادعى محبة الله ﴿أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ﴾ المائدة: ١٨.

١٢٢٨. قوله تعالى: ﴿إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ﴾ فيها تصوير لغاية تسليم الخلق لله بطريقة فيها تذلل وخضوع كما تساق الدواب بنواصيها.

١٢٢٩. في تأكيد الكلام بـ: ﴿إِنَّ﴾ مناسبة للمقام؛ لأن الكلام موجه إلى قوم منكرين معاندين متمسكين بموقفهم غير مبالين بقول هود – عليه السلام – ولا مراعين لحق الأخوة والنسب.

١٢٣٠. فيها تعليل لما مضى من توكله على الله، بأن الله هو ربه ربوبية خاصة، وأنه تعالى على طريق الحق والعدل، وأنه سبحانه لا يكاد يسلط أعداءه على أوليائه ورسله.

١٢٣١. فيها: أن اختصاصه بقول ﴿رَبِّي﴾ في الموضع الثاني، التشريف والعناية له دونهم، عناية الله بالمتوكلين عناية خاصة.

١٢٣٢. أشعرت ببيانها أن الله على طريق العدل والحق في ملكه أنه سبحانه لا يفوته ظالم، ولا يضيع عنده حق معتصم به"[(١)].

١٢٣٣. في: إضافة الرب إلى نفسه دونهم إشارة إلى لطفه به، وشكره لربوبيته الخاصة التي أولته نعمة الرسالة والتبليغ والثبات أمام قوم غلاظ الأكباد شِداد البطش.

١٢٣٤. في تنكر الصراط: ﴿صِرَاطٍ﴾ دلالة على تعظيم وتفخيم أمره فلا خيبة فوق خيبة من حاد عنه، ولا خسارة فوق خسارته.

١٢٣٥. أشارت – بإفراد الصراط – إلى أن طريق الحق واحد، بخلاف طرق الضلال، فهي متعددة، كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا﴾ [الأنعام: ١٥٣].

١٢٣٦. أشارت إلى أن الله تعالى – مع قدرته المطلقة على عباده – لا يشاء فيهم إلا الإحسان والعدل، ولا يظلم ربك أحدا، وأن جميع أفعاله عز وجل، تنضاف إليها الاستقامة" [(٢)].

---

(١) ينظر الكشاف (٢/٤٠٤)، وإرشاد العقل السليم (٤/٢١٨).

(٢) ينظر معاني القرآن للزجاج (٣/٥٨)، وللنحاس (٣/٣٥٩)،، وقوت القلوب في معاملة المحبوب (٢/١٦)، وبحر العلوم (٢/١٥٦)، وتفسير السمعاني (٢/٤٣٦)، والمحرر الوجيز (٣/١٨).

١٢٣٧. فيها إشارة إلى يسر الوصول إلى الله، وسهولة أمر دينه، على غرار قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ﴾ [الحج: ٧٨]؛ لأن كونه على صراط مستقيم لا اعوجاج فيه دليل على وصول السائر على ذلك الصراط إلى مقصوده" (١).

١٢٣٨. يفهم منها وجودُ سُبُلٍ أخرى مُعوَجَّةٍ غيرِ مستقيمة، طبقا لقوله تعالى: ﴿وَمِنْهَا جَآئِرٌ ۚ﴾ [النحل: ٩]، وقد ثبت أن رسول الله ﷺ خط خطا ثم قال: (هذا سبيل الله) ثم خط خطوطا عن يمينه، وعن شماله، ثم قال: (هذه سبل، على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه)، ثم تلا: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا﴾ [الأنعام: ١٥٣] (٢).

١٢٣٩. أرشدت – بضميمة بيان النبي ﷺ أن حول سبيل الله سبلاً عليها شياطين يدعون إليه – إلى استعانة العبد بالله بطلبه منه الثبات على الاستقامة على الطريق المستقيم، والعصمة من الزلل عنه؛ لذلك رتب على طلب الاستعانة من الله – في سورة الفاتحة – قولَه تعالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾[الفاتحة: ٦]. (٣).

١٢٤٠. في بيان النبي ﷺ لحال الصراط المستقيم والقاعدين على السُّبُل جنبه، دلالة على خطورة الصادين عن سبيل الله والملقين الشبهات لتشكيك الناس في الدين والمروجين للشهوات لاستدراجهم، وغيرهم ممن يشرون الضلال؛ فإنهم جميعا شياطين مردة، يطبقون خُطط وليهم الذي قال تعالى عنه: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٦-١٧].

---

(١)ينظر بحر العلوم (١/١٨).

(٢)أخرجه الإمام أحمد في مسنده، (٤١٤٢)، وابن حبان في صحيحه، باب الاعتصام بالسنة، ذكر الإخبار عما يجب على المرء من لزوم سنن المصطفى ﷺ، رقم (٦)، والحاكم في المستدرك، كتاب التفسير، من كتاب قراءات النبي ﷺ، رقم (٢٩٣٨)، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي..

(٣)ينظر بحر العلوم (١/١٨)، والوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١/٨٩)..

١٢٤١. في بيان كونه على صراط مستقيم إشارة إلى أن أهم أسباب الوصول إليه، هو توحيده بالعبادة، وخلع ما سواه من الأنداد؛ لأنه المهمة العظيمة التي من أجلها أرسلت الرسل ووقع الخلاف بينهم وبين أقوامهم" (١).

١٢٤٢. في بيان كون الله على الصراط المستقيم، وإرشاده للعباد إلى طلب الهداية منه إليه – كما في: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾الفاتحة: ٦. دلالة على أن ذلك شرع الله الذي ارتضاه واختاره، وأن سلوكه فوز للعباد، وتركه حسرة وندامة" (٢).

١٢٤٣. أفادت – بكونه على صراط مستقيم – نفي العيب عن شرع الله تعالى وأفعاله، وأثبتت لها الحكمة البالغة والسداد" (٣).

١٢٤٤. في بيان كون الله على صراط مستقيم، إرشاد إلى التحذير من سلوك طريق المغضوب عليهم، والضالين، طبقا لقوله تعالى: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ٦-٧].

١٢٤٥. فيها: إرشاد للدعاة إلى استشعار ما هم عليه، بأنه حقيقة لا مجال للشك معها في ضمان صلاح عاقبتهم، فلا مجال للتردد في المضي في أمر الدعوة؛ لأنهم على الجادة الصحية، الموصل إلى الله، وهو على صراط مستقيم" (٤).

١٢٤٦. في بيان كون الله على صراط مستقيم بيان لفضل ومكانة وشرف أولياء الله الذين سلكوا ذلك الصراط المستقيم وتمسكوا به وثبتوا عليه؛ لأنهم مع الذين أنعم الله عليهم في قوله تعالى: (﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ الفاتحة: ٧، وهم المعنيون بقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ﴾ [النساء: ٦٩] (٥).

---

(١)ينظر لطائف الإشارات (١/٤٩و٥٠)..

(٢)ينظر روح البيان (١/٢٢).

(٣)ينظر التفسير القيم (١/٣٢٥)، وتفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (ص١٧٩)..

(٤)ينظر قصص الرحمن في ظلال القرآن (١/٧١٥)..

(٥)ينظر روح البيان (١/٢٢).

١٢٤٧. فيها: إشارة إلى ضرورة سلوك طريق العلم بهذا الصراط المستقيم قبل الاستمرار في الطريق؛ لأن الله خلق العباد لعبادته، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، فلما وجب عليهم عبادته وجب عليهم معرفة طريقة عبادته والاستقامة عليه، كما قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]، فقدم العلم على العمل..

١٢٤٨. في رسم: ﴿صِرَٰطِ﴾، بالصاد في المصاحف – مع قراءتها بالسين في بعض القراءات: (سِرَاطٍ) أيضا – دلالة على دقة فهم الصحابة وعمقه، وتفوق ذكائهم وفطنتهم رضي الله عنهم وأرضاهم؛ لأن في ذلك تنبها على أنها الأفصح؛ إذ كتبوا بلغة قريش" (١).

١٢٤٩. في قراءة: (صراط)، بالسين: (صِرَاطٍ)، إشارة إلى أن الصحابة لم يهملوا لغة السين للعلم بها، فعادلوا بكاتبة الأفصح – الذي هو الصاد – بالأصل الذي هو السين" (٢).

١٢٥٠. في: وصف الصراط بالاستقامة دلالة على أن دين الإسلام ملة حنفية سمحة، متوسطة معتدلة بين الإفراط والتفريط، والغلو والجفاء؛ لأن الاستقامة مناقض لتلك الصفات" (٣).

١٢٥١. في وصف الصراط بالاستقامة إرشاد للمسلم إلى نهج طريق الاستقامة في جميع شؤونه وليست الشؤون الدنيوية بمعزل عن ذلك؛ فيكون متّزنا في شؤون حياته كلها؛ لأن كتاب الله هاد إلى سبل الخيرات كلها، دينا ودنيا؛ وقد أرشد القرآن إلى التوسط والاعتدال في أمور الاقتصاد بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً﴾ [الإسراء: ٢٩]، وقد قال تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨].

١٢٥٢. فيها – بضميمة قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢]، دلالة على أنه لا يمكن الثبات على دين الله إلا باتباع سنة نبينا محمد ﷺ؛ لأنه هو الهادي – هدايةَ دلالة وإرشاد – إلى الله تعالى.

---

(١)ينظر النشر في القراءات العشر (١/١٢)، والتحرير التنوير (١/١٩٠)..

(٢)ينظر حجة القراءات لابن زنجلة (ص٨٠)، والنشر في القراءات العشر (١/١٢)، والتحرير التنوير (١/١٩٠).

(٣)ينظر إرشاد العقل السليم (١/١٨)، وروح البيان (١/٢١)..

١٢٥٣. دلت على قدرة الله وقهره لكافة المخلوقات؛ فكونه على طريق مستقيم، دليل على أنه الطريق الذي لا مسلك لأحد سواه؛ إذ لا يخفى على من كان على هذا الطريق خافية، ولا يفوته هارب، قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ١٤] (١).

١٢٥٤. فيها إشارة إلى ظهور وحدانية الله وبيانها، وأن الأدلة على ذلك قائمة بنفسها؛ لأن كونه على صراط مستقيم، دليل على أنه لا خفاء في أمره لكل عاقل سليم الفطرة، وقد سئل أعربي: بم عرف الله، فقال: البَعْرة تدل على البعير، والأثر يدل على المسير، فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، أفلا تدل على اللطيف الخبير؟!"(٢).

١٢٥٥. جمعت الآية عموم القدرة، وكمال الملك، وتمام العدل والإحسان، فهي من كنوز القرآن ولقد كفت وشفت لمن فُتح عليه بفهمها" (٣).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّى قَوْمًا غَيْرَكُمْ ۖ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ﴾ [هود: ٥٧].

١٢٥٦. فيها من المناسبة: أنه لما تحدث عن أمره وتشييد هذا الأمر، أخذ هنا بتحذيرهم.

١٢٥٧. وفيها: لن يؤآخذ الله قوما قبل أن يرسل إليهم رسولا وينزل عليهم كتابا، لإقامة الحجة عليهم.

١٢٥٨. يفيد قوله تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾ أن المتوقع أن لا يتولواح بل يقبلوا لما ظهر لهم من الحجج والبينات مع التحدي الذي تحداهم به هود عليه السلام..

١٢٥٩. وفيها: أنه ما على الرسول إلا البلاغ. وكل يتحمل تبعات عمله بعد ذلك.

١٢٦٠. في إيثار الالتفات إلى الغيبة عن الخطاب فيها إطماع في استجابتهم بخلاف لو جابههم بخطاب التولي وهذا فيه أهمية وزن الكلام في خطاب الدعوة إلى الله وفهم دلالاته وآثارها النفسية.

١٢٦١. تهدي إلى: أسلوب التخلص الحسن، عرضا ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾ وطلبا ﴿وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا﴾ وهو من أقوى أساليب الخروج، إقامة للحجة، واعتذارا من تبعات اللوم.

---

(١) ينظر زاد المسير (٣٨٠/٢)، ومفاتيح الغيب (٣٦٥/١٨)، وشفاء العليل (ص٨٧)، ومحاسن التأويل (١٠٩/٦).

(٢) ينظر إيثار الحق على الخلق، لعز الدين، ابن الوزير (ص٥٢)، ولوامع الأنوار البهية (٢٧٢/١).

(٣) مفتاح دار السعادة ٧٩/٢.

١٢٦٢. وفيها: الخلق خلق الله والأمر أمره. قادر سبحانه على استبدالهم وهي سنته في كل من حاد عن طريقه.

١٢٦٣. وفيها: من عمل خيرا فلنفسه ومن أساء فعليها ولا يضر الله شيئا.

١٢٦٤. أن من مهام الداعية بيان تبعات المخالفة والعصيان، أن مهمته تنتهي عند ذلك.

١٢٦٥. تهدي إلى: بيان مصطلح الاستخلاف في القرآن، وهو من المصطلحات الراسخة في التاريخ الإنساني وعلاقته بالنبوات.

١٢٦٦. يؤخذ منها: أن الله سبحانه لا تنفعه طاعة الطائعين، ولا تضره معصية العاصين، ويعضد هذه الهداية ما جاء في الحديث القدسي: ((... يا عِبَادِي لو أنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وإنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا علَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنكُمْ ما زَادَ ذلكَ في مُلْكِي شيئًا، يا عِبَادِي لو أنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وإنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا علَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، ما نَقَصَ ذلكَ مِن مُلْكِي شيئًا..."[(١)]

١٢٦٧. وفيها: من باب عدله سبحانه حفظ الأقوال والأفعال للمجازاة عليها.

١٢٦٨. فيها الحث على مراقبة الله تعالى وإحسان العمل لأن الله على كل شيء حفيظ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا هُودٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَنَجَّيۡنَٰهُم مِّنۡ عَذَابٍ غَلِيظٖ﴾ [هود: ٥٨].

١٢٦٩. وفيها: ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا﴾ الأمر يقصد به العذاب أو القضاء بإهلاكهم.

١٢٧٠. وفيها: الإيمان بالله من أعظم أسباب النجاة.

١٢٧١. وفيها: سبيل الأنبياء سبيل النجاة.

١٢٧٢. فيها بيان سنة الله عز وجل الماضية في الأمم وهي أن من أطاع الله ورسله لطف به ونجاه من العذاب ومن عصا الله والرسل أذاقه العذاب الشديد في الدنيا والآخرة.

١٢٧٣. تهدي الآية الكريمة إلى أن موعد نصر المؤمنين ونجاتهم يكون قبيل موعد عقاب الكافرين المعاندين وهلاكهم بقدر يسير جدا، وقد دلت الآيات الأخر على أن الله يمهل الكافرين ويؤجلهم ويملي لهم قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا﴾[هود: ٤٠]، ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا

(١)أخرجه مسلم من حديث أبي ذر، برقم: (٢٥٧٧)..

هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾ ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا صَٰلِحٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾[هود: ٦٦]، ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا﴾[هود: ٨٢]، ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا شُعَيۡبٗا﴾.

١٢٧٤. فيها: أن قوله: ﴿جَآءَ أَمۡرُنَا﴾: من المثاني المتشابهة المتعلقة بمجيء العذاب ونجاة المؤمنين.

١٢٧٥. فيها: شرف القائمين على الدعوة إلى الله، وخاصة الأنبياء لأنه صرح باسمه وأتبع به من آمن معه ﴿هُودًا﴾ ، ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾.

١٢٧٦. فيها فضل نبي الله محمد عليه السلام؛ لأن الله أنزل العذاب وهود فيهم لقوله ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾.. وأما النبي ﷺ فما كان الله ليعذب قومه وهو فيهم كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡۚ﴾ [الأنفال: ٣٣].

١٢٧٧. فيها: عظمة الأمر بالعذاب وعظمة النجاة وعظمة الرحمة ﴿أَمۡرُنَا﴾ فنون العظمة ﴿مِّنَّا﴾.

١٢٧٨. تفيد تعظيم الرب جل وعلا؛ لقوله: ﴿أَمۡرُنَا﴾، ﴿نَجَّيۡنَا﴾ ، ﴿مِّنَّا﴾ ، ﴿وَنَجَّيۡنَٰهُم﴾ بصيغة الجمع التي تدل على التعظيم والإجلال..

١٢٧٩. منها: أن نجاة المؤمن وعد من الله وأمر منقضي متحتم مهما طالت به الهموم والفتن والمصائب فهو إلى نجاة لهذا جاء بفعل ماضٍ ﴿نَجَّيۡنَا﴾.

١٢٨٠. منها: فضل صحبة الصالحين ونهج منهج أولياء الله ففي لزومه النجاة والشفاعة في الدنيا والأخرة﴿مَعَهُۥ﴾.

١٢٨١. منها: أن رحمة الله لا تنفك طرفة عين عن عبادة المؤمنين فكل نعمة، أو مصيبة برحمته ومن رحمته والى رحمته حتى رحمته لا تنال إلا برحمته سبحانه.

١٢٨٢. فيها: عدم العجب والاغترار بالعمل – مهما عظم؛ لقوله: ﴿بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا﴾، مع أنه رسول الله، ومعه أصحابه وأتباعه على الأذى في سبيل الله. وتصديقه: ما جاء في الحديث الصحيح مرفوعا: «لن يدخل أحدا عمله الجنة» قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: "لا، ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله بفضل ورحمة"(١).

---

(١) أخرجه البخاري ١٢١/٧، ومسلم ٢١٦٩/٤.

١٢٨٣. فيها إثبات صفة الرحمة لله سبحانه وتعالى والرد على المعطلة.

١٢٨٤. منها: أن أعظم سلاح للعبد هو عناية الله له فلا شيء ينتصر عليك ما دمت في كنف أرحم الراحمين.

١٢٨٥. تفيد: أن تأخير نصر المؤمنين إلى هذا الموعد كان لرحمته لهم، فما زال يرحمهم من بداية الصراع إلى أن نصرهم. وأن استعجال النصر قبل نضوج الجماعة المؤمنة على سنن التمحيص ليس في مصلحتها. وأن هذه المهلة التي تأجلت من أول بداية زمن الصراع إلى حين إهلاك الكافرين كانت هي الظروف الحقيقية التي عاشوها بالإيمان والصبر واليقين فصنعت منهم رجالا يحبهم الله ويتولاهم فاستحقوا بولايته سعادة الدنيا والآخرة فليغتبطوا بهذه الظروف فإنها خير لهم ولو حسبوها شرا لهم كما جاء في آيات كثيرة.

١٢٨٦. فيها: عذابين ونجاتين عذاب قوم هود في الدنيا وما يتبعه ويترتب عليه من عذاب الآخرة، ونجاة هود واتباعه في الدنيا وما يترتب عليها من نجاة في الآخرة..

١٢٨٧. تهدي: إلى بيان نجاتهم مرة بعد مرة، نجاتهم في كل الظروف، ومختلف المواقف، نجاتهم في امتحانات الدنيا والآخرة.

١٢٨٨. فيها التخويف من عذاب الله عز وجل لوصفه بالغليظ وهو وصف مخيف، والحذر من أسباب العذاب كالكفر والمعاصي.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [هود: ٥٩].

١٢٨٩. مناسبة الآية الكريمة، أن فيها دلالة على كذبهم في قولهم: ﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾[هود: ٥٣]؛ لأن التعبير بالجحد – الذي هو الإنكار الشديد – دلالة على إنكارهم بدلالات آيات أتاهم بها هود عليه السلام"[(١)] ، فهو اعتراف ضمني منهم بأن الآيات قد جاءتهم.

١٢٩٠. فيها: أن الإشارة إليهم بإشارة البعد: ﴿وَتِلْكَ عَادٌ﴾ إلى احتقار وإلى بعدهم عن رحمة الله؛ كما ابتعدوا – باختيارهم – عن الإيمان بالله ورسله عليهم السلام.

---

(١) ينظر التحرير والتنوير (١٢/١٠٥).

١٢٩١. فيها ما يناسب قوم هود عليه السلام من تشبيههم بغير العاقل؛ استنادً إلى آيات أخرى صرحت بذلك؛ كما في مطلع القصة هنا: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[هود: ٥١]. كما قال تعالى:﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾. والأقوم: في الإشارة بـ: ﴿وَتِلْكَ﴾التي يشار بها لغير العقلاء أيضا، تناسب لحالهم في تعطيل عقولهم وتعاميهم عن آيات الله الأفقية، ثم تدعيم ذلك بالآيات الدالة على ذلك.

١٢٩٢. في الإشارة بـ: ﴿وَتِلْكَ﴾ بالمخصصة لغير العقلاء تشبيههم بغير العاقل، حيث لم ينتفعوا بعقولهم ولم يستغلوها في التفكير في آيات الله التي عرفتها العقول السليمة بالفطرة، فضلا عن تكذيبهم بالرسل وتماديهم في الغي والطغيان"(١).

١٢٩٣. تهدي إلى: بيان أقطاب الشر الثلاثية: أولاهما: الجحد، وهو خلق السوء الداخلي في النفس، مع الله وآياته، وثانيهما، عصيان الرسل، وهو خلق مخالفة الحق، والوقوف ضد الدعاة، ثالثهما، اتباع أوامر الجبابرة المعاندين.

١٢٩٤. حذرت – بهذه الإشارة – الكافرين من هذه الأمة برسول الله ﷺ والجاحدين له، من مغبّة التمادي في الكفر وجحود الحق، حتى لا ينزل بهم ما نزل بعاد، مع قوتهم وشدتهم، كأنه قال: يا أهل مكة، سيحوا في الأرض فانظروا إلى قبور القوم وآثارهم، واعتبروا بما أصابهم، على غرار قوله تعالى: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوٓا۟﴾[النمل: ٥٢].

١٢٩٥. فيها تطيمن لكل مظلوم في الدين بأن معاناتَه مؤقّتةٌ زائلةٌ؛ فتلك عاد قد ظلمت وتجبّرت، لكنها مضت وانتهى أمرها، كما قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾. [النور: ٥٥].

١٢٩٦. في تعبيرها بالجمع في: ﴿بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ دلالة على كفرهم بجميع آيات الله تعالى، كآيات الرسل، وآيات الأفق والأنفس، الدالة على وحدانية الله تعالى؛ تأكيدا على إعراضهم وعدم تعقلهم ولو أدنى شيء من التعقل، كما قال مطلع القصة: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [هود: ٥١].

---

(١)ينظر التفسير القرآني للقرآن (١١٥٨/٦).

١٢٩٧. فيها تعظيم الآيات بإضافتها إلى الرب جل وعلا، وجمعها يدل على كثرتها وتنوعها، وفي هذا مزيد تشنيع عليهم وبيان لكفرهم وجحودهم وعنادهم ولذلك استحقوا اللعنة والعذاب..

١٢٩٨. فيها بالمفهوم أن آيات الله يجب أن تقابل بالانقياد والإيمان لا بالجحود والكفران..

١٢٩٩. في التعبير عن الاسم الكريم بالربوبية إشارة إلى أن ما لَحق بهم كان جراء عدم قيامهم بلازم الربوبية، من شكر الرَّب – تعالى – لنِعَمه المسداة، بالإقرار بآياته، والإيمان بها"[(١)].

١٣٠٠. تفيد: أن التواضع والإخبات يعين صاحبه على الخير والتكبر والعناد سبب للحرمان.

١٣٠١. فيها: أن التواضع والشكر لمنادي الخير يعقب إتباع وشكر لله والجُحود والتكبر عليه يعقب مخالفة وجحود لله.

١٣٠٢. فيها: أن التكذيب ببعض الرسل تكذيب لهم جميعًا لأنهم مشكاة نور واحدة، دلت على أن الكفر برسول واحد كفر بجميع الرسل؛ فإنهم واجهوا هودا بالكفر والعناد والتكذيب، فكان ذلك كفرا بجميع الرسل؛ ولأن الرسل مجتمعة بأسرها على توحيد الله والإقرار بربوبيته، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ١٥٠ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا﴾ [النساء: ١٥٠ – ١٥١] [(٢)]

١٣٠٣. بينت – بضميمة آيات أخرى – وجه اتساع كفرهم ليشمل جميع الرسل؛ بأن قولهم لهود عليه السلام: ﴿وَمَا نَحۡنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوۡلِكَ وَمَا﴾ [هود: ٥٣]، وعَنَوا به قولَه: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾[هود: ٥٠]، عصيانٌ لكل من قال هذه المقالة، وقد قالها جميع الرسل، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

١٣٠٤. في تعميم تكذيبهم للرسل، إشارة إلى تذكير هود إياهم بمن سبقهم من الرسل وأممهم ومآلهم؛ لكنهم لم يعتبروا بهم؛ فكانوا بمثابة المكذبين والعاصين لهم أيضا، وقد قال تعالى عن تذكير هود لهم: ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ قَوۡمِ نُوحٖ﴾ [الأعراف: ٦٩].

---

(١)ينظر البحر المحيط (١٧٠/٦).

(٢)ينظر بحر العلوم (١٥٧/٢)، والكشاف (٤٠٥/٢)، والمحرر الوجيز (١٨٢/٣)، والتسهيل (٣٧٣/١).

١٣٠٥. في تعميم كفرهم لجميع رسل الله، من السابقين واللاحقين، بيان لفظاعة حالهم في العصيان، وإظهار لكمال كفرهم وعتوّهم وعنادهم؛ وهو مناسب لحالهم في التجبر والغلظة؛ لقوله تعالى عنهم: ﴿وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥] [(١)].

١٣٠٦. في تنزيلها على الوقع دلالة على أن المكذبين لنبينا ﷺ، والناصبين له العداء، مكذِّبون لجميع الرسل ومناقضون لهم؛ لأنهم إنما أُخبِروا بهذه الأخبار ليتعظوا ويحذروا.

١٣٠٧. فيها: أن من أعرض عما ينفعه انشغل لا محالة بما يضر ومن أعرض عن أهل الخير أبتلي بأهل الفساد.

١٣٠٨. في تعظيم كفر عاد وبيان خطورته، تسلية لرسول الله ﷺ والمؤمنين الذين تعرضوا للأذى والضيق في الدين؛ لأن حكاية أخبارهم الفظيعة في الكفر والتجبُّر، تخفيف عنهم، ورسالة إليهم بأن ما تعرض له هود ومن معه أشد.

١٣٠٩. فيها إشارة إلى وجوب بذل المرء الأسبابَ للتَّحرر من سلطان المتسلط عليه، ويستقل بنفسه، ليتمكن من عبادة الله، وإلا فهو مسؤول عن ذنوبه ولو كان تحت قاهر؛ فإن الله علل أخذ عاد باتباع الجبارين العنيدين، ولم يعذرهم في ذلك"[(٢)].

١٣١٠. فيها إشارة إلى أن دعوة التوحيد قائمة على تحرير العباد من عبودية الخلق إلى تحقيق العبودية للخالق وحده؛ فإن عبودية الجبارين لعاد قادتهم إلى الهلاك والخسار، ولو أطاعوا رسول الله هودا – عليه السلام – في دعوته لما أصابهم ما أصابهم. ينظر قصص الرحمن "[(٣)].

١٣١١. دلت على أنهم اتّبعوا أوامر المعاندين في الكفر والظلم والضلال؛ إذ كان من صفة العناد أنه لا يأمر بخير ولا يدعو إلا إلى باطل:"[(٤)].

---

(١)ينظر محاسن التأويل (١١١/٦)، وقصص الرحمن في ظلال القرآن (٧٢٨/١).

(٢)ينظر قصص الرحمن في ظلال القرآن (٧٢٨/١).

(٣)في ظلال القرآن (٧٢٨/١و٧٢٩).

(٤)ينظر التحرير والتنوير (١٠٦/١٢).

١٣١٢. في إسناد إتباعهم إلى أمر الجبار، دون أيقال: كل أمر جبار، إشارة إلى أنهم اتبعوهم في مخالفة الشرع دون كل أمرهم؛ لأن كل أمرهم أعم، والمؤاخذة إنما تكون بما يقع عليه الحساب من أمر الشرع"(١).

١٣١٣. أفادت أن اتباع الطغاة والمفسدين لا يقود إلا إلى الدمار والخسران في الدنيا والآخرة؛ لأن ما أصابهم من العذاب الغليظ كان بسبب عصيان الرسل واتباع أمر الجبارين العنيدين"(٢).

١٣١٤. أشعرت بانتشار القوة والتباهي بها في عاد؛ ما حملهم على التجبر والعناد على الخلق بغير حق؛ كما قال تعالى عنهم: ﴿وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ فصلت: ١٥ ؛ والتعبير عن اتباعهم للجبارين مسوق ب: ﴿كُلِّ﴾، والتنكير، في: ﴿جَبَّارٍ﴾إشارة إلى الكثرة والانتشار"(٣).

١٣١٥. دلت على أنه لا عذر لأحد في أصل الدين من الإيمان بالله ورسله، بعد إقامة الحجة وبلوغ الدعوة إليه، ولو كان صاحبه تحت قهرِ مجبرٍ على الكفر بالله؛ لأنه يمكن لكل أحد مخالفة الجبّار بقلبه؛ إذ الاطلاع على الضمائر من خصائص الربوبية، قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ النحل: ١٠٦ (٤).

١٣١٦. أرشدت المجتمعات إلى التماس الكرامة في تحقيق العبودية لله وحده؛ لأنه لا يمكن لأي مجتمع تحقيق الكرامة — وإن ادَّعى ذلك – طالما هو يدين لغير الله تعالى؛ فإن هؤلاء كانوا مدينين للجبابرة فأذلّهم الله بأن أخذهم بأدق شيء وألطفه، وهو الريح، رغم كونهم في القوة والبطش كما أخبر الله عنهم"(٥).

١٣١٧. في الآية بيان للمعنى الحقيقي للظلم؛ فإن عادا وضعوا الجحود والعصيان والاتباع في غير مواضعها؛ حيث اتبعوا أوامر الجبابرة التي كان يجب عليهم عصيانها، وعصوا هودا الذي وجب عليهم طاعته.

---

(١)ينظر تفسير ابن عرفة (٢/٣٦١).

(٢)ينظر أيسر التفاسير (٢/٥٥٦).

(٣)ينظر المحرر الوجيز (٣/١٨٢).

(٤)ينظر نظم الدرر (٩/٣١٥).

(٥)ينظر قصص الرحمن في ظلال القرآن (١/٧٢٩).

١٣١٨. في بيان تجبرهم هنا، وشدة قوتهم وبطشهم – كما في: ﴿وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ الشعراء: ١٣٠ – إشارة إلى أن ما لاقاه هود – عليه السلام – في دعوتهم من الشدة والقسوة مما لا يُطاق ولا يُتصور.

١٣١٩. في بيان تجبرهم وقسوتهم تثبيت للنبي ﷺ، وشحذ لهمته في دعوة الجبابرة والوقوف في أعين المعاندين.

١٣٢٠. في بيان تجبرهم وقسوتهم مع هود – عليه السلام – تسلية تنضاف إلى جملة التسليات التي يجريها الله تعالى لنبينا محمد ﷺ، تخفيفا لما كان يلقاه من قومه المناقضين..

١٣٢١. فيها التحذير من اتباع الجبابرة والمعاندين في كل عصر وحين...

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾ [هود: ٦٠].

١٣٢٢. فيها من المناسبة أنه: لما ذكر سبحانه أوصاف قوم عاد ذكر هنا أحوالهم فالمناسبة ظاهرة، في حال قوم هود ومآلهم، بعد بيان أوصافهم وما اقترفوه، للدلالة على استحقاقهم لما يرد من دوام طردهم من رحمة الله، جزاء وفاقا لدوام تعنتهم وتجبرهم في هذه الدنيا"[(١)].

١٣٢٣. فيها تشهير بهم، وإذاعة لشناعة فعلهم بين الناس، واستدعاء لكل ذي سمع وعقل، أن يشهد على القوم، وينظر إليهم متلبسين بجرمهم الغليظ، فلا يقول فيهم إلا ما يسوؤهم ويخزيهم"[(٢)].

١٣٢٤. فيها هوان الهالكين على الله، وهو من آثار قوته، لقوله ﴿وَأُتْبِعُوا۟﴾ مبني لغير المعلوم في تعبيرها عن لعنهم بالإتباع: ﴿وَأُتْبِعُوا۟﴾ مبالغة بينت أن هذه اللعنة لا تفارقهم أينما كانوا، فهي تدور معهم حيثما داروا، وكان ذلك جزاء وفاقا لهم في اتباعهم أمر كل جبار عنيد"[(٣)].

١٣٢٥. فيها إشارة إلى فظاعة صنيعهم، وأنهم لم يتركوا في هذه الحياة الدنيا أثرا طيبا ولا خيرا يُذكَرون به، ولم يخلفوا شيئا ينتفع به أحد مِن بعدهم، وإنما تركوا ما يشهد عليهم بالضلال

---

(١) ينظر مفاتيح الغيب (٣٦٦/١٨)، والسراج المنير (٦٥/٢).

(٢) ينظر التفسير القرآني للقرآن (١١٦٠/٦)، والتحرير والتنوير (١٠٦/١٢).

(٣) ينظر إرشاد العقل السليم (٢٢٠/٤)، ومحاسن التأويل (١١١/٦).

والفساد، فما مر بهم مارٌّ أو استمع إلى أخبارهم مستمع إلا استاء منهم ولعنهم واستعاذ منهم؛ لما في بناء: ﴿وَأُتۡبِعُواْ﴾ لما لم يسم فاعله من تعميم لعنتهم من كل من يصدق عليه ذلك"(١).

١٣٢٦. في بناء الفعل: ﴿وَأُتۡبِعُواْ﴾ لما لم يسم فاعله أيضا، إشارة إلى ظهور الفاعل وغناه عن التعريف كغناه عنهم، وأن إلحاقه اللعنة بهم كان عقابا عن قصورهم في جنابه، وليس مصادفة"(٢).

١٣٢٧. في التعبير بإشارة القريب: ﴿هَٰذِهِ﴾مع ما في ﴿ٱلدُّنۡيَا﴾من تصغير تنبيه على حقارة الدنيا، ودناءتها، وأنها مما لا ينبغي الاغترار بها، وقصر الهموم عليها، قال تعالى: ﴿وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ﴾ [آل عمران : ١٨٥].

١٣٢٨. في تحقير أمر الدنيا دلالة على أن ما ينتظرهم – من اللعنة في الآخرة – أكبر بكثير من لعنة الدنيا الحقيرة بما فيها"(٣).

١٣٢٩. في تصريحها باسم الإشارة هنا: ﴿فِي هَٰذِهِ﴾وحذفها في قصة موسى عليه السلام في هذه السورة، عند قوله تعالى: ﴿وَأُتۡبِعُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةً﴾ لطيفة بلاغية بينت عدم استحسان كلٍ من الإثبات والحذف خلاف مكانَيْهما؛ فإن قصة هود أكثر استيفاء من قصة موسى في هذه السورة، فناسب الاستيفاءُ الإثباتَ والإيجازُ الحذفَ"(٤).

١٣٣٠. في هذا التعبير – أي بإتباع اللعنة – إشارة إلى سرعة لحوق اللعنة بهم، فوصفها بالإتباع كما يتبع الماشي من يلحقه، وكما أنهم اتبعوا الجبارين العنيدين الملعونين أتبعوا باللعنة، جزاء وفاقا ومماثلة لعقابهم بجرمهم"(٥).

١٣٣١. وفيها: حكم سبحانه على كل من حاد عن طريقه باللعنة والبعد عن رحمته.

١٣٣٢. وفيها: أنه بسبب اتباعهم للملعونين حقت عليهم اللعنة.

---

(١)ينظر التفسير القرآني للقرآن (٦/١١٥٩)، والتحرير والتنوير (١٢/١٠٦).

(٢)ينظر التحرير والتنوير (١٢/١٠٦).

(٣)ينظر التحرير والتنوير (١٢/١٠٦).

(٤)ينظر ملاك التأويل (٢/٢٥٨).

(٥)ينظر التحرير والتنوير (١٢/١٠٦).

١٣٣٣. في لعنهم في الدنيا إفادة بأن مِن أمارات اللعنة عدم الانتفاع بما يُنتفَع بمثله، وسلبُ بركته؛ فإن عادا لم تغن عنهم قوتهم، ولا ثراؤهم، ولا حواسّهم التي وهبهم تعالى، كما قال جل وعلا: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ﴾ [الأحقاف: ٢٦] (١).

١٣٣٤. في الجملة من الآية الكريمة: ﴿وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً﴾ تعريض للمشركين للاعتبار بما حصل لعاد، فالعاقل من اتعظ بغيره.

١٣٣٥. في عطف لعنتهم يوم القيامة على لعنتهم في الدنيا، إيذانا بأن كلا من اللعنتين نوع برأسه، وإشارة إلى أن الفرق بينهما كالفرق بين مكانيهما؛ للدلالة على فظاعة ما ينتظرهم في الآخرة"(٢).

١٣٣٦. في استفتاح الكلام بـ: ﴿أَلَا﴾إشارة إلى تعظيم ما اقترفوه، وأنه خطب جلل، كما أن فيه تأكيداً لتحقيق كفره"(٣).

١٣٣٧. في الدعاء عليهم بعبارتين مختلفتين- بالبُعد في: ﴿بُعْدًا لِّعَادٍ﴾بَعد لعنهم في: ﴿وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً﴾ وبَعد هلاكهم - بيان لتأكيد استحقاقهم بهذا اللعن والعذاب، وإشعار بما لا يخفى فظاعته من سخط الله ومقته لهم"(٤).

١٣٣٨. فيها الحث على الابتعاد عن ساحات أهل المعصية والفجور؛ فإن الله دعا على عاد بالبعد بعد هلاكهم لكفرهم وفجورهم، فكان مناسبا لأهل التقى النيء بأنفسهم من أمثالهم لئلا يغتروا بهم فيقتدوا بهم.

١٣٣٩. وفيها: أن اللعنة عليهم سببها الكفر به سبحانه.

---

(١)ينظر قصص الرحمن في ظلال القرآن (١/٧٣٠و٧٣١)، والقصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث (١/٢٦٠).

(٢)ينظر إرشاد العقل السليم (٤/٢٢٠)..

(٣)ينظر نظم الدرر (٩/٣١٦)، والسراج المنير (٢/٦٥)، والتحرير والتنوير (١٢/١٠٦).

(٤)ينظر الكشاف (٢/٤٠٥)، ومفاتيح الغيب (١٨/٣٦٧)، ومحاسن التأويل (٦/١١١).

١٣٤٠. في تكرير ﴿أَلَآ﴾مع النداء على كفرهم ولعنتهم، تهويل وتفظيع لأمرهم، وإزالة اللبس في أنهم هم المقصودون بهذا، وبعث لغيرهم على الاعتبار وأخذ الحيطة والحذر من مثل حالهم، لكيلا يؤول إلى مثل مآلهم"(١).

١٣٤١. في وضع الظاهر: ﴿أَلَآ إِنَّ عَادًا﴾موضع الضمير – الملائم لضمير الغيب في: ﴿وَأُتْبِعُواْ﴾ – زيادةُ بيان لكفرهم وثباتهم فيه، ونعي عليهم بأن ما يعقب التصريح باسمهم من اللعنة بالبعد متحقق فيهم وملاصق بهم؛ لكونهم أولى بها من غيرهم..

١٣٤٢. أفاد تصريحها بالكفر المسبب لهم هذه اللعنة أن الكفر موجب للعنة في الدنيا والآخرة"(٢).

١٣٤٣. في تعبيرها عن الاسم الكريم بالربوبية: ﴿رَبَّهُمْ﴾إفادة بأنهم غطّوا كافة نعم الله الظاهرة التي لا يصح إخفاؤها، فكان كفرهم أغلظ، كما كان عذابهم غليظا"(٣).

١٣٤٤. فيها تحذير لكل متشابه بقوم هود في التجبر والتسلط على عباد الله بالظلم والبطش والفتك كما كثر ذلك في الواقع الراهن؛ فإن الله يسلب بركة قوتهم كما فعل بعاد؛ لأن ذلك سنة الله، وقد قال تعالى: ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا﴾[الأحزاب: ٦٢] (٤).

١٣٤٥. في التنصيص بالقوم في: ﴿قَوۡمِ هُودٖ﴾ إشارة إلى مشركي قريش وقوم النبي ﷺ بأن يعتبروا ويأخذوا حذرهم؛ فإنهم – مع قوم هود – جميعا تحت مسى القوم، وكفرهم وعنادهم مناقض لمقتضى الوصف بالقوم. وهذا ما قرره ابن عاشور، ورأى أن العطف هنا ليس احترازا من عاد آخر، وأنه لم يعرف في العرب عاد غير قوم هود، خلافا للزمخشري ومن حذا حذوه كما سيأتي"(٥).

---

(١)ينظر الكشاف (٢/٤٠٥)، والبحر المحيط (٦/١٧١)، ونظم الدرر (٩/٣١٧).

(٢)ينظر البحر المحيط (٦/١٧١)..

(٣)ينظر نظم الدرر (٩/٣١٦)..

(٤)ينظر القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث (١/٢٣٨)..

(٥)ينظر التحرير والتنوير (١٢/١٠٧)..

١٣٤٦. في عطف اسم هود على عاد: ﴿لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾ إفادة بوسمهم بهذه اللعنة وسما محقَّقا لا لبس ولا شبهة فيه بأي وجه من الوجوه، فكأنما حدّد عنوانهم للّعنة المرسَلة عليهم؛ لأن في المبالغة بالتنصيص دليلا على تأكيد الأمر وشِدَّته"(١).

١٣٤٧. في عطف اسم هود أيضا: ﴿قَوْمِ هُودٍ﴾ إشارة إلى أن عادا عادان، الأولى القديمة، وهي قوم هود، صاحب القصة، والأخرى إرم، وهي بطن من عاد كانت مقيمة في مكة. وهذا ما قرره الزمخشري وغيره"(٢) ، وفي التنزيل قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهۡلَكَ عَادًا ٱلۡأُولَىٰ ٥٠﴾ [النجم: ٥٠]، قال زهير ابن أبي سلمى:

فَتُنْتِجْ لَكُمْ غِلْمَانَ أَشْأَمَ كُلُّهُمْ كَأَحْمَرِ عَادٍ ثُمَّ تُرْضِعْ فَتَفْطِمِ

والأمر في ثمود ولذا يقال لها عاد الثانية، والعلم عند الله تعالى.

١٣٤٨. في التصريح باسم هود، عليه السلام: ﴿قَوْمِ هُودٍ﴾ إيماء إلى أن استحقاقهم لهذا الإبعاد بالهلاك والخزي العاجل قبل الآجل، إنما هو بسبب ما جرى لهود – عليه السلام – معهم، من الإنكار والتكذيب والإيذاء"(٣).

١٣٤٩. في عطف اسم هود – أيضا – إرشاد إلى أهمية إزالة الشبهات، وتوضيح الأمور وبيانها بيانا شافيا لا يبقى معه أدنى التباس، وأن ذلك طريق القرآن الكريم؛ فيصدق مثالا لما قرره الله الحكيم من تفصيل آيات كتابه منذ مطلع السورة بقوله: ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١]، وبقوله عز وجل: ﴿وَكُلَّ شَيۡءٖ فَصَّلۡنَٰهُ تَفۡصِيلٗا﴾ [الإسراء: ١٢].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا فَٱسۡتَغۡفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٞ مُّجِيبٞ﴾ [هود: ٦١].

---

(١)ينظر الكشاف (٤٠٦/٢)، ومفاتيح الغيب (٣٦٧/١٨)، والبحر المحيط (١٧١/٦)، وقصص الرحمن في ظلال القرآن (٧٢٩/١).

(٢)ينظر الكشاف (٤٠٦/٢)، ومفاتيح الغيب (٣٦٧/١٨)، والجامع لأحكام القرآن (٥٠/٩)، وقصص الأنبياء لابن كثير (١٣٦/١و١٤٣)، والسراج المنير (٦٦/٢).

(٣)ينظر نظم الدرر (٣١٧/٩)، وإرشاد العقل السليم (٢٢٠/٤).

١٣٥٠. فيها: مناسبة اقتضت ذكر حال ثمود الذين استخلفوا عاداً في الزمن والسكنى في أرض العرب، وعبادة الأوثان، ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ﴾ [الأعراف:٧٤].

١٣٥١. في الآية: من المناسبة الدقيقة: ذكر نشأتهم من الأرض التي قيدت بها منافعهم من الزرع والغرس والبناء، فتلك من مقومات الحياة، فحَسُنَ عطف العمران على الإنشاء؛ إذ لا يمكن عمارتها إلا بعد تأهيلها وتسخير أسباب العمارة للعُمَّار! (١).

١٣٥٢. في تكرار وصف الأنبياء بالأخوة: ﴿أَخَاهُمْ﴾ تأكيد على أن الأخ والقريب من المدعو أولى بدعوته وإرشاده، وأن على الداعية البدء بالأقربين منه فالأقربين، قال تعالى: لنبينا محمد ﷺ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤].

١٣٥٣. في تكرار إرسال الإخوان إلى أقوامهم – بدءًا من نوح إلى صالح عليهم السلام – دلالة على فضل التوحيد، وتأكيد ضمانه لخيري الدنيا والآخرة؛ لأن الأخ لا يجلب إلى إخوانه إلا ما فيه خيرهم وصلاحهم؛ لذلك لم يكن هذا الاختيار من الحكيم العليم صدفة.

١٣٥٤. في بيان علاقة الأنبياء بأقوامهم في النسب، تسليط للضوء على أن التسلية من الأغراض الأساسية لهذه السورة؛ ففي كل مرة تشير الآيات إلى أخوة الأنبياء لأقوامهم تذكير للنبي ﷺ؛ بأنه واحد من هؤلاء الأنبياء الذين آذاهم أقوامهم وفعلوا بهم الأفاعيل، فصبروا وواصلوا دعوتهم حتى أتاهم نصر الله.

١٣٥٥. فيها من الأساليب الدعوية: التعاطف ولين الجانب؛ لندائه إياهم بالقوم: ﴿يَٰقَوْمِ﴾ كيما يرقوا له ويستجيبوا لدعوته.

١٣٥٦. فيها: تنبيه الدعاة إلى استغلال العلاقات الإنسانية في تبليغ دعوة الله تعالى؛ لذلك كان بداية دعوة صالح – عليه السلام – بتذكير قومه بما بينه وبينهم من علاقة: ﴿يَٰقَوْمِ﴾.

---

(١) التحرير والتنوير (١٠٨/١٢).

١٣٥٧. فيها: تأكيد على اعتراف العباد بوجود الله – تعالى – وربوبيته بالفطرة؛ لأن صالحا – أيضا – باشر دعوته بدعوة التوحيد دون تقديمها بنصب أدلة على وجود الله تعالى.

١٣٥٨. أفادت – باستمرار جميع الرسل على تقديم الدعوة إلى توحيد الله – أن الدعوة إلى التوحيد الخالص ونبذ الشرك دعوة قديمة متصلة؛ وأن التوحيد أصل العبادة وأساسها"(١).

١٣٥٩. في استمرار تقديم توحيد الله في دعوة الرسل دلالة على أنه لا قوام لدين أو نظام للبشرية دون تقرير التوحيد؛ فهو الفاصل بين الفوضى والنظام، وبين الخرافة والإيمان، وبين الهوى واليقين"(٢).

١٣٦٠. وفيها: أن دعوة الأنبياء واحدة، وهي الدعوة إلى توحيد الله، فهو المستحق العبادة وحده.

١٣٦١. في نفي الألوهية عن غير الله تعالى، بالإغراق في النفي: ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ دلالة على تأكيد وحدانية الله عز وجل، وعلى شدة نفي وجود معبود بحق سواه؛ لما للإغراق في النفي من زيادةٍ في النفي وتأكيدٍ عليه.

١٣٦٢. في الآية الكريمة تذكير ثمود قوم سيدنا صالح بأصل نشأتهم التي هي من تراب الأرض، واستخلفاهم فيها لأمرهم بعبادة الله وتأكيد وحدانيته، يؤخذ منه أهمية التواضع وعدم نسيان الأصل والرجوع إلى الله والاعتبار بما أصاب قوم هود؛ بالاستغفار والتوبة عن المعاصي؛ فإنها تجب ما قبلها من الذنوب؛ وتذكر بقرب الله سبحانه لعباده وإجابته دعاءهم وسؤلهم وإلحاحهم.

١٣٦٣. فيها التلازم بين الصلاح والإصلاح فالإيمان بالواحد الديان يقتضي مطلق الإصلاح والنهي عن مطلق الفساد في الأرض ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ [الأعراف: ٥٦].

---

(١) رسالة التوحيد للدهلوي (ص١٣١)، وأعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة، لحافظ الحكمي (ص٤٩).

(٢) ينظر خصائص السور لشرف الدين (٤/٥٨).

١٣٦٤. دلت – بتعبيرها بأسلوب الحصر بتقديم: ﴿هُوَ﴾ – على اختصاص الله تعالى بالخلق والإنشاء والتعمير، قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الحجر: ٨٦] (١).

١٣٦٥. فيها: أن من الأسلوب الحسن في الدعوة والعرض الطيب للفكرة والنصيحة هو البداية بذكر محاسن المخاطب الجبلية والمكتسبة لاستمالت قلبه، وتذكيره بنعم الله عليه، ثم عرض الموضوع.

١٣٦٦. منها: أن من فقه الداعية التمهيد والدخول لدعوة العقول بما تحب وتدركه فمعروف أن قوم صالح أهل حرث وغرس للأرض ولهم فيها منافع.

١٣٦٧. يؤخذ: منها أن إنشاء الأصل إنشاء لفرعه؛ فعبر عن خلق هؤلاء بخلق أبينا آدم – عليه السلام – من الأرض"(٢).

١٣٦٨. دلت على أن إنشاء الخلق واستعمارهم في الأرض من الأدلة القاطعة على وحدانية الله عز وجل؛ فكما أنه سبحانه وتعالى لا شريك له في استخلاف عباده في الأرض وتمكينهم فيها بالإنعام عليهم بجميع النعم، فكذلك لا شريك له في العبادة"(٣).

١٣٦٩. دلت على أن قابلية الأرض للعمارة واستغلال منافعها، من أكبر الأدلة على وجود الصانع الحكيم"(٤).

١٣٧٠. دلت: على أن ثمودًا لم يكونوا يدَّعون لأصنامهم الخلق والرزق؛ لذلك كانت حجة صالح – عليه السلام – عليهم بذكر الإنشاء وعمران الأرض، ولم يعارضوه في ذلك"(٥).

---

(١) ينظر فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (١١٨/٨)، وإرشاد العقل السليم (٢٢٠/٤)، والتحرير والتنوير (١٠٨/١٢).

(٢) البحر المحيط (١٧٥/٦).

(٣) ينظر مفاتيح الغيب (٣٦٧/١٨)، وتيسير الكريم الرحمان (ص٣٨٤)، وحدائق الروح والريحان (١٣٥/١٣).

(٤) التحرير والتنوير (١٠٧/١٢).

(٥) أدب الدين والدنيا ص ٢٦٣.

١٣٧١. فيها: إشارة إلى أن المحافظة على سلامة الأرض والبيئة المحيطة بها، وتسخير الجهود للمحافظة على استمرار سلامتها مرادة شرعا؛ لأن استعمار الخلق للأرض يستدعي القيام بما يضمن تحقيقه واستمراره.

١٣٧٢. أفادت: أن التبتل وإهلاك الأرض، وإهدار منافعها، مناقض لحكمة استعمارها"[(١)].

١٣٧٣. في ربطها بواقع الناس تحذير من ما يرتكبه المفسدين من إشاعة الفوضى في المدن والقرى، وتحريض العامة على الخروج في الشوارع، لتخريب المصالح العامة، ونهب الممتلكات؛ فكل ذلك مناف لمراد الله تعالى من عمران الأرض واستمرار استخلاف الناس فيها.

١٣٧٤. ومنها: أن في قوله: ﴿وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا﴾ طلب ومبالغة وقيل واجب استعمار الأرض بما هو نافع وحلال وطيب.

١٣٧٥. في: ربط الاستعمار بواقع استخدام لفظه في الاستعمال الشائع، تباين كبير بين ذلك وبين مراد الله منه؛ فإن الله أشار إلى استعمار ثمود للأرض في قوله: ﴿أَتُتۡرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ١٤٦ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ١٤٧ وَزُرُوعٖ وَنَخۡلٖ طَلۡعُهَا هَضِيمٞ ١٤٨﴾ [الشعراء: ١٤٦ – ١٤٨]، وهو مناقض – تماما – للاستعمار الغربي ونحوه للبلدان، والمتمثل في امتصاص خيراتها، ونهب ثرواتها، وسرقة مواردها، وتدمير اقتصادها! [(٢)]. ولذا يرى بعض الدعاة والمؤرخين أن اللفظة الصحيحة هو الاستخراب أو الاحتلال، وأن لفظة "الاستعمار" هو مصطلح روّج له المحتل إعلامياً وفكرياً ليجد قبولاً عند المجتمعات المحتلَّة.

١٣٧٦. دلت: على أن افضال الله على العباد بالخلق والتعمير في الأرض، نعمة تستحق الشكر بتوحيده بالعبادة؛ لذلك وقع التذكير بتلك النعم عقيب الدعوة إلى التوحيد.

---

(١) باهر البرهان في مشكلات معاني القرآن (ص٢١٤)، وإيجاز البيان عن معاني القرآن (١/٤١٥).

(٢) القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث (١/٢٧٧و٢٧٨).

١٣٧٧. فيها قطع لعذر العباد في ادعاء عدم معرفتهم بالله ودينه؛ فإن الإنشـــاء دليل على الـــمُنشئ، وترتيب أمور العمارة وتيسيرها أيضا دليل على الواحد القهار؛ قال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾ [الطور: ٣٥].

١٣٧٨. في التذكير بنعمة الإنشـاء والتعمير دلالة على أن التذكير بنعم الله تعالى من الوسـائل الدعوية المهمة"(١).

١٣٧٩. أفـادت: أن عمران الأرض بالزرع والغرس والبنـاء وطول العمر، كـانـت من أخص صفات ثمود"(٢).

١٣٨٠. فيها: دلالة على أن توحيد الله – تعالى – أكبر شـكرٍ لنعم الله تعالى؛ لأن صـالحا – عليه السـلام – اسـتدل على دعوته إلى التوحيد بنعمة الإنشـاء والتعمير، بيانا منه أن أوجبَ شكر هو اعترافهم بأحقية الله بما دعاهم إليه من التوحيد والإخلاص.

١٣٨١. أفادت: أن حكمة الله من إنشاء البشر واستعمارهم في الأرض هي عبادته، نظير قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]؛ لعطف الاستغفار والتوبة على الإنشاء بفاء التعقيب.

١٣٨٢. فيها: إرشاد إلى استصحاب الاستغفار والتوبة وتجددهما من العباد؛ فإنهما تكررا كثيرا في هذه السورة.

١٣٨٣. فيهـا: حـث للعبـاد على سـلوك آداب الـدعـاء وطرق العبـادة؛ لأن تقـديم الأمر بالاسـتغفار على الأمر بالتوبة – مرارا – إرشـاد إلى أن التوبة من الذنب لا تتم مع الإصـرار عليه، وعدم الاعتراف به.

---

(١) أصول الدعوة، لعبد الكريم زيدان (ص٤٣٩).

(٢) باهر البرهان في مشكلات معاني القرآن (ص٢١٤) والتحرير والتنوير (١٠٨/١٢).

١٣٨٤. في: جعل الاستغفار توطئة ومقدمة للتوبة اهتمام بالتوبة وتقدير لشأنها في النفوس؛ إذْ كان عظيما ما قدِّم له بعظيم.

١٣٨٥. فيها: إشارة إلى أن عمران البلاد وحضارة أهلها لا تستقيم ولا تدوم إذا خلت من إقامة دين الله تعالى، فلا بد من السير على المنهج الرباني من إقامة الدين والعدل في الخلق؛ لذلك أُعقِب ذكرُ العمران بطلب الاستغفار والتوبة، إذْ هما من متممات العمران ومسوغات استِتبابه واستدامته.

١٣٨٦. فيها تأكيد على سعة رحمة الله لعباده؛ بإمهاله لهم، وعدم معاجلتهم بالعذاب؛ لما تكرر من تأخير الأمر بالتوبة عن الاستغفار، للدلالة على أنه – تعالى – يقبل التوبة عن العباد وإن تأخرت.

١٣٨٧. ومنها: أن الابتداء بالتوبة من أدب الدعاء وأرجى لإجابته.

١٣٨٨. فيها: تأكيد على شمولية الدين الإسلامي الحنيف لجميع تصرفات المرء؛ بحيث يجمع بين القول والعمل؛ فالاستغفار قول، والتوبة عمل، وقد تشتمل التوبة عليهما جميعا.

١٣٨٩. في: ربطها بالواقع، تحذير من استبعاد مغفرة الله وقطع الرجاء من استجابته للدعاء استعظامًا للذنوب؛ لأن في الآية بعث أمل في النفوس وترغيب لها في الإقبال على الاستغفار والتوبة والتماس الحاجات، تأكيدا لقوله تعالى: ﴿أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ﴾ [البقرة: ١٨٦]"[(١)]

١٣٩٠. في إضافة الرب إليه خاصة، تنبيههم على كونه على بينة ومعرفة بربه الذي رعاه رعاية خاصة وهداه هداية لا يضل من اتبعه عليها ولا يشقى، وأنه أخلص له العبادة لإحسانه إليه، فليقتدوا به كما أحسن إليهم أيضا"[(٢)].

---

(١) ينظر الجامع لأحكام القرآن (٥٨/٩)..

(٢) ينظر نظم الدرر (٣١٩/٩)، وزهرة التفاسير (٣٧٢٤/٧)..

١٣٩١. في هذه الجملة من الآية الكريمة: ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ تودد وتلطف وتحبيب للرب القريب المجيب فاختيار لفظة الرب دون الله وما تختصه من العناية والحفظ والتربية وضمير ياء المتكلم وما يفيده من الاختصاص والقرب، ثم ذكر القرب ليشعر بدنوه ولطفه وقربه من طالب الحاجة فيتهيأ أكثر للسؤال ويتشجع، ثم يدفع عنه -بعد حماسه- هاجس "وهل إذا سألته يجيبني ؟!"فيعطيه اليقين ﴿مُّجِيبٌ﴾ باسم الفاعل المفيد حقيقة الإجابة وكثرتها في حق الرب جل وعلا.

١٣٩٢. ومنها: أن في قول صالح عليه السلام﴿ إِنَّ رَبِّي ﴾ حديث خبير ثقة علم عن ربه علم يقين فهذا مدعاة لقبول دعوته.

١٣٩٣. في تقديم صفة قرب الله تعالى: ﴿قَرِيبٌ﴾ على صفة الإجابة: ﴿مُّجِيبٌ﴾ إشارة إلى أن قرب العبد من الله – تعالى – سبب في إجابة الدعاء؛ كأنه قال: مجيب لمن اقترب منه[١].

١٣٩٤. ومنها: أن لذة قُرب الله جل جلاله قد تنسي العبد فرحة الإجابة.

١٣٩٥. ومنها: أن من أستشعر قرب الرب جل جلاله استغنى بهذا القرب عن كل قريب وغني من العالمين.

١٣٩٦. ومنها: أن قرب الله جل جلاله من عباده قرب لطف ومحبة، وقربه من بقية خلقه قرب قدرة وإحاطة.

١٣٩٧. ومنها: أنه بقدر قرب العبد وانكساره وتذلله بين يدي الله تستجاب دعوته.

١٣٩٨. في اقتران صفة قُرب الله بصفة الإجابة هنا، بخلاف قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦] إفادة بأن قُرب الله نوعان، عام وخاص، فالخاص خاص بالموحدين له الملخصين لعبادته، ويقتضي هذا القرب إلطافه بهم وإجابته لدعواتهم وتحقيقه لمرادهم، كما قال تعالى: ﴿

(١٥) أفاده المشرف أ.د. نبيل الجوهري.

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ [غافر: ٦٠]، بخلاف قُربه العام المتمثل في العلم والإحاطة المقتضي للجزاء، إن خيرا فخير، وأن شرا فشر"(١).

١٣٩٩. فيها: دليل لمن قال إن قربه سبحانه وتعالى قرب إجابة لمن دعاه وليس قرب ذاته لأنه قرن في الآية بين القريب والمجيب؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: وكذلك قول صالح عليه السلام: (فاستغفروه ثم توبوا إليه إن ربي قريب مجيب)، هو كقول شعيب عليه السلام: (واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه إن ربي رحيم ودود) ومعلوم أن قوله: (قريب مجيب) مقرون بالتوبة والاستغفار، أراد به قريب مجيب لاستغفار المستغفرين التائبين إليه، كما أنه رحيم ودود بهم، وقد قرن القريب بالمجيب، ومعلوم أنه لا يقال إنه مجيب لكل موجود، وإنما الإجابة لمن سأله ودعاه، فكذلك قربه سبحانه وتعالى. وأسماء الله المطلقة كاسمه: السميع، والبصير، والغفور، والشكور، والمجيب، والقريب، لا يجب أن تتعلق بكل موجود، بل يتعلق كل اسم بما يناسبه، واسمه العليم لما كان كل شيء يصلح أن يكون معلوما تعلق بكل شيء"(٢).

١٤٠٠. في الآية مراعاة لآداب الدعاء: بدء المرء بذكر نعم ربه وأفضاله وحمده عليها، كما في نعمة الإنشاء والتعمير، ثم تعقيب ذلك بالدعاء وإبداء التندم على قبائح الأعمال، كما في الأمر بالاستغفار والتوبة، ثم ختمه بتمجيد الله بصفاته الموسومة بالقرب من العبد واستجابة دعائه.

١٤٠١. فيها: تأكيد على أن الناس كلما بعدوا عن الوحي والعلم ابتعدوا عن الله، واستغلهم الشيطان فزين لهم الشرك والمعصية؛ فإن الله أنجى هودا والمؤمنين به، ثم وقع الشرك في ثمود الذين خلفوهم؛ فأرسل الله صالحا إلى ثمود لينذرهم من بأس الله"(٣).

---

(١) ينظر تيسير الكريم الرحمان (ص٣٨٤)، وتفسير أسماء الله الحسنى (ص٢٢٢).

(٢) مجموع الفتاوى ٥/ ٤٩٣- ٤٩٤.

(٣) القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث (٢٦٩/١)..

١٤٠٢. في تكرار القصص والأخبار وعظٌ وتذكير لأهل الاعتبار، وزيادة إيقان لأهل الاستبصار، وتهديد وتخويف لأهل الإصرار، وحث على المبادرة إلى التوبة والاستغفار"[(١)].

قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ [هود: ٦٢].

١٤٠٣. وفيها: افتتاح الكلام بالنداء ﴿يَا صَالِحُ﴾ لقصد التوبيخ، وهو مستفاد من قولهم ﴿قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا﴾.

١٤٠٤. (قد كنت فينا مرجوا قبل هذا) تفيد أن من الوسائل التي يستعملها أعداء الدين لصد الدعاة إلى الله عن الدعوة المبالغة في مدحهم وإغرائهم بالكلام الحسن، لقولهم: ﴿قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا﴾.

١٤٠٥. ومنها: أن من حُرم الأدب حُرم التوفيق والهداية.

١٤٠٦. فيها: أن ديدن الرسل صلاح السيرة منذ أدراج الصبا ﴿قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا﴾.

١٤٠٧. منها: أنه يجب على الداعية أن يجمع بين الدين والخُلق.

١٤٠٨. تفيد: أن تغير نظر الناس عنك بسبب تدينك وتمسك بالحق سنة مطردة في الخلق لا ينبغي التوقف فيها كثيرا ﴿قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا﴾.

١٤٠٩. تفيد: أن دعاة الحق لا ينظرون لما يفقدونه من مكانة وجاه، أو منصب، أو وظيفة عند الناس في سبيل الصدع بالحق ودحض الباطل، فدعاة الحق لا يجعلون دعوتهم قائمة على الكسب الجماهيري كما نشاهده اليوم من بعض الدعاة.

١٤١٠. في الآية قاعدة مهمة وهي: الأمر بالشيء نهي عن ضده؛ لأنه عليه السلام، أمرهم بعبادة الله وحده، وأجابوا بأنه نهاهم عن عبادة ما يعبد آباءهم.

---

(١) البحر المديد (٢/٣٥٣).

١٤١١. فيها: أن التوحيد يتضمن الكفر بالطاغوت والنهي عن عبادة غير الله عز وجل؛ لقوله: ﴿أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾.

١٤١٢. وفيها: عبادتهم لأصنامهم عادة وليس عبادة، لقولهم: ﴿أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾.

١٤١٣. تفيد: أن القيام بواجب الدعوة إلى التوحيد والنهي عن عبودية غير الله هو نهج جميع الأنبياء والمرسلين ومن اقتدى بهديهم إلى يوم الدين.

١٤١٤. تفيد: أن تقليد ما كان عليه الآباء والتمسك به من غير هدى من الله يصد عن قبول الحق واتباعه.

١٤١٥. فيها: أن التمسك بالموروث وما كان عليه الآباء على غير هدى، ودليل واضح، هي حيلة الضعفاء وشبهة المشركين في الرد على الرسل.

١٤١٦. ومنها: ضعف حجة أهل الباطل وأنها مبنية على التقليد.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ ۖ فَمَا تَزِيدُونَنِى غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾ [هود: ٦٣].

١٤١٧. تفيد: أن من فقه الداعية المشفق، أن يقدم بما يجذب من أمامه بتأمينه والتلطف به فخطاب صالح عليه السلام: ﴿يَٰقَوْمِ﴾ تذكير لهم بأنه منهم ولا يريد لهم إلا الخير.

١٤١٨. ومنها: أن مخاطبة القلوب واستنطاقها باعث على قبول الحق والانقياد له.

١٤١٩. ومنها: أن قوله: ﴿إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى﴾ ورد بحرف الشك، وكان على يقين تام في أمره، إلا أن خطاب المخالف على هذا الوجه أقرب إلى القبول"[(١)].

١٤٢٠. فيها: أن الأنبياء على بينة من ربهم وكذلك من تبعهم من المؤمنين، بخلاف الكافرين فهم في ضلال مبين.

---

(١) تفسير الرازي ١/٣٦٨.

١٤٢١. في هذه الجمل من الآية الكريمة: ﴿مِّن رَّبِّي﴾، ﴿مِنْهُ رَحْمَةً﴾، ﴿مِنَ اللَّهِ﴾، على قدر الافتقار لله تكون قوة الحجة، فمن تكلم بالله (افتقارا) ولله (إخلاصا) كان الله لسانه الذي ينطق به.

١٤٢٢. فيها أن النبوة والرسالة رحمة ونعمة.

١٤٢٣. وفيها: الانتقال في الدعوة بين توحيد الربوبية والألوهية في الخطاب الواحد لترسيخها معًا.

١٤٢٤. فيها: كمال معرفة الأنبياء بربهم وخشيتهم له، وقد قال نبينا ﷺ: "أما إني اخشاكم واتقاكم لله"(١).

١٤٢٥. فيها: الخوف من الذنوب والمعاصي؛ لقوله: ﴿فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ﴾.

١٤٢٦. تفيد: أن من تعلق بغير الله خذل من تلك الجهة، وانقلب تعلقه وبالا عليه، (ففاته الله، وعذب بمتعلقه)، لقوله: ﴿فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾.

١٤٢٧. فيها أن طاعة الكافرين سبب للخسران المبين؛ لقوله: ﴿فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾، وقد قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ [آل عمران:١٤٩].

قال تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾ [هود: ٦٤].

١٤٢٨. تفيد: أهمية تلطف الداعية في خطاب قومه مع ما يحصل منهم من عناد وإعراض ﴿وَيَا قَوْمِ﴾.

(١) أخرجه البخاري ٢/٧، ومسلم ١٨٢٩/٤.

١٤٢٩. تفيد: الإضافة: ﴿نَاقَةُ ٱللَّهِ﴾ التشريف والتنبيه على أنها تختلف عن غيرها من جنسها وطبعها.

١٤٣٠. فيها: أن الناقة كانت من أعظم آيات الله سبحانه وتعالى ولذلك ذكرت في القرآن الكريم كثيرا، وقال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ [الإسراء: ٥٩].

١٤٣١. تفيد: أن هذه الناقة كانت آية طلبوها لتأكيد صدق ما دعاهم إليه فكان ينبغي أن تقودهم للإيمان ﴿لَكُمْ ءَايَةً ۖ﴾ ولكن وجود الآيات لا يستلزم الإيمان، فهم مع وجود هذه الآية البينة أصروا على كفرهم وعنادهم.

١٤٣٢. وفيها: أن الاتيان بمعجزة حسية أدعى للقبول.

١٤٣٣. وفيها: أن تلطف الأنبياء في إيصال الحق أسلوب يجب أن يستفيد منه الداعية إلى الله.

١٤٣٤. فيها: سعة أرض الله وما أودع فيها من خيرات. قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟﴾ [النساء: ٩٧]، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَـٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ﴾ [فصلت: ١٠].

١٤٣٥. تفيد: أن ما ينبت في الأرض دون كلفة من أحد هو مباح للجميع.

١٤٣٦. تفيد: مدى الجهل الذي كان عليه قوم صالح، فهم عقروا الناقة مع ما كان لهم فيها من المنافع مع عدم الكلفة عليهم ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ﴾.

١٤٣٧. تفيد: أن الأكل يطلق على الشرب أيضا؛ لقوله تعالى: ﴿تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ﴾ أي: تأكل وتشرب في أرض الله، لقوله تعالى في آية أخرى: ﴿لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الشعراء: ١٥٥].

١٤٣٨. تفيد: أن بعض ضعاف النفوس يحسدون الآخرين على شيء ساقه الله لغيرهم، بالرغم من أنه ليس لأحد من البشر في ذلك الشيء يد أو منة؛ بل هو فضل وكرم من الله تعالى؛ لقوله تعالى: ﴿تَأۡكُلۡ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِ﴾، فالأرض أرض الله، والرزق رزق الله فلماذا الحسد والحقد ولماذا الإضرار والتضييق على فضل الله تعالى ومنته وفضله على الآخرين؟.

١٤٣٩. فيها: أن قوم صالح من شرار الخلق وأسوئهم، فلم يكلفهم الله بعبادة ترهقهم فيستثقلونها، ولم ينهاهم عن شهوة تتوق لها أنفسهم المريضة بل نهاهم عن فعل حاصل بترك الناقة بدون إيقاع الأذى بها، فكان من سوء طويتهم ودليل استحقاقهم للعذاب والاستئصال أنهم تعمدوا الاعتداء على ما نهوا عنه إمعانا في العصيان والإساءة.

١٤٤٠. فيها: نقطة بالغة الأهمية، وهي أن الأمر والنهي طالما كان من الله استحق التقديس والحذر من مخالفته، حتى لو كان في نظر العبد هيناً لا عظيم ضرر في اجتراحه، فإن عظم الأمر والنهي ينشأ من عظم الآمر والناهي وليس من نظرة العبد ورأيه في ذلك..

١٤٤١. وفيها: التهديد والوعيد بقرب العذاب في حال النيل من الناقة.

١٤٤٢. فيها: أن نبي الله صالح لم يكتفِ بنهي قومه عن مس الناقة بالسوء، بل وأبلغهم بما سيترتب على مخالفتهم وأقام عليهم الحجة.

١٤٤٣. وفيها: المبالغة في النهي عن مس الناقة، فضلا عن ضربها أو قتلها، لقوله: ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا﴾.

١٤٤٤. تفيد: خطورة التعرض لآيات الله تعالى الحسية والمعنوية.

١٤٤٥. فيها: التخويف من عذاب الله عز وجل بوصفه بالأخذ، وأنه قريب.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ۖ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ [هود: ٦٥].

١٤٤٦. فيها: دليل على الاشتراك الجنائي، فقد نفذ العقر واحد، لكنهم شاركوه بالرأي والرضا.

١٤٤٧. مشاركتهم في تعاطي أداة الذبح حتى وصلت إلى أشقاهم، هي مشاركة تنسب إليهم الجرم جميعهم ﴿فَعَقَرُوهَا﴾.

١٤٤٨. وفيها: بيان جرم القوم؛ من وجوه: منها: المبادرة والإسراع إلى العقر بعد التحذير؛ بدليل "الفاء" في قوله: ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ إذ تفيد: الفاء دلالة على توالي وقوع الأحداث وتتابعها، ﴿فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ﴾ [القمر: ٢٩].

١٤٤٩. تفيد: أن الجزاء من جنس العمل ﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ﴾.

١٤٥٠. تفيد: أن من أنذر فقد أعذر.

١٤٥١. تفيد: أن العبرة بالنهايات والخواتيم وليس بوجود، أو حصول المتع والامتاع في حياة الإنسان؛ لقول الله تعالى: ﴿فَقَالَ تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ۖ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ نعوذ بالله من سوء الخاتمة، ومن الحور بعد الكور.

١٤٥٢. تفيد: أن الأمور السيئة، والمصائب المحزنة، تأتي كثيرا في حياة الإنسان بعد غفلة ونشوة، وحصول متعة، لقوله تعالى: ﴿تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ۖ﴾.

١٤٥٣. تفيد: أنه لا قيمة للتمتع الذي يعقبه عذاب الله؛ قال الله: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾[الحجر: ٣].

١٤٥٤. فيها: الجمع بين العذاب الحسي والنفسي: ﴿تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ۖ﴾فانتظار المصيبة مصيبة أكبر منها.

١٤٥٥. منها: أهمية الإيمان وعمل الصالحات والزهد في الدنيا، والعلم بأن العطاء والنعيم والمهلة، ليس مقياسا لرضى الله؛ وتصديقه: ﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾ [سبأ: ٣٧].

١٤٥٦. تفيد: أن لارتكاب المعاصي وفعل المنكرات نشوة ومتعة يشعر بها أصحابها إلا أنها نشوة ومتعة لا تدوم لهم طويلا؛ لقول صالح عليه السلام لقومه: ﴿تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ﴾.

١٤٥٧. وفيها: حجيه الاستدلال بأمر إمهال الخصم إمعانًا في أمر قيام الحجة كما أن فيها أن للثلاثة نظر في الشرع يقول السيوطي في "وفيه دليلٌ على أنَّ للثَّلاثةِ نَظرًا في الشَّرعِ؛ ولهذا شُرِعَت في الخِيارِ ونَحوِه [(١)]. ومن ذلك أمر الاستنابة إلى ثلاث أيام عند بعض المذاهب.

١٤٥٨. أفادت أن وعد الله حق لا مرية فيه.

١٤٥٩. تفيد: أن عذاب الله، بأجل مسمى؛ لا يتقدم ولا يتأخر؛ وتصديقه: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۚ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [العنكبوت: ٥٣].

١٤٦٠. تفيد: أن لكل أجل كتاب وأن الله لا يخلف الميعاد﴿ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾.

١٤٦١. وفيها: التعبير بالوعد دون الوعيد كناية عن قرب نزول العذاب بهم وذلك على سبيل التهكم بهم.

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾ [هود: ٦٦ – ٦٧].

١٤٦٢. مناسبتها: أنه لما بين انجاؤه لأوليائه بين هنا إيقاعه بأعدائه.

١٤٦٣. فيها: أن المقصود بالأمر في الآية: العذاب.

١٤٦٤. فيها: قضاء الله وأمره واقع لا محالة، متى شاء سبحانه وتعالى، وكيفما شاء، وعلى من شاء، فينبغي تفويض الأمور كلها إليه، والتسليم لأمره.

---

(١) الإكليل "ص ١٥١.

١٤٦٥. يفيد: تقديم إنجاء صالح عليه السلام ومن معه على اهلاك الظالمين العناية بالمؤمنين ورحمة الله بهم وفضلهم.

١٤٦٦. وفيها: أن النجاة والسلامة في سلوك طريق الأنبياء.

١٤٦٧. فيها: رحمه الله علي العباد بإرسال الرسل، لقوله تعالى: ﴿نَجَّيْنَاهُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا﴾.

١٤٦٨. ومنها: من الأمان في الدنيا والأخرة مصاحبة المؤمنين والصالحين فهم الذين لا يشقى بهم جليس.

١٤٦٩. فيها: أن النجاة تكون برحمة الله لا بالعمل، كما تفيد باء السببية ﴿بِرَحْمَةٍ﴾.

١٤٧٠. تفيد: أن المعول عليه في النجاة من العذاب ودخول الجنة إنما هو عفوه ورحمته لا على عمل العبد وكسبه.

١٤٧١. تفيد: أن النجاة برحمة الله هي تحقيق أسباب مخصوصة تستثني من أراد الله له النجاة دون بقية المهلكين، فنجاة لوط وأهله بالإرشاد للإسراء بهم وعدم الالتفات، ونجاة نوح ببناء السفينة وهكذا فكل أسباب يهيئها الله لعباده المؤمنين ليستثنيهم من عذاب واستئصال المجرمين هي رحمة لهم اختصهم الله بها.

١٤٧٢. فيها: بيان أن الخزي الحقيقي الذي لا مثيل له هو الخزي يومئذ.

١٤٧٣. تفيد: التعوذ بالله من الخزي، قال تعالى: ﴿وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ [الشعراء: ٨٧].

١٤٧٤. فيها: تسلية للنبي عليه الصلاة والسلام ﴿رَبَّكَ﴾بأنك مع الحق وفي الجهة الأقوى، وأن النصر حليفك فاستمر على ما أنت عليه من الدعوة.

١٤٧٥. فيها: تأكيد الكلام بالجملة الاسمية و﴿إِنَّ﴾ وضمير الفصل﴿هُوَ﴾ يقطع الأمل على المشركين في النصر والاعتداد بالقوة.

١٤٧٦. وفيها: أن أخذ الله أليم شديد.

١٤٧٧. فيها: الحكمة من الأمر بالاستعاذة من شر غاسق إذا وقب، فعذابهم كان ليلا لقوله ﴿فَأَصْبَحُوا﴾.

١٤٧٨. تفيد إثبات القوة والعزة الكاملة لله تعالى.

١٤٧٩. فيها: تعريض لأهل مكة أن يصيبهم ما أصاب القوم بسبب الظلم.

قَالَ تَعَالَى: ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا إِنَّ ثَمُودَا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ﴾ هود: ٦٨

١٤٨٠. تفيد: أنه مهما تطاولت اللذات ومتع الحياة فانقضاء الأجل بوقوع العذاب يجعل من ملذات الحياة حلمًا خاطفًا لا قيمة له.

١٤٨١. تفيد: أن العبرة بالخواتيم، فكل زائل لا قيمة له، والعاقل من اتعظ بغيره.

١٤٨٢. تفيد: نسبتهم إلى الربوبية ﴿كَفَرُوا رَبَّهُمْ﴾ عظم ضلالهم وجحودهم وكفرهم؛ لأن كفروا بالرب الكريم الذي أحسن إليهم وأمدهم بالنعم الكثيرة.

١٤٨٣. فيها: أن الكفر محبط للأعمال.

١٤٨٤. ومنها: أن تعاظم نفوذ أهل الباطل وظلمهم يدل على قرب نهايته وزواله، وأنهم يسعون لحتفهم بظلفهم.

١٤٨٥. وفيها: التصريح بكفرهم المعلوم، تعليلا لاستحقاقهم الدعاء عليهم بالبعد والهلاك، لقوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ ثَمُودَا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ﴾.

١٤٨٦. فيها: أن الكفر والاستكبار سبب للإبعاد والخزي؛ ﴿أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ﴾.

١٤٨٧. تفيد: أنهم استؤصلوا بالعذاب؛ وتصديقه: ﴿وَثَمُودَا فَمَا أَبْقَى﴾ [النجم: ٥١].

١٤٨٨. تفيد: منهجيه كتابه القصص من سمو الأهداف والأغراض وبلاغه السرد ورصانة الإيجاز وعظم ووضوح الدروس والعبر المستقاة منها وروعه ربط آخر القصة بأولها.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ [هود: ٦٩].

١٤٨٩. في الاعتراض بين قصتي صالح ولوط، ببشارة إبراهيم – عليهم السلام – مناسبة دقيقة تتجلى في توافق قصتي صالح وإبراهيم في أمر خارق للعادة؛ وهو تكوين ناقة ثمود، ورزق إبراهيم بالولد، رغم بلوغه مع امرأته سن اليأس، للإشارة إلى تمام قدرة الله تعالى وكمال علمه المبني عليهما كتابه جل في علاه، كما قال تعالى في مطلع السورة: ﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١][(١)].

١٤٩٠. في هذه مناسبة للتذكير بوعد الله نبيه نوحا – عليه السلام – بالبركات عليه وعلى بعض الأمم التي تتناسل ممن كان معه في السفينة؛ فبارك – تعالى – على إبراهيم –عليه السلام – وآتاه أجره في الدنيا، وجعله في الآخرة من الصالحين"[(٢)].

١٤٩١. من مناسبتها أيضا: أن قصة إبراهيم وقعت كتوطئة ومقدمة لقصة لوط عليه السلام؛ حيث ذكرت الملائكة لإبراهيم إرسالهم إلى قوم لوط، وجرى بينهم وبينه مجادلة في شأنهم؛ لذلك لم تأت هذه القصة على منوال ما سبقها، من البدء بالإرسال"[(٣)].

١٤٩٢. في: تأكيد خبر مجيء الملائكة بعدة مؤكّدات: ﴿وَلَقَدْ﴾ اهتمام به وإشارة إلى عِظم الخبر الذي يأتي بعده وغرابته، ما قد يرتاب منه بعض الناس؛ فاحتيج إلى هذه التأكيدات"[(٤)].

١٤٩٣. فيها: إرشاد الدعاة إلى استخدام الأساليب المتنوعة في الدعوة، والتفنن في ذلك عند الحاجة؛ لاستخدام الآية أسلوب القسم، في: ﴿وَلَقَدْ﴾ [(٥)].

١٤٩٤. فيها حذف المقسم به لشهرته؛ دلالة على عظمة الله تعالى؛ لأن تقديره: والله لقد جاءت"[(٦)].

---

(١) ينظر نظم الدرر (٣٢٨/٩)، وقصص المرسلين في كتاب رب العالمين (ص٢٧).

(٢) ينظر تفسير المنار (١٠٨/١٢).

(٣) ينظر حاشية الصاوي على الجلالين (١٤٣/٣)، وفتح البيان (٢٠٩/٦)، وحدائق الروح والريحان (١٦١/١٣).

(٤) ينظر تفسير المنار (١٠٦/١٢)، والتحرير والتنوير (١١٥/١٢)، وزهرة التفاسير (٣٧٣٠/٧).

(٥) أفاده المشرف. أ.د. نبيل الجوهري.

(٦) أفاده المشرف. أ.د. نبيل الجوهري.

١٤٩٥. وفيها: الحديث هناك عن الناقة وهنا عن الولد وكلاهما أمر خارق للعادة.

١٤٩٦. تفيد: تشريف ومكانة الأضياف إذ نسبهم الله إليه ﴿رُسُلُنَآ﴾.

١٤٩٧. وفيها: إسناد المجيء بالبشرى دون الإرسال؛ لأنهم لم يكونوا مرسلين له عليه السلام بل إلى قوم لوط.

١٤٩٨. فيها: فضيلة ظاهرة لإبراهيم عليه السلام لإرسال الملائكة إليه لتبشيره.

١٤٩٩. في: مجيء الملائكة إبراهيم – عليه السلام – بالبشرى، استحباب نزول المبشِّر ضيفًا على المبشَّر؛ لأن الله أرسل الملائكة بالبشرى، فجاؤوا إلى إبراهيم على صور الضيوف"(١).

١٥٠٠. دلت مع قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓاْ إِنَّا مُهْلِكُوٓاْ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ﴾ [العنكبوت: ٣١]، على أن بشارة إبراهيم – عليه السلام – كانت بالولد، وليس بإهلاك قوم لوط عليه السلام؛ لتصريح الملائكة بأن غرض مجيئهم إليه، إهلاك قوم لوط؛ ولأن الخبرين مُرتَّبان بأداة الشرط: ﴿وَلَمَّا﴾؛ ولأن تأسيس كل من الخبرين لمعنى مغاير عن الآخر، أولى وأبلغ من تأكيد أحدهما بالآخر؛ وطريقة القرآن جمع معان كثيرة في كلمات قليلة"(٢).

١٥٠١. أفادت: أن من سنة الله – تعالى – أن جعل الولد مما يُسَرُّ ويُحفَل به؛ لذلك كان الإخبار بولادة ولد لإبراهيم – عليه السلام – مَسَرَّةً وبشرى.

١٥٠٢. أفادت: أن نسبة الولد إلى أبيه من نعم الله تعالى على العباد، قال تعالى: ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ﴾ [مريم: ٧]؛ لأن هذه البشرى متضمن نسبة الولد إلى من بُشِّر به، كما تبينه الآيات.

---

(١) ينظر محاسن التأويل (١١٧/٦).

(٢) ينظر أضواء البيان (١٨٥/٢). وحكى بشارته بإهلاك قوم لوط جمع من المفسرين، ينظر جامع البيان (٣٨٢/١٥)، والنكت والعيون (٤٨٢/٢)، ومعالم التنزيل (١٨٧/٤)، وإرشاد العقل السليم (٢٢٤/٤).

١٥٠٣. أفادت: أن الناس مفطورون على الرغبة في التناسل واستخلاف الذرية؛ لذلك طُبِعوا على البشرى به أوَّلَ ما يتلقون خبره، وقد نعى الله على من خالف الفطرة في ذلك، فتشاءم ببعض أصناف ما يُبَشَّر به، كالبنات، قال تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [النحل: ٥٨].

١٥٠٤. يؤخذ: من الآية استحباب تبشير المؤمن بما يسره من أمر دينه ودنياه؛ فإن الله تعالى أرسل ملائكة لبشارة إبراهيم وزوجته بالولد، وولد الولد قبل أن يرزقهما بما بشرا به؛ لما ينتج عن ذلك من سرور وشكر للمنعم قبل تحقيق البشارة"[(١)].

١٥٠٥. منها: تلطف الله بأصفيائه وعظيم عطائه الذي يعتني بأخص حالاته، لما كان يحب إبراهيم الأضياف أرسل له الملائكة بالبشرى على هذا الحال.

١٥٠٦. ومنها: أن من إكرام الضيف الإكرام بالكلام وإظهار السرور والحفاوة به قبل الإكرام بالطعام.

١٥٠٧. وفيها: استحباب البشارة بالولد والتهنئة.

١٥٠٨. وفيها: مشروعية السلام والرد عليه..

١٥٠٩. دلت على أن تحية الملائكة السلام، كتحية بني آدم؛ فقد وردت التحية في السنة مطابقة لتسليم الملائكة على إبراهيم عليه السلام[(٢)].

١٥١٠. وفيها: أن السلام قبل الكلام، فقد دلت على لزوم إلقاء السلام قبل الكلام؛ لأن الملائكة بدأوا بالسلام قبل الإفصاح عن غرض مجيئهم"[(٣)].

---

(١) ينظر أيسر التفاسير (٥٦٣/٢).

(٢) ينظر أحكام القرآن للجصاص (٣٧٨/٤)، وأحكام القرآن للكيا (٢٢٦/٤)، وأحكام القرآن لابن العربي (١٩/٣)، والإكليل في استنباط التنزيل (ص١٥١).

(٣) ينظر تيسير الكريم الرحمان (ص٣٨٥).

١٥١١. في: تسليم الملائكة قبل التبشير إشارة إلى أن تبشير إبراهيم – عليه السلام – كان سرورا بعد سرور، فالسلام من الملائكة بصيغة التنكير: ﴿سَلَٰمًا﴾ تعظيم ينتج عنه سرور يضاف إلى سرور التبشير"[١].

١٥١٢. أفاد نصب سلام الملائكة بالمصدر، وابتداؤهم به: ﴿سَلَٰمًا﴾ أنه كان دعاءً عظيما مرجوا للدلالة على أن البدء بالسلام سنة؛ ولأن ذلك سبيل المندوبات"[٢].

١٥١٣. فيها: من بلاغة القرآن العالية: الاختصار على الألفاظ القليلة الدالة على معان كثيرة؛ حيث حُذف الفعلُ في الجملة الأولى: سلَّمنا سلاما، والخبرُ في الجملة الثانية: سلام عليكم[٣].

١٥١٤. في اختصار الملائكة في سلامهم، مناسبة تشير إلى أن المقام مقام بشارة بالولد، فالإسراع إليها أفضل، أو أن المقام مقام بيان لسخط الله على قوم لوط، فالأمر جد عظيم لا يناسبه الإطناب "[٤].

١٥١٥. في رفع سلام إبراهيم بالمصدر: ﴿سَلَٰمٌ﴾؛ دلالة على وجوب رد السلام؛ لأن ذلك سبيل الواجبات"[٥].

---

(١) ينظر محاسن التأويل (٦/١١٤).

(٢) ينظر المحرر الوجيز (١/٢٤٦)، (٣/١٨٨)، والدر المصون (٦/٣٥٢)، والإتقان في علوم القرآن (٢/٣٧٩)، والتحرير والتنوير (١٢/١١٦).

(٣) أفاده المشرف أ. د. نبيل الجوهري.

(٤) أفاده المشرف أ. د. نبيل الجوهري.

(٥) ينظر التسهيل (١/٣٧٤)، والبحر المحيط (٦/١٧٩)، والإتقان في علوم القرآن (٢/٣٧٩)، والتحرير والتنوير (١٢/١١٦).

١٥١٦. في رفع سلام إبراهيم عليه السلام – على سبيل الحكاية – إشارةٌ إلى أن هذه التحية متلقىً عن أب الأنبياء، وإمام الحنفاء عليه السلام، وفي ذلك اتِّباع لملته التي أمر الله بها: ﴿فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾[(١)] [آل عمران: ٩٥].

١٥١٧. دلت: على أن السلام يرد بمثله أو أحسن منها، وأنه من الأخلاق النبيلة التي دعا إليها الإسلام؛ فكانت تحية إبراهيم أحسن؛ لِما ذُكر من تعبيره بالرفع﴿سَلَٰمٌ﴾ بخلاف سلامِ الملائكةِ الواقعِ مصدراً معمولاً لفعلٍ محذوفٍ تقديرُه: سَلَّمْنا سَلاماً، قال تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَا﴾[النساء: ٨٦]"[(٢)].

١٥١٨. في قراءة: (سلام)، بـ : (سِلْمٌ)، إفادة على أن التحية أمان من الذي يلقيها؛ فمن سلَّم عليك ورددتَ عليه فقد أمَّنتَه وسالمتَه، فانتفى العِداء والمحاربة بينكما"[(٣)].

١٥١٩. في تنكير السلام: ﴿سَلَٰمٌ﴾، دلالة على تمام السلام وكماله، وأنه أبلغ من: (السلام) المعرف بـ: (أل)؛ لما في النكرة من التعظيم، وأما التعريفُ فلإفادة الماهية، فكأنه قال هنا: سلام كامل عليكم، نظير قوله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس: ٥٨][(٤)].

١٥٢٠. في رد إبراهيم بالسلام المرفوع – الدال على الثبوت والاستقرار والدوام – إشارة إلى ثبوت قدمه في الكرم والفضل؛ لأن كون سلامه أبلغ من سلام الملائكة بادرة كرم منه، قبل المزيد من الإكرام بالإطعام.

---

(١) ينظر بدائع الفوائد (١٥٨/٢)، وبدائع التفسير (٥٨/٢)، وتيسير الكريم الرحمن (ص٣٨٥).

(٢) ينظر أحكام القرآن لابن العربي (١٩/٣)، والدر المصون (٣٥١/٦)، ومحاسن التأويل (١١٨/٦)، وتيسير الكريم الرحمان (ص٣٨٥)، وحدائق الروح والريحان (١٦٢/١٣).

(٣) ينظر المحرر الوجيز (١٨٧/٣)، والبحر المحيط (١٧٩/٦)، والدر المصون (٣٥٢/٦)، والسراج المنير (٦٩/٢).

(٤) ينظر مفاتيح الغيب (٣٧٢/١٨)، واللباب في علوم الكتاب (٥٢١/١٠)، والسراج المنير (٦٩/٢).

١٥٢١. فيها: مشروعية الضيافة والترغيب فيها؛ فهي من سنن إبراهيم عليه السلام، وقد رغب الله في اتباعه بقوله تعالى: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الحج: ٧٨] [(١)]،والإفادة أن حسن الضيافة من آداب الإسلام ومكارم الأخلاق وسنن أنبياء الله وأوليائه؛ لأن إخبار الله عن إكرام إبراهيم ضيفَه وقع مدحًا له عليه السلام، إشارة إلى أهمية إكرام الضيف، وقال ﷺ: "...ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه"[(٢)].

١٥٢٢. في الآية بيان عن عدة خصال حميدة جمعت في إبراهيم عليه السلام، ما جعله خليقا بأن يكون – وحده – أمة، كما قال تعالى عنه: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ [النحل: ١٢٠]؛ لوصفه بالكرم في قرى الضيفان، واختياره لهم أفضل طعام وأطيبه، ومبادرته بذلك؛ ولما نودي رسول الله ﷺ بـ: خير البرية، قال ﷺ: «ذاك إبراهيم عليه السلام"[(٣)]..

١٥٢٣. فيها: من أدب الضيافة: تقريب الطعام إلى الضيفان، وملاطفتهم بالكلام؛ بضميمة قوله تعالى: ﴿فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ [(٤)] [الذاريات: ٢٧].

١٥٢٤. تفيد الترغيب في مباشره إكرام الأضياف بالنفس وخدمتهم وفي هذا غاية التبسط معهم وإكرامهم.

١٥٢٥. فيها: دليل على أنه ينبغي تعجيل تقديم شيء للضيف فور قدومه؛ فهو سنة إبراهيم عليه السلام"[(٥)].

---

(١) ينظر الإكليل في استنباط التنزيل (ص١٥١).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، رقم (٦٠١٨)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الجار والضيف..، رقم (٤٧). وانظر تفسير القرآن للسمعاني (٤٤٢/٢)، والجامع لأحكام القرآن (٦٤/٩).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب من فضائل إبراهيم الخليل ﷺ، رقم (٢٣٦٩). وانظر أحكام القرآن لابن العربي (٢٢/٣).

(٤) ينظر أضواء البيان (١٨٦/٢).

(٥) ينظر تفسير القرآن للسمعاني (٤٤٢/٢)، والجامع لأحكام القرآن (٦٤/٩)، والبحر المحيط (١٨٠/٦)، والإكليل في

١٥٢٦. فيها: مع الحث على الإسراع في إطعام الضيف، الإتيان له بأطيب ما يجده المضيف؛ قال الله: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ﴾[الذاريات: ٢٤]؛ فسماهم المكرمين، ولما فيه من التنويه بما قام به إبراهيم – عليه السلام – من حسن الضيافة وسرعة إنجازها.

١٥٢٧. دلت: على أن المبادرة إلى الخصال الحميدة مرغوبة؛ فإن الله أبقى مبادرة إبراهيم آية تتلى إلى يوم الدين، ثناءً عليه وليَقتدي به مَن بعدَه"[(١)].

١٥٢٨. دلت: على أن الله تعالى طبع خليله على سجايا الكرم؛ لما في إسراعه وإتقانه من معنى لذلك، وفي الحديث: (كان أول من ضيف الضيف إبراهيم..."[(٢)].

١٥٢٩. فيها إشارة إلى أن المقدَّم للضيف يكون دون تكلف بما يضر المضيف أو يؤخر على المستضاف؛ فسرعة إبراهيم منبئ عن اختياره ما تيسر له"[(٣)].

١٥٣٠. ومنها: من أدب الضيف أن يعجل قراه، فيقدم الموجود الميسر في الحال، ثم يتبعه بغيره إن كان له جدة، ولا يتكلف ما يضر به"[(٤)].

١٥٣١. ومنها: الاعتناء بشأن الضيف، وفي مجيئه بالعجل كله مع أنهم بحسب الظاهر يكفيهم بعضه دليل على أنه من الأدب أن يحضر للضيف أكثر مما يأكل"[(٥)].

١٥٣٢. ومنها: من الصفات المحمودة الطيبة اقتران الإتقان مع التعجيل.

استنباط التنزيل (ص١٥١)، وأضواء البيان (١٨٦/٢).

(١) ينظر أحكام القرآن لابن العربي (٢٢/٣)، ولطائف الإشارات (١٤٦/٢).

(٢)أ خرجه الطبراني في الأوائل، رقم (١٠)، وابن عساكر في تاريخ دمشق، حرف الألف، إبراهيم بن آزر، (٢٠١/٦)، وحسنه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة، رقم (٧٢٥).

(٣)ينظر الجامع لأحكام القرآن (٦٤/٩).

(٤) تفسير القرطبي٦٤/٩

(٥).روح المعاني ٢٩١/٦.

١٥٣٣. فيها: ترغيب في اختيار أطيب طعام وأحسنه للضيف؛ لأن إبراهيم – عليه السلام – اختار لهم العجل، وهو أطيب وأحسن ما في البقر"[(١)].

١٥٣٤. تفيد: الترغيب في الاجتهاد في تخير وتقديم الأفضل حيث اختار خليل الرحمن الشواء ﴿حَنِيذٍ﴾ وهذا من ألذ طرق طهي الطعام.

١٥٣٥. دلت: على قدرة الملائكة على التحول إلى غير صورهم الحقيقة التي خلقهم الله عليها؛ لأن إسراع إبراهيم – عليه السلام – إلى قراهم، قرينة دالَّة على تمثُّلهم في صور البشر، وقال تعالى عن تحويل جبريل عليه السلام: ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ مريم: ١٧ [(٢)].

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ﴾ [هود: ٧٠].

١٥٣٦. تفيد أن ابراهيم عليه السلام لا يعلم الغيب، إلا ما أطلعه عليه ربه عز وجل ﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ﴾.

١٥٣٧. ومنها: أن من أدب الضّيافة مسارقة النظر للضيف إن كان يأكل أو لا.

١٥٣٨. البلاغة القرآنية في رسم شخصية إبراهيم عليه السلام، فأظهرت هنا رهافة حسه من خلال تعامله مع ضيفه، فإنكاره نتيجة مراقبته لأيدي الضيف لا وجوههم لئلا يحرجهم، ووصف خيفته بالتوجس لا أكثر.

١٥٣٩. ومنها: تنزيه الملائكة عن تتبع اللذات وسموهم، وكلما تخفف الآدمي من ذلك اقتربت روحه للسمو وكلما أسرف في تتبع اللذات سفلت به.

١٥٤٠. ومنها: أن المؤمن يتفرس أمر الأشخاص الذين يتعامل معهم قبل المعاملة حتى يصل لدرجة من الثقة.

---

(١)ينظر البحر المحيط (١٨٠/٦)، وأضواء البيان (١٨٦/٢)..

(٢) ينظر القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث (٤١٨/١).

١٥٤١. تفيد: أن من خصائص الملائكة أنهم يتشكلون في غير الصور التي خلقوا عليها كما تشكلوا هنا في صورة البشر ولذلك لم يعرفهم الخليل عليه السلام.

١٥٤٢. ومنها: أن (نكرت) تقال لما تراه بالعين، و(أنكرت) لما تراه بالقلب.

١٥٤٣. منها: أن الانكفاف عن قبول الإحسان من علامات الخوف والشك بالمحسن إليه الكاف عن القبول وعدم الاطمئنان له.

١٥٤٤. تفيد: عادة من عادات الْعَرَب أَن الْقَوْم إِذا أكلُوا من الطَّعَام أمنُوا مِنْهُم، وَإِذا لم يَأْكُلُوا استشعروا خوفًا، فَهَذَا معنى قَوْله: ﴿وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾، وأن المأكلة تجلب المؤانسة.

١٥٤٥. ومنها: الشغف بالضّيافة والحرص على راحة الأضّياف خصلة حميدة تأسيًّا بإبراهيم عليه السلام.

١٥٤٦. تهدي: إلى سنة ولطف وأدب التخفيف عن الخائف والوقوف إلى جانبه ﴿لَا تَحْزَنْ﴾ [التوبة: ٤٠].

١٥٤٧. تهدي إلى: أن مقامات النبوة العظيمة لا تنافي ولا تتعارض مع صفاتهم البشرية، وبناء عليه فليس عيبًا أن يخاف العالم، أو يحزن، أو يبكي مما يكون عليه ولو من أمور الدنيا، وقرائن الأحوال تحكي مقامات الأحكام.

١٥٤٨. فيها: أن الأنبياء بشر ويعتريهم ما يعتري البشر وفي هذا نهي عن الغلو فيهم وإعطائهم خصائص الألوهية.

١٥٤٩. ومنها: أن من باب الأدب إيضاح الضيف سبب زيارته، أو التلميح بذلك.

١٥٥٠. ومنها: أن من الحكمة إيجاز مالا ينفع السامع من التفاصيل تكريمًا وحفظًا لوقته.

١٥٥١. فيها: أن تنكب الفطر السليمة من توحيد الله، وما جاء به الرسل من الدين، وحب الفضائل، وبغض الرذائل إنما يؤدي إلى إهلاك الحرث والنسل وإحلال الدمار، والبوار كما لحق بقوم لوط.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ﴾ [هود: ٧١].

١٥٥٢. تفيد: أن المرأة الأصيلة عون لزوجها في الكرم ومكارم الأخلاق ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ﴾، فإن الكرماء يكونون في حالة استنفار وقيام أثناء وجود ضيف عندهم.

١٥٥٣. ومنها: أن من شيم النساء القيام على خدمة أضياف الأهل.

١٥٥٤. وفيها: أن الأصل عدم ذكر اسم المرأة، بل يكنى عنها، خاصة إذا كانت زوجة.

١٥٥٥. تفيد: أن الله عز وجل إذا أراد أمرًا هيأ له أسبابه؛ لقوله تعالى: ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ﴾ ففسر الضحك بالطمث، والحيض الذي يصيب النساء ليصبح رحمهن مؤهلا لحمل الأجنة.

١٥٥٦. تفيد: أن للمرأة دورا عظيما وشأنا كبيرا في التنفيس عما يمر به زوجها من ظروف وأحوال صعبة ومقلقة ومخيفة أحيانا؛ وبمقدرتها على إضافة نكهة جميلة وشيء رائع ولطيف للتخفيف من حدة ووطأة تلك الحالات؛ لقوله تعالى: ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ﴾ وأقوى شاهد على ذلك في سيرة نبينا محمد ﷺ؛ ما قامت به السيدة خديجة رضي الله عنها مع زوجها ﷺ في أول ما نزل عليه الوحي.

١٥٥٧. تفيد مع ما بعدها أن الله عز وجل إذا أراد أن يرزق عبده انقادت الأمور طوعا لصالح تحققه، وتذللت الصعاب لتبلغ نواله، وإن وهنت الأحوال والظروف، وضعفت الأسباب، لقوله تعالى: ﴿فَضَحِكَتۡ﴾ أي: حاضت، ثم قالت: ﴿قَالَتۡ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ﴾.

١٥٥٨. تفيد: مع ما بعدها أن العبد مهما تكالبت عليه الأحزان، وضاقت عليه الأحوال، وطال عليه الكرب، ينبغي أن يتسع صدره، وأن يجعل لمشاعر الفرح والضحك مكانا في حياته، وأن يتأثر في ذلك بالأحداث والوقائع التي تحصل من حوله، وأن لا يكون متقوقعا على نفسه، منغلقا على ذاته، مهموما بحاله لا يهمه شأن غيره.

١٥٥٩. فيها: أن الضحك بمعنى الحيض عند بعض المفسرين ونتفق معهم في ذلك، فالخوف والذعر الذي اصاب زوجة سيدنا إبراهيم عليه السلام حين رأت الملائكة وهم لا يأكلون، ومجيئهم للأخذ بقوم لوط، كان سببا في الضحك وهو نزول الحيض مما هيا الرحم لقبول المولود وهذا واضح عن كثير من النساء في عصرنا هذا حين تمر عليهن مواقف مرعبة أو مفرحة، وقد قال تعالى في سو ة الحج: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا﴾ [الحج: ٢].

١٥٦٠. تفيد: أن الجمع بين هذين المعنيين، أولى إذ لا تناقض بينهما أي: أن هذا الموقف الذي حصل أمام هذه الزوجة أحدث لها تأثيرين: الأول: الضحك المعروف. الثاني: الضحك بمعنى الحيض، للقاعدة في التفسير، أن المعنى إذا احتمل معنيين فأكثر لا منافاة بينهما ولا ترجيح، فإنه يحمل عليهما.

١٥٦١. وفيها: من سنن الله في خلقه أن الفرج يكون عقب الشدة يؤيده قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥-٦].

١٥٦٢. فيها: مشروعية البشارة بالخبر السار وخاصة لمن طال به الزمن.

١٥٦٣. وفيها: البشارة لها دون إبراهيم عليه السلام لأن المرأة أعجل فرحا بالولد.

١٥٦٤. تفيد: مع قوله تعالى: ﴿قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ [الحجر: ٥٣]، أن البشارة بالولد تكون تارة للوالدة وأخرى للوالد بحسب مقتضى الحكمة الإلهية.

١٥٦٥. فيها جواز نسبة أفعال الملائكة لله سبحانه وتعالى لأنه الذي أمر بها؛ لقوله: ﴿فَبَشَّرْنَاهَا﴾، وهذا يبين قول من قال إن القرب في قوله: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦]، وغيرها أنه قرب ملائكته كما بينه المحققون من أهل العلم كشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم.

١٥٦٦. فيها: أن الله اختار أسماء لبعض عباده.

١٥٦٧. فيها جواز إخبار الأبوين بنوع الجنين.

١٥٦٨. فيها أن ابن الابن ابن مهما نزل.

١٥٦٩. ومنها: استشعار عظمة وعطاء الله فإنه جل جلاله إذا أعطى أدهش فأعقب السرور سرورا، ولد من بعده ولد، بعدما انقطعت بهم السبل.

١٥٧٠. تفيد: أن المؤمن لا يقنط من رحمة الله، وإن طال عليه أمد البلاء؛ يؤيده قوله تعالى: ﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ [الحجر: ٥٤-٥٦].

١٥٧١. ومنها: ظاهر رحمة الله ولطفه بعباده مما يدعو العبد على سؤال الله مما يشاء حتى وإن كان في قوانين البشر غير ممكن.

١٥٧٢. تفيد: الآية أن الذبيح هو إسماعيل، يبين ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية حيث قال: وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الذَّبِيحَ لَيْسَ هُوَ إسْحَاقَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ فَكَيْفَ يَأْمُرُ بَعْدَ ذَلِكَ بِذَبْحِهِ ؟ وَالْبِشَارَةُ بِيَعْقُوب تَقْتَضِي أَنَّ إسْحَاقَ يَعِيشُ وَيُولَدُ لَهُ يَعْقُوبُ وَلَا خِلَافَ بَيْنَ النَّاسِ أَنَّ قِصَّةَ الذَّبِيحِ كَانَتْ قَبْلَ وِلَادَةِ يَعْقُوب بَلْ يَعْقُوبُ إنَّمَا وُلِدَ بَعْدَ مَوْتِ إبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقِصَّةُ الذَّبِيحِ كَانَتْ فِي حَيَاةِ إبْرَاهِيمَ بِلَا رَيْبٍ."[(١)]... الخ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ [هود: ٧٢].

١٥٧٣. تفيد: أن المرأة تنفر من الانجاب في الكبر ولو كانت في حاجة للإنجاب ﴿يَا وَيْلَتَىٰ﴾.

١٥٧٤. تفيد: أهمية التجاوز عن ما يحدث من المرأة في المواقف الصعبة من الأقوال والأفعال فهي لا تتحمل ما يتحمله الرجل، وقد بَيَّنَ اللَّهُ جَلَّ وعَلا في هَذِهِ السُّورَةِ الكَرِيمَةِ ما قالَتْهُ امْرَأَةُ إبْراهِيمَ لَمّا بُشِّرَتْ بِالوَلَدِ وهي عَجُوزٌ، ولَمْ يُبَيِّنْ هُنا ما فَعَلَتْ عِنْدَ ذَلِكَ، ولَكِنَّهُ بَيَّنَ ما فَعَلَتْ

(١) مجموع الفتاوى ٤/٣٣٥.

في ''الذّارِياتِ'' بِقَوْلِهِ: ﴿فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾[الذاريات: ٢٩]، وقَوْلُهُ: ﴿فِى صَرَّةٍ﴾ أيْ: ضَجَّةٍ وصَيْحَةٍ، وقَوْلُهُ: ﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾أيْ: لَطَمَتْهُ.

١٥٧٥. تفيد: أن المرأة قد تظهر حقيقة كبر سنها إذا تعلق الأمر بالإنجاب والولد لقولها: ﴿ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ﴾، وأما بخلاف ذلك فقد جرت العادة أن لا تظهر المرأة ذلك لأسباب يعرفها النساء.

١٥٧٦. تفيد: أن المرأة لا تحب أن تتحمل كامل المسؤولية في سبب عدم الإنجاب؛ بل تحب أن تشرك زوجها في هذه القضية – ولو بنسبة معينة– وبأسلوب ذكي ومهذب، لقولها: ﴿وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا﴾، ولم تقل (عجوزا)، ومعلوم أن البعل الذكر ليس له مدة زمنية ينقطع فيها عن الإنجاب، وخصوصا أن إبراهيم عليه السلام رزق قبل ذلك بإسماعيل من هاجر عليهما السلام.

١٥٧٧. فيها: إشارة إلى التعجيل بالزواج خصوصا للبنات حتى تنجب مبكرا ولا تشق عليها الولادة إذا كبرت، وفي هذا معالجة لمشاكل واقعية إذ تتعذر كثير من الفتيات اليوم عن الزواج بسبب الدراسة ونحوها إلى أن تكبر وتقل فرصها في الزواج والإنجاب.

١٥٧٨. تفيد: أنه ليس كل الأمور في الحياة تمضي على ما جرت به العادة والسنن، فلا تتعجب من تغيرها في بعض الأحيان، فإن الذي رتبها قادر على تغيرها.

١٥٧٩. ومنها: كون سارة عجوز وعاجزة لم يمنعها من حسن الوقوف في خدمة إبراهيم عليه السلام وأضيافه.

١٥٨٠. ومنها: أن تعجب زوج إبراهيم عليه السلام من باب العرف والعادة وانقطاع السبل والخوف.

١٥٨١. ومنها: أن النساء جُبلت على المبالغة والإسراف في المشاعر والعاطفة، لهذا خلد القرآن حال سارة ولم يصف حال ابراهيم عليه السلام رغم أن الولد فرحة كلاهما، وتفهمه عليه السلام هذا فلم يزجرها عن ردة فعلها.

١٥٨٢. وفيها: تقديم نفسها في التعجب علي أمر زوجها وذلك من باب تقديم ما حقه التقديم إذ أن في العادة والعرف تعرض المرأة لانقطاع الطمث وبلوغ سن اليأس مع استمرار فرص إنجاب الرجل حتى بلوغه عمرًا كبيرًا بالمقارنة مع المرأة.

١٥٨٣. وفيها: تقديم نفسها على زوجها لطغيان عاطفه الأمومة على الأبوة في أمر الذرية وهذا كذلك من باب تقديم ما حقه التقديم إذ أن حق الأم أجل وأعظم من حق الأب وشغفها بالذرية أبين وأوضح.

١٥٨٤. فيها أن المسئولية الكبرى تقع في التربية والرعاية على الأم، فحكمة الله البالغة في تحديد فترة الشباب للولادة والتربية، تعتبر مثل هذه الولادة بكل المقاييس من المعجزات، ولذلك استغربتها، وتعتبر هذه من المعجزات وما ذلك على الله بعزيز فالتربية تحتاج لقوة في الجسم والعقل، وتكون ذروتها في الشباب.

١٥٨٥. فيها: أنّ أمر الله وقدرته فوق الأسباب؛ فإذا أراد شيئًا أمضاه، وإن كان عجيبًا بمنظور البشر.

١٥٨٦. تفيد: جواز تسمية الكبير بالشيخ وهو نوع من التوقير.

١٥٨٧. تفيد: أدب المرأة في ذكر زوجها فلم تصفه بأنه عجوز وإنما قالت ﴿وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًا﴾ ووصفت نفسها بأنها عجوز.

١٥٨٨. وفيها: بيان قدرة الله الخارقة التي يعجز أن يتصورها العقل البشري.

١٥٨٩. وفيها: أنه لا حدود لإرادة الله وتدبيره وأمره وحكمه.

١٥٩٠. منها: أنه تتعطل كل مقاييس البشر إذا أراد الله لأمر أن يكون.

١٥٩١. تفيد: أن التعجب من اختراق ما جرت به العادة لا يخدش في الإيمان ولا يدل على الشك في قدرة الله، وإنما يحدث ذلك لما يقع في النفس من اندهاش.

١٥٩٢. تفيد سعة باب الرجاء وأن المؤمن لا ينبغي له أن يقنط من رحمة الله وسعة فضله وإن انقطعت الأسباب وضعفت المكونات.

قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ﴾ [هود: ٧٣].

١٥٩٣. فيها: خطاب الملائكة لغير الأنبياء، وقال عمران بن حصين رضي الله عنه: كان يسلم علي، يعني من الملائكة"(١).

١٥٩٤. تفيد: أن الذهول والنسيان كثيرًا ما يعتريان النساء، لقول الملائكة: ﴿أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰۚ﴾ البقرة: ٢٨٢، يتبين بذلك أن الزوجات ربما يكفرن العشير بسبب هذا الذهول والنسيان.

١٥٩٥. فيها: أن الله عز وجل له المحامد كلها لما له سبحانه وتعالى من عظيم النعم وواسع الإحسان وكريم اللطف وحميد الفعال.

١٥٩٦. فيها: ثناء ومدح وشرف لأهل بيت خليل الرحمن..

١٥٩٧. تفيد: أنه إذا عرف السبب بطل العجب؛ لقوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ﴾ ثم قال: ﴿رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ﴾.

١٥٩٨. تفيد: أن العبد قد يذهل في وقت من الأوقات عن بعض الأسباب التي يبطل عندها العجب، مع معرفته لها؛ لذا فإنه قد يصاب بالتعجب، ولكن ذكِّر تذكر؛ وهذه من فوائد الجلوس مع الصالحين، والاستماع لأهل العلم والقرب من الله تعالى؛ لقوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ﴾.

١٥٩٩. تفيد: أهمية تذكير الناسي، أو الذاهل لأمر من أمور دينه أو دنياه بالرفق وعدم التعنيف، أو التجريح، والحرص على استخدام وسائل التذكير والاستفهام.

---

(١) أخرجه مسلم ٢/٨٩٩.

١٦٠٠. وفيها: أخذ العلماء جواز الدعاء بالرحمة للنبي ﷺ.

١٦٠١. فيها: رحمة الله تعالى وعنايته بهذا البيت الكريم وهذه الأسرة الصالحة.

١٦٠٢. فيها: إثبات صفة الرحمة لله سبحانه وتعالى والرد على المعطلة والجهمية.

١٦٠٣. تفيد: أن إضافة الرحمة والبركات إلى رب الأرض والسماوات يدل على كثرتها وتنوعها وتتابعها على هذا البيت الكريم.

١٦٠٤. ومنها: أن الهبات المتأخرة لحكمة من الله تهطل على المتصبر محملة بالبركات والرحمات، فجمع أولاد إبراهيم عليهم السلام بين الكثرة والنبوة.

١٦٠٥. فيها: أن زوجة الرجل من أهل بيته؛ لأنها خوطبت بهذا"[(١)]. ذكره ابن عطية رحمه الله.

١٦٠٦. ومنها: استباق نعم الله بالتحميد والتمجيد له والشكر.

١٦٠٧. تفيد: أن الملائكة تمجد الله تعالى وتحمده في كل وقت وآن؛ لقولهم: ﴿حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ ويشهد له قولهم: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾.

١٦٠٨. الإشارة والكناية عن رضا الله عز وجل عن إبراهيم وأهل بيته في اختيار اسم الله الحميد ﴿إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾.

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ﴾ [هود: ٧٤ – ٧٥].

١٦٠٩. تفيد: أن من أدب الحوار والجدال وجود الأمن وذهاب الخوف والروع عن نفس المحاور، والمجادل، من غائلة الطرف الآخر، الذي يحاوره ويجادله؛ لقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾.

١٦١٠. تفيد: أن العبد تنشرح نفسيته ويتشجع ويتحمس للدفاع والجدال عن غيره في حال ذهاب الخوف وحصول الأمان؛ وتوطد العلاقة بينه وبين الطرف الآخر.

---

(١) تفسير ابن عطية ١٩١/٣.

١٦١١. منهـا: أن ممـا يعين على القيـام بحق الـدين، والحرص على الـدعوة والعبـاد الامتلاء بالسرور والطمأنينة الداخلية.

١٦١٢. فيها أن الرسـل والأنبياء بشـر يعتريهم ما يعتري البشـر من الروع والخوف ونحوها، وفي هذا نهي عن الغلو فيهم وإعطائهم خصائص الألوهية كما حصل من النصارى مع المسيح عليه السلام.

١٦١٣. تفيد الترغيب في بذل الجاه والشفاعة للخلق توصلًا للإحسان إليهم جلبًا للنفع ودفعًا للضـر عنهم ببيان أنها من أخلاق الكبار " وَقَدْ دَلَّ الْعَقْلُ وَالنَّقْلُ، وَالْفِطْرَةُ وَتَجَارِبُ الْأُمَمِ، عَلَى اخْتِلَافِ أَجْنَاسِـــهَا وَمِلَلِهَا وَنِحَلِهَا، عَلَى أَنَّ التَّقَرُّبَ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَطَلَبَ مَرْضَـــاتِهِ، وَالْبِرَّ وَالْإِحْسَـانَ إِلَى خَلْقِهِ، مِنْ أَعْظَمِ الْأَسْـبَابِ الْجَالِبَةِ لِكُلِّ خَيْرٍ، وَأَضْـدَادَهَا، مِنْ أَكْبَرِ الْأَسْـبَابِ الْجَالِبَةِ لِكُلِّ شَـــرٍّ، فَمَا اسْـــتُجْلِبَتْ نِعَمُ اللَّهِ، وَاسْـــتُدْفِعَتْ نِقْمَتُهُ، بِمِثْلِ طَاعَتِهِ وَالتَّقَرُّبِ إِلَيْهِ، وَالْإِحْسَانِ إِلَى خَلْقِهِ"(١).

١٦١٤. فيها حرص الأنبياء على نجاة الناس من العذاب ورحمتهم بهم مع ما قابلوهم به من التكذيب والإيذاء.

١٦١٥. تفيد: سعة صدر الملائكة، وبعدهم عن الفظاظة والغلظة في جدالهم وحوارهم مع أهل الإيمان والصلاح، حيث تقبلوا جدال إبراهيم عليه السلام لهم برحابة صدر، وسماحة نفس، بل وأثنوا على إبراهيم عليه السـلام على صـنيعه وجداله؛ لأن (الاختلاف في الرأي لا يفسـد للود للقضية)؛ لقوله تعالى: ﴿يُجَٰدِلُنَا فِي قَوۡمِ لُوطٍ﴾أي: يجادل رسلنا في قول لوط، ثم قالوا مثنين عليه: ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٞ﴾.

١٦١٦. فيها: حث على التخلق بأخلاق الخليل عليه السلام؛ ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٞ﴾.

(١) الجواب الكافي ٩/١.

١٦١٧. فيها: قوة اتصاف الخليل عليه السلام بهذه الخصال الجميلة دل على ذلك التأكيد في الآية الكريمة.

١٦١٨. فيها: أنها قد جمعت الحقوق: حق لنفســـه ولغيره ولربه: الحلم للنفس، والتأوه لحال الغير، والإنابة للرب.

١٦١٩. فيها: فضل الإنابة إلى الله عز وجل وأنها من أفضل العبادات؛ قال تعالى في صفة أهل الجنة المتقين: ﴿مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾ ق: ٣٣.

١٦٢٠. فيها: أن الأصـــل أن الســـياق يتحدث عما جرى من حديث بين رســـل الملائكة مع إبراهيم وزوجه، وليس هناك ما يدل صراحة من سياق الآية على أنه من كلام الله تعالى، ولكن هناك احتمال أن تكون جملة اعتراضـــية صـــادرة من الله تعالى، ولهذا قال الشـــوكاني مقدما الاحتمال الأقوى: (ثم أثنوا على إبراهيم، أو أثنى الله عليه..." [(١)]. وعلى كل فإن ثناء الملائكة على إبراهيم عليه السلام إنما هو مأخوذ من ثناء الله تعالى عليه؛ كما قال تعالى في سورة التوبة: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾ التوبة: ١١٤.

١٦٢١. فيها: محبة الله جل وعلا لمجادلة ابراهيم عليه الســـلام برغم اســـتحقاقهم للعذاب وهذا من أسـرار خلة الله لإبراهيم أنه متمثل بصـفات ربه من رحمة وحلم ورأفة بالخلق ومحبة هدايتهم، فيمدح هذا العبد الرحوم ويثني على فعله بإعجاب ومحبة.

١٦٢٢. تفيد: الرقة في العبارة القرآنية، حيث قال ﴿يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ﴾، ولم يقل: (يجادلنا عن قوم لوط)، وهل هناك فرق بين العبارتين؟، وقد قال تعالى في آية أخرى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ﴾ وقال أيضـــا: ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ﴾ النســـاء: ١٠٩، ولم يقل في هذه المواضـع: (في الذين يختانون) أو (جادلتم فيهم.... يجادل الله فيهم)، ولهذا قال العلماء في معنى

(١) فتح القدير للشوكاني: ٥١٢/٢.

مجادلة إبراهيم في قوم لوط هو كلامه وحديثه في شأنهم وأمرهم، ولا شك أن لوطًا عليه السلام داخل في الموضوع عندما يكون الحوار والحديث دائرًا في قومه.

١٦٢٣. تفيد: الترغيب في التأسي بإبراهيم عليه السلام في رحمة الخلق والتلطف بهم والصبر علي دعوتهم وعدم اليأس من توبتهم وإنابتهم إلي الله وهذه علامات الرجل الأمة.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَآۖ إِنَّهُۥ قَدۡ جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ وَإِنَّهُمۡ ءَاتِيهِمۡ عَذَابٌ غَيۡرُ مَرۡدُودٖ﴾ [هود: ٧٦].

١٦٢٤. فيها: من المناسبة: أنه لما كثر جدال إبراهيم شفقة على قومه، أخبر هنا أن الأمر محسوم بقوله حكاية على لسان الرسل.

١٦٢٥. تفيد: مناسبة لطيفة بين هذه السورة (هود) والتي بعدها (يوسف)، حيث جاء في كل منهما: ﴿أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَآ﴾، في هذه السورة ﴿يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَآۖ﴾، وفي سورة يوسف: ﴿يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَاۚ﴾ يوسف: ٢٩، وهي مناسبة لفظية اختصت بهما هاتان السورتان ولم تتكرر في غيرهما من سور القرآن الكريم، ولعل مما تشير وتلمح إليه هذه المناسبة؛ العلاقة التي بين إبراهيم ويوسف عليهما السلام؛ كما قال عليه الصلاة والسلام: عندما سئل من أكرم الناس؟: "فيوسف نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله" (١) ، ولعل بهذه المناسبة اللفظية تم ربط الآيات الواردة في هذه القصة بعضها ببعض عند قوله تعالى: ﴿فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ﴾ هود: ٧١، فمفهوم هذه المناسبة: أن من وراء يعقوب يوسف، لذا جاءت سورة يوسف عقب هذه السورة (هود)، وذكر فيها هذه العبارة (أعرض عن هذا) وهي نفس العبارة التي قيلت لجده إبراهيم عليه السلام في سياق البشارة التي جاءت بها ملائكة الرحمن.

١٦٢٦. فيها: عظم كفر وفسوق وفساد قوم لوط لأن الله عز وجل لم يقبل شفاعة إبراهيم عليه السلام وهو الخليل في تأخير العذاب عنهم.

---

(١) أخرجه البخاري ٤/١٥١.

١٦٢٧. وفيها: شفقة إبراهيم عليه السلام على قومه، وفي هذا درس تربوي للداعية بالصبر والحرص وحب الخير للآخرين.

١٦٢٨. منها: الرحمة والرأفة جبلة جُبل عليها أنبياء الله وصفة لهم يقتدى بها.

١٦٢٩. ومنها: رقة القلب من صفات المؤمن القريب من الله، والقسوة نتاج البعد عن الله.

١٦٣٠. ومنها: النهي عن الشفقة والرحمة تجاه من جاهر بالكفر، ويعضد هذا قصة أسارى بدر ورأي عمر رضي الله عنه..

١٦٣١. فيها: أن أمر الله إذا جاء لا يؤخر، ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين.

١٦٣٢. أفادت الجملة من الآية: ﴿أَمْرُ رَبِّكَ﴾التلطف بالخطاب مع الخليل عليه السلام ﴿رَبِّكَ﴾ الذي عودك على أفضاله والإحسان والعناية، ولكن سؤالك لهم لا ينبغي فقد تحتم الأمر.

١٦٣٣. ومنها: تنكير العذاب لتعظيم أمره وشدته.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ [هود:٧٧].

١٦٣٤. فيها من المناسبة أنه: لما انتهى إنباءهم ببشارة أوليائهم وهلاك أعدائهم وعلم بالضرورة أنهم لا ينزلون إلا للأمور الهائلة، أخذ هنا يقص أمرهم مع لوط عليه السلام بعدما كان مع إبراهيم عليه السلام.

١٦٣٥. فيها: تشريف الملائكة بإضافتهم إلى الله عز وجل ﴿رُسُلُنَا﴾.

١٦٣٦. فيها: سنة الاستدراج إذ جعل الله الملائكة في صورة رجال حسني الهيئة.

١٦٣٧. وفيها: ﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾كناية عن شدة الانقباض، الناتج من العجز عن مدافعة المكروه.

١٦٣٨. ومنها: ضيق ذرع لوط عليه السلام وخوفه على أضيافه لم يجعله يكرمهم كما أكرم إبراهيم أضيافه، فالحكم لا يكون مقصورًا على ما يظهر من الشخص فربما هو في واد آخر وأمر أهم.

١٦٣٩. تفيد: أن الملائكة الكرام تشكلت بصورة إنسانية حسنة مرئية للجميع؛ لذا ضاق لوط عليه السلام ذرعا وساءة مقدمهم إليه، وخاف عليهم من قومه.

١٦٤٠. فيها: من الاستدراج تشكل الملائكة الكرام بصورة إنسانية حسنة وظهورهم كزوار من أبناء السبيل الذين اعتاد قوم لوط على الاعتداء عليهم، وإدراك لوط –عليه السلام– أن قومه سيخزونه في ضيفه لما اعتاد منهم في حق أبناء السبيل، وقد يكون تشكلهم بصورة حسنة لإقامة الحجة على القوم، مما يشبه دخول جبريل على النبي ﷺ وأصحابه –رضي الله عنهم– بصورة رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه أحد، فتكون صورهم الحسنة لا تشابه صور أبناء السبيل فيما يلحق صورهم من وعثاء السفر وإرهاق السير مُطمعاً لقوم لوط في الإقبال على نيتهم السيئة.

١٦٤١. ومنها: أن إكرام الضيف النفسي مقدم على المادي.

١٦٤٢. وفيها: حكمة الله جارية فلم يعلم لوط أنهم ملائكة ضاقت نفسه بهم ومع ذلك خاف عليهم من قومه.

١٦٤٣. وفيها: الحرص على الضيف وإكرامه وعدم أذيته.

١٦٤٤. وفيها: لما علم لوط –عليه السلام– أنه سيدافع عن أضيافه من قومه قال: ﴿هَٰذَا يَوۡمٌ عَصِيبٞ﴾.

١٦٤٥. تفيد: أن العبد قد يمر في حياته بيوم أو أيام عصيبة مختلفة عن بقية الأيام؛ فعليه أن يستعد ويتجهز ويخطط لتلك الأيام بالأسباب المادية والمعنوية؛ لقوله تعالى: ﴿سِيٓءَ بِهِمۡ وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗا وَقَالَ هَٰذَا يَوۡمٌ عَصِيبٞ﴾ ثم قال: ﴿لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ﴾ [هود: ٨٠].

١٦٤٦. فيها: جواز وصف الدهر بالشدة ونحوه إذا لم يكن على سبيل السب والتذمر بدلالة قوله: ﴿هَٰذَا يَوۡمٌ عَصِيبٞ﴾.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَجَآءَهُۥ قَوۡمُهُۥ يُهۡرَعُونَ إِلَيۡهِ وَمِن قَبۡلُ كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ فِي ضَيۡفِيٓۖ أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ﴾ [هود: ٧٨].

١٦٤٧. فيها: إسناد الفعل لقومه من باب الأغلبية وقد يكون بعضهم ثم يأتي البعض الآخر، لقوله: ﴿وَجَآءَهُۥ قَوۡمُهُۥ يُهۡرَعُونَ إِلَيۡهِ﴾.

١٦٤٨. تفيد: ما كان عليه هؤلاء من تفشي الفواحش وانتكاس الفطر، يهرعون مع سرعة المشي مما بهم من طلب الفاحشة، كما ذكر الطبري رحمه الله، في حالة من عدم السواء النفسي والاخلاقي والخلقي، وها هي المثلية تشرع في زماننا اليوم بقانون وحماية حقوق وحرية شخصية.

١٦٤٩. فيها: بيان خلق الأولين المجرمين في المسارعة لاكتساب السيئات، واغتنام الفرص لتشويه ما هو حسن وجميل، والتعدي على الحرمات وبيوت الناس لتنفيذ الجرائم الأخلاقية في عقر بيوت المسلمين، كما أراد أولئك تنفيذ الجريمة في عقر بيت نبيهم واليوم تقوم وسائل التواصل مقام ذلك الهروع لاكتساب السيئات وتطبيعها داخل البيوت.

١٦٥٠. تُلخص ﴿يُهۡرَعُونَ﴾ تطور الوضع الذي وصل إليه قوم لوط في عدم حيائهم من فعل الفاحشة؛ بل مبادرتهم إليها والإسراع دونما تستر أو خجل.

١٦٥١. فيها، بيان أثر عموم الفاحشة وتشربها على المجتمع في طمس البصيرة وقلب الموازين.

١٦٥٢. تفيد: استيلاء الهوى والشيطان عليهم فصاروا يحرضون إلي الفاحشة تحريضًا.

١٦٥٣. تفيد أن القوم إذا أصبحوا يهرعون ويسرعون نحو الفواحش فقد قرب هلاكهم ودنى عذابهم.

١٦٥٤. تفيد: أن لا خير في أمة لا تستحي من الله ولا من الناس في فعل الفواحش والمنكرات.

١٦٥٥. تفيد: أن العقلاء أهل الرشد يهرعون نحو الحق وما يرضي الرب وأهل الباطل يهرعون ويسرعون نحو الشر وما يجلب غضب الرب.

١٦٥٦. تفيد: أن الفاحشة تجر أختها ﴿وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾.

١٦٥٧. تفيد: الأفعال المضارعة تأصل الفاحشة فيهم واستمرارهم وإصرارهم عليها، وكذا كلمة ﴿كَانُوا۟﴾تفيد نفس المعنى، مما يدل على أنهم استوجبوا الهلاك والدمار.

١٦٥٨. تفيد: تفشي المعاصي وكثرة السيئات في قوم لوط، ومن ذلك قال تعالى: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ﴾ العنكبوت: ٢٩.

١٦٥٩. وفيها: افتتاح الكلام بـ﴿يَٰقَوْمِ﴾ ترقيق لنفوسهم لأنه يعلم صلابتهم بماهم عليه.

١٦٦٠. وفيها: التعبير بـــ ﴿بَنَاتِى﴾فقد يقصد بناته الاثنتان وقد يقصد بنات قومه على عدد القوم الذين جاءوا.

١٦٦١. تفيد: فقه البديل وأن الداعية الحصيف إن نهي عن حرام عليه أن ينبه للحلال وأبوابه أوسع بحمد الله: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾.

١٦٦٢. فيها: أن كل نبي هو بمنزلة الوالد لقومه ولذلك قال لهم: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى﴾ ويؤيد ذلك قول النبي ﷺ: "إنما أنا لكم بمنزلة الوالد"(١).. رواه أبو داود.

١٦٦٣. فيها أن الزواج الشـــرعي طهارة وعفاف؛ لقوله: ﴿هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾بخلاف الفواحش فإنها خبث ونجاسة ودمار.

١٦٦٤. تفيد: بيان كثرة عدد بنات لوط عليه السلام، –سواء قلنا: بناته من صلبه أو بنات من اتبعه من قومه– حيث كان عددهن كافيا لأن يتزوج ويرتبط كل ذكر من قومه بإحداهن فتعفه وتمنعه من ارتكاب الفواحش.

---

(١) أخرجه أبو داود ١/١٥٣.

١٦٦٥. تفيد: الترغيب أن تشغل الأنفس والطاقات والأزمان بالطاعة وإلا اشتغلت بالمعصية.

١٦٦٦. تفيد: لفت الانتباه إلى ارتباط طهارة الظاهر بطهارة القلب (الباطن).

١٦٦٧. ينبغي على الداعية إلى الله أن يلتمس علو الهمة في دعوته كالأنبياء عليهم السلام ويقدم مصلحة مجتمعه على مصلحة نفسه؛ فلوط عليه السلام لم يمنعه فساد قومه من عرض بناته بالحلال عليهم لأنه يريد الطهر لمجتمعه وقومه فقدم مصلحة مجتمعه على مصلحة بناته ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ﴾.

١٦٦٨. تفيد: أن الدفع أولي وأيسر من الرفع وهذا من فقه الداعية ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ﴾.

١٦٦٩. تفيد: حسن التعليل وقوة الحجة " فاسم التفضيل مسلوب المفاضلة قصد به قوّة الطهارة ﴿هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ﴾ "[(١)].

١٦٧٠. تفيد: أن الزواج فيه العلاج الناجع لداء العشق ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ﴾.

١٦٧١. تفيد: أن من المروءة وكريم الخصال الغيرة على الأضياف والذب عنهم.

١٦٧٢. وفيها: التخويف بالله إذا وجد قلبًا سليمًا استجاب.

١٦٧٣. تفيد: بيان شجاعة لوط عليه السلام في التصدي لقومه المهرولين والمهروعين إلى الفاحشة والناوين للشر، حيث وقف وقفة رجل شجاع وجريء لا يخشى سطوتهم وأذيتهم.

١٦٧٤. وفيها: إهانة الضيف لا يفعلها إلا أهل السفه.

١٦٧٥. في الجملة من الآية: ﴿وَلَا تُخۡزُونِ فِي ضَيۡفِيٓۖ﴾ إكرام الضيف ليست تقاليد عرفية فقط، بل من أخلاق الأنبياء وسجاياهم.

---

(١) التحرير والتنوير ١٢/١٢٧

١٦٧٦. تهدي إلى: من أنواع العمى القلبي، عدم إبصار الطاهر من النجس، والحلال من الحرام، وعدم التمييز بالمراعاة للضيف الزائر من المقيم الذي قد يتحمل من وقائع الأحوال ويصون نفسه ويتحرز بما لا يدركه الضيف الزائر.

١٦٧٧. تفيد: مكانة الجهر بالحق ولا سيما عند صولة الباطل واستيلائه على الناس إعذارا إلى الله وإقامة للحجة.

١٦٧٨. وفيها: في قوله: ﴿أَلَيْسَ﴾استفهام انكاري توبيخي.

١٦٧٩. وفيها: في قوله: ﴿مِنكُمْ﴾إغراء لهم على التعقل فالرشيد منهم سيؤثر عليهم.

١٦٨٠. تهدي إلى: أن الرشد لا يلزم منه الإيمان والإسلام، بل مجرد العقل الواعي والإدراك لعواقب الاقتراف الذي يدعو للبعد عن جريمة الفحشاء هذه وأمثالها، وهو معنى الرشد الذي يشترك فيه عقلاء العالم.

١٦٨١. فيها: استنفاذ لوط عليه السلام جميع طرق النصح لقومه فبدأ بنداء الفطرة ثم بنداء الدين ثم بنداء المروءة ثم بنداء العقل.

١٦٨٢. تفيد: أن رجولة الرجل لا تعني القوة والجرأة في فعل الفواحش والوقوع فيها، فتلك تسمى ذكورة مثل البهائم والحيوانات، وإنما الرجولة هي المسارعة إلى سبيل الرشاد، وفعل الرشد، والاتصاف بمكارم الأخلاق وجميل الخصال؛ لقوله تعالى: ﴿وَجَاءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾.

١٦٨٣. تفيد: أن من علامات الرجل الرشيد أن يكون متقيا لله تعالى، متصفًا بالخلق الحسن مع الخلق؛ لقول لوط عليه السلام: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾. ويشهد

له قوله عليه الصلاة والسلام: "اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن"(١).

١٦٨٤. تفيد: إبراز أسلوب جميل من أساليب الحكمة وفنون التربية والتعليم وحسن الوعظ والنصح؛ وذلك من خلال التهييج والتشجيع على فعل الخير ومكارم الأخلاق من خلال السؤال والاستفهام؛ لقول لوط عليه السلام لقومه: ﴿أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾.

١٦٨٥. في: وضع هود عليه السلام في هذا الموقف – رغم قدرته تعالى على تجنيبه إياه – بالإضافة إلى كونه ابتلاء لشخصه عليه السلام، رسالة لكل داعية بأن طريق الدعوة غير مفروش بالورود ليستعد له، وفيه إقامة الحجة حتى آخر لحظة، وقد يكون فيه تخفيف على لوط عليه السلام بما سيحل في قومه قريباً فقد استحقوه بجدارة على سيء أفعالهم.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾ [هود: ٧٩].

١٦٨٦. تفيد: اجتماعهم على الفاحشة وحرصهم عليها لذلك ﴿قَالُوا﴾ بالجمع، وهذا من أسباب هلاكهم، ولما سئل النبي ﷺ: أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: "نعم إذا كثر الخبث"(٢).

١٦٨٧. يفيد قولهم: أنهم ليس لهم في بناته عليه السلام حق، ويرون لهم حقا مشروعا في إتيان الذكور فما أشبه الليلة بالبارحة، وقد تشبه بهم بعض متقلدي زماننا في المظاهرات المطالبة بحقوق المثليين؛ بل قد فاقوا قوم لوط بالزواج المثلي ووثقتها الدول بأوراقها الرسمية، اللهم لطفا.

١٦٨٨. فيها: أن كل نبي، أب لأمته.

١٦٨٩. تفيد: أنهم استبدلوا الذي هو أدنى وأشنع بالذي هو خير، حيث أعرضوا عن البنات المعروض لهم للتزوج ثم الاستمتاع إلى العمل الخبيث.

١٦٩٠. تفيد: أن المعصية تضعف الرغبة في الخير؛ إذ ضعفت رغبتهم في النساء، أو انعدمت بسبب عملهم الشنيع.

---

(١) رواه أحمد والترمذي وحسنه الألباني في المشكاة ١٤٠٩/٣.

(٢) أخرجه البخاري ١٣٨/٤، ومسلم ٢٢٠٧/٤.

١٦٩١. تفيد: إصرارهم على الفاحشة؛ دل على ذلك تأكيدهم الكلام بعدة مؤكدات.

١٦٩٢. يفيد: قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾ قمة في العار والدناءة وذهاب المروءة بالكلية.

١٦٩٣. فيها: أنهم جمعوا بين جرائم عدة؛ منها: الحكم ومنازعة الله الذي جعل للذكور الحق في الإناث، ولذا فإن الله قد أحل بهم وعدد لهم العقوبات لعدد هذه الجرائم ﴿جَزَآءً وِفَاقًا﴾ النبأ: ٢٦،؛ عاقبهم بالطمس، والقلب، والحجارة؛ قال الله: ﴿وَلَقَدْ رَوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾ القمر: ٣٧،، وقال تعالى: ﴿جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ﴾ هود: ٨٢.

١٦٩٤. فيها: أن الإثم مهما تكابر صاحبه يحاك في النفس؛ لذا عرَّضوا عن عملهم الخبيث بقولهم: ﴿وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾.

١٦٩٥. فيها دلالة على المثل المشهور: "رُبَّ إشارةٍ أبلغُ من عبارة"؛ لأن قولهم: ﴿وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾ إشارة بليغة وجيزة خبيثة تغني عن ألف عبارة.

١٦٩٦. فيها: أن لوطا كان عالما بخبثهم وقصدهم عند عرض بناته عليهم ﴿عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾ ولكنه لم ييأس رجاء رجوعهم إلى رشدهم كلهم أو بعضهم ﴿أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾.

١٦٩٧. تفيد: انتكاس فطرهم وأنه لا خير فيهم، فقد وصلوا إلى مرحلة التبجح بالمعصية والمجاهرة بها ومواجهة من ينهاهم عنها.

١٦٩٨. حب الفواحش والاستمرار عليها يُعدم الحياء من القلوب، ويُذهب ماء الوجوه.

قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ [هود: ٨٠].

١٦٩٩. فيه : استعمال ﴿لَوْ﴾ لتمني الخير.

١٧٠٠. فيها: أن من أعمال القلب الغيرة على الحرمات، وأدناها العزم على الفعل، فقال لوط ﴿لَوْ﴾.

١٧٠١. فيها: أن الاجتماع والتعاون والتناصر من أجل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب شرعي وهو ديدن المصلحين.

١٧٠٢. وفيها: أن المؤمن القوي خير وأحب الي الله؛ لأنه أجدر بتحقيق مراد الله عبادة وعمارة.

١٧٠٣. تفيد: مع ما قبلها أن كثرة البنات ليس مصدرا من مصادر القوة والحماية للإنسان، وأنه لا يمكن الارتكان والاعتماد عليهن للمواجهات الصعبة والدامية؛ لقوله في الآية السابقة: ﴿هَٰؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡ﴾ ثم قال ههنا: ﴿لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ﴾ ويشهد له قوله تعالى: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلۡحِلۡيَةِ وَهُوَ فِي ٱلۡخِصَامِ غَيۡرُ مُبِينٖ﴾ [الزخرف: ١٨].

١٧٠٤. ومنها: أن الأولاد الذكور فيهم من القوة التي تدخر، ويستعان بها ويتقوى بها الفرد عند عجزه وانقطاع سبله.

١٧٠٥. فيها: أن إقامة الحق وردع الباطل وأهله يحتاج إلى قوة.

١٧٠٦. ومنها: ضعف الإنسان بنفسه مهما بلغ من قوة، وحاجته لمن يعينه في طريقة لله فالمسلم ضعيف بنفسه قوي بإخوانه.

١٧٠٧. ومنها: قال لوط عليه السلام قوله قاصدًا التعذر أمام أضيافه بعد ما ضاق صدره وقلة حيلته وتوبيخ منه لعشيرته على فعلهم.

١٧٠٨. فيها: مشروعية الأخذ بالأسباب وأن هذا لا يتنافى مع التوكل علي الله عز وجل.

١٧٠٩. فيها: استنجاد لوط عليه السلام بالأعوان والعشيرة لا يعني عدم ثقته بنصر الله له، وإنما شحذ الهمم من قومه.

١٧١٠. وفيها: إكرام الضيف والذود عنه شريعة الأنبياء والأخيار في كل وقت.

١٧١١. وفيها: أنه قد يرى المؤمن منكرا لا يستطيع إزالته فيستنجد بغيره.

١٧١٢. وفيها: أنه لا عبرة بكثرة أو قلة الاتباع، وإنما العبرة بسلوك الطريق القويم.

١٧١٣. وفيها: المنكر الذي لا يستطيع المرء دفعه عليه الانكار باللسان والقلب، ومنه أثر ابن مسعود" وإن من بقي منكم سيرى منكرا، وبحسب امرئ يرى (٦) منكرا لا يستطيع أن يغيره، أن يعلم الله من قلبه أنه له كاره "[١].

---

(١)ذكر ابن جرير الطبري هذا مختصرا في تفسيره جامع البيان، والمشهور بتفسير الطبري في تفسير سورة الحديد، عند قوله تعالى: " أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ " سورة الحديد: من الآية ١٦، (٢٧ / ١٣٢)، وذكره ابن كثير

١٧١٤. تدل: على كمال إيمان الأنبياء والرسل، وقوة علاقتهم بالله سبحانه وتعالى؛ أخذًا من قول لوط عليه السلام: ﴿أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ﴾ ولما جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَى لُوطٍ، لَقَدْ كَانَ يَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ -يَعْنِي: اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ- فَمَا بَعَثَ اللَّهُ بَعْدَهُ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا فِي ثَرْوَةٍ مِنْ قَوْمِهِ"(١).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمۡۚ إِنَّ مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُۚ أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٖ﴾ [هود: ٨١].

١٧١٥. تفيد: أن الأنبياء لا يعلمون الغيب، ولا يملكون من أمرهم شيئا إلا ما أخبرهم الله به فكيف بغير من أدعياء الغيب اليوم.

١٧١٦. تفيد: ضرورة تنفيس المكروب وتفريج كربته بذكر قرب الفرج وزوال الكرب؛ لقول الملائكة للوط عليه السلام: ﴿إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَۖ﴾.

١٧١٧. فيها: تطمين للوط عليه السلام ﴿إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ﴾ فالمؤمنون أكثر الناس وجلا وخوفا من عذاب الله ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكۡرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩].

١٧١٨. وفيها: تعريف الملائكة بأنفسهم تطمينا له؛ لأنهم لا يأتون إلا بالحق.

١٧١٩. تفيد: أنه مهما عظم الكرب، أو طال البلاء على العبد المؤمن فإن الفرج قريب.

١٧٢٠. وفيها: إثبات الملائكة وأنهم أحياء ناطقون، منفصلون، عن الآدميين، يخاطبونهم ويرونهم في صورة الآدميين أحيانا.

١٧٢١. تفيد: تعظيم الملائكة لأنبياء الله تعالى ورسله، وأن ما تميزوا به من مميزات خاصة عن البشر، هي من أجل أداء المهمات الموكلة إليهم من رب العزة والجلالة؛ لقول الملائكة: ﴿لَن

بطوله مع اختلاف يسير في ألفاظه، عن ابن أبي حاتم بسنده عن ابن مسعود. انظر: تفسير ابن كثير (٦ / ٥٥٩، ٥٦٠)، طبعة دار الأندلس المحققة (١٣٨٥هـ) في تفسير الآية المشار إليها.

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ١/٢٢٦، وحسن إسناده شعيب الأرنؤوط، والألباني في السلسلة الصحيحة ٤/١٠٤.

يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ﴾ ولم يقولوا (لن يصلوا إلينا)، أي: مهمتنا هي حمايتك وليس حماية أنفسنا من قومك.

١٧٢٢. تفيد: بإشارة لطيفة إلى أنه ينبغي على العبد أن يدافع عمن يدافع عنه، وأن يحرص على سلامة من يحرص على سلامته وإنقاذه؛ لقول لوط عليه السلام لقومه: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ فِي ضَيۡفِيٓۖ﴾ وقوله: ﴿لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ﴾ ثم جازته الملائكة بقولهم: ﴿لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ﴾ ولم يقولوا مثلا : لا تدافع عننا فإنهم لا يصلون إلينا.

١٧٢٣. تفيد: أن العون الإلهي في حسم المعارك بين الحق والباطل، وحصول المعجزات وخوارق العادات، يتماشى مع الأسباب والسنن الكونية التي وضعها الله تعالى؛ لقول الملائكة للوط عليه السلام: ﴿فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمۡۚ إِنَّ مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُۚ أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٖ﴾ وكل ذلك تهيئة للظروف والأحوال المناسبة لإنزال العذاب.

١٧٢٤. تفيد: الجملة من الآية الكريمة: ﴿فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ﴾؛ لأن في النهار المعاش تتشتت الأفكار فيها مع ضوء الشمس وفي الليل تنتشر الارواح الخبيثة فجل تركيز المرء يكون في هدف معين يريد تحقيقه، وفي الالتفات يكون الإحباط برؤية المعذبين وفي هذا إحباط تحديد الصبح لوضوح الرؤية ولأهمية تحديد الزمن فكل آت قريب.

١٧٢٥. وفيها: النهي عن الالتفات لكي يجدوا في السير، وقد يقصد به عدم النظر.

١٧٢٦. وفيها: تقديم محبة الله وأمره على النفس والأهل.

١٧٢٧. تفيد: أن من يمضي في طريق الحق لا ينبغي له الالتفات لأهل الباطل وحديثهم.

١٧٢٨. تفيد: أن من أراد بلوغ الغاية والمقصد لا بد له من التركيز واستفراغ الوسع دون الالتفات وتشتيت العزم بالصوارف والشواغل.

١٧٢٩. منها: أن كثرة الالتفات يفتر الهمم ويشتت العزم.

١٧٣٠. فيها: تسلية لكل من ابتلي برؤية أقرب أهله على معصية قال تعالى لنبيه ﷺ في شأن عمه أبي طالب: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ﴾.

١٧٣١. فيها: أن أقرب الناس إلى المرء كالزوجة قد لا ينتفع به فهذه امرأة لوط زوجة نبي كريم ومع ذلك كانت من الهالكين واستثنيت من أهله، وفي هذا تسلية لبعض من يبتلى بذلك من

الدعاة والعلماء في عدم طاعتهم من زوجاتهم أو أبنائهم، وقد قال عكرمة رحمه الله تعالى: أزهد الناس في عالم أهله.

١٧٣٢. ومنها: شؤوم المعصية وعذابها يلحق بمن يرضاها ويدل عليها ولو لم يفعلها.

١٧٣٣. تفيد: أن قرب الصلة بالأنبياء لا تفيد شيئا مع الكفر بالله والتمرد عن عبوديته.

١٧٣٤. تفيد: أن هداية القلوب لا يملك إلا مالك القلوب.

١٧٣٥. منها: التعبير بصيغة الماضي تحقق للوقوع وتيقن ولو لم يقع.

١٧٣٦. تفيد: أن العذاب له أجل وموعد لا يتقدم ولا يتأخر.

١٧٣٧. وفيها: وعد الله سبحانه حق وهو أصدق القائلين.

١٧٣٨. وفيها: وقت الثواب والعقاب مقدر عنده سبحانه.

١٧٣٩. ومنها: درس تربوي وهو الحرص على توقيت الوقت وتحديده إعانة على الحث والإسراع ورسم واضح للتصورات.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٖ مَّنضُودٖ ٨٢ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَۖ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٖ﴾ [هود: ٨٢ – ٨٣].

١٧٤٠. فيها أن أمر الله عز وجل إذا جاء لا يؤخر، فيقع في وقته وزمنه، ومكانه المحدد، ﴿وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ قَدَرٗا مَّقۡدُورًا﴾ الأحزاب: [٣٨].

١٧٤١. تفيد: أن وجود الصالحين أمان من عذاب الله تعالى للفاسدين، فلما خرجوا جاء العذاب مباشرة عليها، من خلال فاء التعقيب ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا﴾، أي فلما خرج لوط منها جاء عذابنا.

١٧٤٢. تفيد: أن العذاب الذي يقع في الأرض كله بأمره، ولا يرفع ويدفع، إلا بأمره.

١٧٤٣. فيها: أخذه أليم شديد سبحانه.

١٧٤٤. وفيها: ناسب العذاب فعل القوم، لما قلب قوم لوط الوضع بإتيان الذكور دون الإناث كان الجزاء من جنس العمل فقلب عليهم القرى.

١٧٤٥. فيها: أن الله لا يظلم الناس شـــيئا فالجزاء من جنس العمل فما لحق بأولئك القوم من العذاب وجعل عاليها سافلها مقابل فطرتهم المنكوسة الهابطة التي انحدروا إليها إلى درك الحيوان بل هم أضل.

١٧٤٦. تفيد: هذه الجملة من الآية الكريمة: ﴿عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا﴾إهانة لهم وتهويل للأمر وتفظيع للخطب.

١٧٤٧. تفيد: بلاغة القرآن في حذف ما يعلم من الكلام حيث تَعودُ الضَّمائِرُ الثَّلاثَةُ المجْرُورَةُ بِالإضـــافَةِ وبِحَرْفِ (عَلى) عَلى القَرْيَةِ المفْهُومَةِ مِنَ السِّـــياقِ. والمعْنى أنَّ القَرْيَةَ انْقَلَبَتْ عَلَيْهِمِ انْقِلابَ خَسْـفٍ حَتّى صـارَ عالِيَ البُيُوتِ سـافِلًا، وفي جعل عاليها سـافلها بيان لهوانهم وشـدة انتقامه منهم.

١٧٤٨. تفيد: عظمة الله تعالى وشدة بطشه وهوان الخلق عند معصيته، وأن عذابه لا يستطيع أحد دفعه إذا حل بقوم ﴿جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا﴾.

١٧٤٩. تفيد: عظم خلق الملائكة الموكلون بالعذاب.

١٧٥٠. يفيد: ترتيب الكلام وتقديم عاليها على سافلها فهو أشق من قول سافلها عاليها وإن كان مستلزماً له فالموضع موضع إذلال وتحقير وإهانة.

١٧٥١. في خلو قصـــة لوط عليه الســـلام من دعوة التوحيد في هذا الموضـــع – رغم أهميته القصـــوى – دلالة نوعية على خطورة فاحشـــة قومه وقبحه، فالتوحيد دعوة جميع الرســـل عليه السلام، قال تعالى ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾.

١٧٥٢. لم تخل قصته من التوحيد كما في سورة الشعراء ﴿إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الشعراء: ١٦١]. وأول ما يتقى هو: الشـــرك؛ قال شـــيخ الإســـلام ابن تيمية رحمه الله تعالى عن قوم لوط: وكانوا كفارا من جهات: من جهة استحلال الفاحشة، ومن جهة الشرك، ومن جهة تكذيب الرسل ففعلوا هذا وهذا، لكن الشرك والتكذيب مشترك بينهم وبين غيرهم، والذي اختصوا به الفاحشة؛ فلهذا عوقبوا عقوبة تخصهم لم يعاقب غيرهم بمثلها"(١).

(١) تفسير آيات أشكلت ١/ ٣٩١.

١٧٥٣. في تركيز قصته عليه السلام على فاحشة قومه دلالة على أهمية التقويم السلوكي في دين الله عز وجل.

١٧٥٤. فيها: إرشاد إلى الاستفادة من جميع القصص القرآني؛ فقد يرتكز بعض تلك القصص على جوانب مهمة لا توجد في غيرها، كما هو الحال هنا.

١٧٥٥. في هذه الجملة من الآية الكريمة: ﴿وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٖ مَّنضُودٖ﴾ استدل بها على رجم الفاعل والمفعول به محصنا أم غير محصن.

١٧٥٦. ومنها: أن رجمهم كان كرجم الزناة وهو من عند الله بحجارة تقابل قسوة قلوبهم.

١٧٥٧. فيها: بلاغة القرآن ودقة تعبيره؛ فلما تقدم ذكر القرية هنا قال: ﴿وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا﴾ ولما تقدم ذكر القوم في سورة الأعراف قال: ﴿وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ﴾ [الأعراف: ٨٤].

١٧٥٨. تفيد تصوير دقه عذاب الله جل وعلا، وأن لا أحد باستطاعته الإفلات من عذابه ﴿وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٖ مَّنضُودٖ﴾.

١٧٥٩. تفيد: أن العذاب الذي يقع في الأرض يقع بدقة متناهيه ﴿مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَۖ﴾

١٧٦٠. وفيها: التعبير بقوله﴿عِندَ رَبِّكَۖ﴾ إشارة إلى إحسانه بالنبي ﷺ وأنه إنما أمره بالإنذار رحمة بالأمة التي هي خير الأمم ولا يهلكها كما أهلك القوم.

١٧٦١. وفيها: كل من سلك طريق القوم من ظلم وغيره فمصيره مصيرهم.

١٧٦٢. فيها: تهديد ووعيد للظالمين ومن حاد عن الطريق المستقيم واتبع غير سبيل المؤمنين.

١٧٦٣. تفيد: قرب عذاب الله تعالى من كل ظالم فلا أمان مع معصيته ﴿بِبَعِيدٖ﴾.

١٧٦٤. تفيد: أهمية أخذ العبر من مصارع الظالمين، وهي قريبة ترى؛ وذلك الضمير في ﴿وَمَا هِيَ﴾ يَصْلُحُ لِأَنْ يَعُودَ إلى ما عادَتْ إلَيْهِ الضَّمائِرُ المَجْرُورَةُ قَبْلَهُ وهي المَدِينَةُ، فَيَكُونُ المَعْنى وما تِلْكَ القَرْيَةُ بِبَعِيدٍ عَنِ المُشْرِكِينَ، أيِ العَرَبِ، فَمَن شاءَ فَلْيَذْهَبْ إلَيْها فَيَنْظُرُ مَصِيرَها، فالمُرادُ البُعْدُ المَكانِيُّ. ويَصْلُحُ لِأنْ يَعُودَ إلى الحِجارَةِ، أيْ وما تِلْكَ الحِجارَةُ بِبَعِيدٍ، أيْ أنَّ اللَّهَ قادِرٌ عَلى أنْ يَرْمِيَ المُشْرِكِينَ بِمِثْلِها.

١٧٦٥. تفيد: التنفير من الظلم والوعيد الشديد لأهله كافة ﴿وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٖ﴾ بِسَبَبِ ظُلْمِهِمْ مُسْتَحِقُّونَ لَها ومُلابَسُونَ بِها.

١٧٦٦. تدل: هذه القصة على صدق القرآن؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وهذه القصة مذكورة في التوراة وغيرها من كتب أهل الكتاب كما هي مذكورة في القرآن مع العلم بأن كلا من النبيين موسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام لم يأخذها عن الآخر وهذا مما يوجب العلم بصحتها قبل ثبوت نبوتهما فإن الاتفاق على مثل هذه الحكاية من غير تواطؤ يمتنع في العادة فإذا اتفق إخبار المخبرين بمثل هذه القصة الطويلة التي يمتنع في العادة اتفاق الاثنين فيها على الكذب من غير تواطؤ علم أنها حق فكان إخبار كل منهما بها دليلا على نبوته"(١).

قال تعالى: ﴿ ۞ وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ وَلَا تَنقُصُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَۖ إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيۡرٖ وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ مُّحِيطٖ ﴾ [هود: ٨٤].

١٧٦٧. فيها: من المناسبة أنه لما انتهى الحديث عن قصة لوط وما فيها من أحداث جسام اتبعها بقصة أخرى قريبة منها وهي قصة مدين.

١٧٦٨. فيها: أن في اقتران الشرك بالله واستعمال ما خلق للعدل (الميزان والمكيال) على غير وجهه تناسب لطيف وحكمة بالغة من لدن حكيم.

١٧٦٩. تفيد: أنه ينبغي تسخير وتوجيه الانتماء القبلي والمناطقي والقومي في إحقاق الحق وإبطال الباطل أمرًا بالمعروف ونهيًا عن المنكر.

١٧٧٠. فيها: أن لين الجانب وانتقاء الكلمات في مخاطبه المدعوين فيه ترقيقا لقلوبهم.

١٧٧١. فيها: التلطف بالمدعوين وترقيق قلوبهم بالخطاب اللطيف وتذكيرهم بالقرابة والقومية الواحدة؛ لقوله: ﴿يَٰقَوۡمِ﴾.

١٧٧٢. فيها الابتداء بالأمر بالتوحيد لأنه أصل لكل صلاح، وهو البداءة بالأهم، وبالأصول قبل الفروع.

١٧٧٣. تفيد: أن التوحيد هو الركن الركين والغاية من الخلق وإرسال الرسل.

١٧٧٤. وفيها: مهمة الأنبياء واحدة وهي الدعوة إلى التوحيد.

---

(١) الصفدية ١/١٩٣.

١٧٧٥. فيها: أهمية التوحيد وارتباطه بالعدل ففي الحديد﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥].

١٧٧٦. ومنها: أن الانحرافات العملية نتيجة مترتبة على الانحراف في العقيدة.

١٧٧٧. ومنها: أن العبد إذا خلص نفسه من ظلم نفسه بالشرك وظلم الناس بالتطفيف بحقوقهم سلم من عذاب الله.

١٧٧٨. تفيد: أهمية معالجة جوانب الانحراف الاجتماعي الظاهر في المجتمع الذي إذا عم كان سبب الدمار والهلاك.

١٧٧٩. تفيد: أن العدل هو أساس التعامل مع الناس كافة في كل شيء بما يحفظ لهم حقوقهم الحسيه والمعنوية.

١٧٨٠. فيها تناسب مع آية المطففين: قال تعالى: ﴿وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ﴾﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾ [المطففين: ١]، هناك تناغم عجيب بين آية سورة هود، وآيات صدر سورة المطففين، لأنهما يعالجان قضية خطيرة، ألا وهي تطفيف الكيل والتلاعب بالميزان، لكن الدرس المستوحى من سورة هود هو: تعجيل العذاب من الله للمطففين في الدُّنيا، مع ما ينتظرهم في الآخرة وهو الدرس المستوحى من سورة المطففين، ولذلك ورد في جزء عمّ كلمة ويل في بداية سورتين: المطففين، والهمزة: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾ [المطففين: ١]﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾ [الهمزة: ١]، وذلك لبيان خطورة الوقوع في أموال النَّاس وأعراضهم، فالسليم المعافى من لقي الله موحدًا خاليًا من حقوق النَّاس؛ لأن حقوقهم مبنية على المشاحة، وحقوق الله مبنية على العفو والمسامحة.

١٧٨١. وفيها: من الحكمة التدرج في تهيئة النفوس لقبول الحكم وهذا ما سلكه شعيب عليه السلام فقد كان التطفيف منتشرا عندهم.

١٧٨٢. تفيد: الآية أنه لابد أن يبني الإصلاح علي أساس عقدي متين فإصلاح المعاملات والأخلاق تبعًا للإصلاح العقدي قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ ۝١ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين: ١-٦].

١٧٨٣. فيها: أن المكيال والميزان معروف من قديم الزمان، وهذه فائدة تاريخية؛ لأن مدين من القرون الأولى.

١٧٨٤. فيها: البدء بالقول اللين في مخاطبة الجاهلين ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيۡرٖ﴾ شفقة الأنبياء والمرسلين والمصلحين على اقوامهم فليكن هذا شان كل داعية.

١٧٨٥. تفيد: ترغيب الدعاة والمصلحين بتذكير الناس بنعم الله وآلائه إلانة لقلوبهم فالقلوب مفطورة علي محبه من أحسن إليها "يقول ابن القيم: " فاجتهد أن تحبب الله إليهم بذكر آلائه وإنعامه وإحسانه وصفات كماله ونعوت جلاله، فإن القلوب مفطورة على محبته، فإذا تعلقت بحبه هان عليها ترك الذنوب والاستقلال منها والإصرار عليها"[(١)].

١٧٨٦. تفيد: الترغيب في التحدث بنعم الله وذكر آلائه فالله يحب أن يذكر والله يحب أن يشكر والذكر بريد الشكر.

١٧٨٧. فيها درس عظيم، وهو عدم إهمال الجوانب الإيجابية الموجودة في مدعويه، ولا ينظر فقط للجزء الفارغ من الكأس، بل عليه أن يدقق في الجزء الممتلئ منه، ويشيد فيه ويمدح ويثني، من أجل استمالة المدعوين لدعوته، فحاطب بن أبي بلتعة شهد بدرًا، والزانية تابت توبة، لو قسمت على أهل المدينة لوسعتهم.

١٧٨٨. تفيد: حسن تعليل النهي ﴿وَلَا تَنقُصُواْ﴾ وبيان عدم حاجتهم لظلم الناس بما أولاهم الله به من نعم ورغد في العيش﴿إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيۡرٖ﴾.

١٧٨٩. تفيد: بيان قبح فعلتهم وشناعتها وهذا مع ضعف الداعي، وقوة الوازع بما عندهم من نعم ونعيم وكامل غناهم عن ظلم الناس وغمطهم حقهم ويشهد لمثل هذا حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا يزكيهم، ولا ينظر إليهم، ولهم عذاب أليم: شيخ زان، وملك كذاب، وعائل مستكبر"[(٢)]..

١٧٩٠. تفيد: سرعة تحول وتبدل أحوال الأمم وأن النعم تحفظ بالطاعة والعدل وأعظم طاعة التوحيد وتزول بالمعاصي والظلم، وأعظم ظلم الشرك.

---

(١) كتاب الفوائد: ١٦٩.

(٢) صححه الألباني في الجامع الصغير وزيادته.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَٰقَوۡمِ أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ﴾ [هود: ٨٥].

١٧٩١. في قوله تعالى: ﴿وَيَٰقَوۡمِ﴾ تشويق وتحبب، وتمهيد وإثارة؛ لما سيقوله الداعية للمدعو، وهو أسلوب رائع في التأثير بقلوب مدعويه، يجعلهم يقبلون دعوته بكل انشراح صدر وسرور، وهذا الأسلوب أسلوب النَّبي الأعظم عليه الصَّلاة والسَّلام: "يا معاذ !! إنِّي لأحبك.. "(١)

١٧٩٢. تكرار ﴿أَوۡفُواْ﴾ و ﴿وَلَا تَبۡخَسُواْ﴾ تدل على أن أحد ذنوبهم ذنبهم (الإصرار).

١٧٩٣. منها: التشديد على أمر العدل في الميزان والتكرار يستلزم تعظيم الأمر وأهميته.

١٧٩٤. فيها فضل الإسلام وأنه جاء بالعدل في كل شيء.

١٧٩٥. ومنها: أن المعصية ورذائل الأخلاق إذا كانت متمكنة من صاحبها أحتاج لزيادة ومبالغة ومعاودة.

١٧٩٦. فيها: أن ما لا يدرك كله لا يترك كله (بمعنى إن لم يتحقق الإصلاح العقدي فلا نتحرك السعي والدعوة في جانب إصلاح المعاملات والأخلاق.

١٧٩٧. تفيد: أن الكفر والشرك لا يسقط حقوق العباد في جانب المعاملات والأخلاق فجاء التعبير ب ﴿وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ﴾ كل الناس..

١٧٩٨. فيها: أن الدين الرباني والرسالات السماوية تحمل منهج اصلاح المجتمعات وإن تباينت معتقدات أفرادها.

١٧٩٩. وفيها: أن لا إكراه في الدين بعد قيام الحجة بإرسال الرسل فمن شاء آمن ومن شاء كفر، أما حقوق العباد فتقوم على المشاحة فجاء تكرار اقامة العدل والنهي عن التعدي علي الناس وغمط حقوقهم.

١٨٠٠. فيها: أن حياة البشر مؤمنهم وكافرهم لا تنتظم في ظل غياب العدل وشيوع الفساد.

١٨٠١. تضمنت الآية: أهم عناصر الجودة فيما يتعلق بالمنتجات والتعاملات الاقتصادية وذلك فيما يتعلق بالدقة في المعايير للأشياء وخاصة في الحجم والوزن ﴿وَيَٰقَوۡمِ أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد وصححه الألباني ١/١٥٦.

﴿وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ﴾ استيفاء كل المتطلبات المتعلقة بجودة نوعية المنتجات ﴿وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ﴾ سلامة المنتجات من المفسدات كالملوثات وغيرها ﴿وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ﴾.

١٨٠٢. تفيد: هذه الجملة من الآية الكريمة: ﴿وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ﴾ عامة وشاملة، تشمل النَّاس عمومًا، وكذلك الأشياء كلها، وكذلك تشمل حقوق النَّاس المادية والمعنوية، ولذلك قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في الفتاوى معلقاً على هذه الآية: " فنهى أن يحمل المؤمنين بغضهم للكفّار على ألّا يعدلوا، فكيف إذا كان البغض لفاسق أو مبتدع أو متأوّل من أهل الإيمان؟ فهو أولى أن يجب عليه ألّا يحمله ذلك على ألّا يعدل على مؤمن، وإن كان ظالمًا له"[(١)]..

١٨٠٣. في: التعميم ﴿أَشۡيَآءَهُمۡ﴾ بعد التخصيص ﴿ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ﴾ فيه أن التطفيف في الكيل (الحياة الاقتصادية) يسري للحياة الاجتماعية.

١٨٠٤. وفيها: التأكيد على ضرورة مراعاة حقوق العباد.

١٨٠٥. وفيها: التأكيد على قضية العدل.

١٨٠٦. ومنها: بخس الحقوق في كل شيء جرم ويورث الفساد.

١٨٠٧. ومنها: الساعي في بخس الحقوق هو بالحقيقة ساع في فساد نفسه، عائد عليه بالضرر في أمره كله.

١٨٠٨. ومنها: بقدر الحرص على مصالح وحقوق العباد تكون عمارة الأرض وحسن الاستخلاف فيها.

١٨٠٩. فيها النهي عن الفساد في الأرض وأشارت الآية الكريمة إلى أحد أخطر أنواع الفساد وهي نقص المكيال والميزان.

قَالَ تَعَالَى: ﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ﴾ [هود: ٨٦].

---

(١) الإستقامة ١/٣٨.

١٨١٠. تفيد: الترغيب في التوازن بين تحصيل مصالح الدنيا والآخرة، وهذا لا يتأتي إلا بطاعته، وإتباع أمر رسـله عز وجل، مما يجمع خيري الدنيا والآخرة، وأنَّ ما يقترِفونَه متاعٌ زائِلٌ، وما يَدعوهم إليه حظٌّ باقٍ غيرُ زائلٍ، وبقاؤُه دُنيويٌّ وأخرويٌّ" (١).

١٨١١. فيها: الحث عن القناعة والرضى بما قسم الله للعبد والاكتفاء بالحلال عن الحرام

١٨١٢. تفيد: أن المال القليل الذي فيه بركة خير من الكثير الذي محقت بركته.

١٨١٣. فيها: نسبة الخير الي الله فهو مصدره والمتفضل به وحده والإضافة تفيد التشريف والتيمن"﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ﴾.

١٨١٤. تفيد: أن ما عند الله خير وأبقي لأهل الإيمان، كما قال تعالى: ﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الشوري: ٣٦].

١٨١٥. فيها: أن الإيمان يحث على اكتساب الحلال والبعد عن الحرام.

١٨١٦. تفيد: الترغيب في دعاء الله الإعانة على تحصيل الحلال والبعد عن الحرام والاستغناء عن ما في أيدي الناس.

١٨١٧. تفيد: أن في الاكتساب بالحرام ما ينافي الإيمان لقوله ﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾.

١٨١٨. تفيد: أن الإيمان ينمي القناعات ويضبط وينظم دافعية التملك وحب المال.

١٨١٩. تفيد: أن مهمة الرسل هي البلاغ والله هو الحفيظ والمحاسب والمجازي على الأعمال.

١٨٢٠. تفيد: أنه إذا كان نبي مرسل لا يغني عن قومه شيئًا إذا قدر الله عذابهم، فكيف بغيره؟ قَالَ تَعَالَى:﴿قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾ [هود: ٨٧].

١٨٢١. تفيد: أن المقر كالفاعل، أو القائل سواء بسواء فقد يكون القائل فرد واحد أو اثنين أو ثلاثة، لكنهم شركاء كلهم في هذا القول وهذا الموقف، ولذا أتاهم عذاب يوم الظلة، فأخذهم أخذة واحدة، فالخير يخص، والشر يعم، لقوله تعالى: ﴿قَالُواْ﴾.

---

(١)تفسير ابن عاشور ١٣٩/١٢.

١٨٢٢. وفيها: ذكر شعيب عليه السلام باسمه جفاء منهم وغلظة، فإن النداء يكون للمدح والتعظيم، والتحبب، والتعجب، والدهشة، والندبة، الاستغاثة، التحسر، التحقير، الزجر، الاغراء، التمني، التخصيص وهنا الغرض من أسلوب النداء من قوم شعيب له هو: التحقير والتنقص..

١٨٢٣. وفيها: لما كانت صلاته أخص أعماله المخالفة لما هم عليه صرحوا به ﴿أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ﴾ فالاستفهام يكون للتشويق، والإنكار، والنفي، والتمني، والتقرير، والتهكم والسخرية، التعجب، والمدح، والتعظيم، والاستبعاد، والأسى، والحسرة، والتسوية. وهنا غرض قوم شعيب من سؤالهم لشعيب الإنكار والنكارة من فعله وقوله.

١٨٢٤. منها: أن من مقاصد الصلاة أنها تنهى عن الفحشاء والمنكر.

١٨٢٥. ومنها: أن إقامة الصلاة مما يعين على القيام بحقوق الخلق.

١٨٢٦. فيها عناية الأنبياء بالصلاة وهي مما يعين على تحمل أعباء الدعوة والحياة، وقال تعالى عن نبيه ﷺ لما نهاه أبو جهل عن الصلاة عند الكعبة: ﴿أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يَنۡهَىٰ ٩ عَبۡدًا إِذَا صَلَّىٰٓ﴾ العلق: ٩-١٠، فالأنبياء كانوا يعتنون بالصلاة ويكثرون منها.

١٨٢٧. وفيها: يجب أن يكون الرسول والداعية قدوة في نفسه حسنة حتى تقبل دعوته.

١٨٢٨. فيها: أن ديدن أهل الباطل السخرية من الحق وأهله والصد عنه.

١٨٢٩. في هذه الجملة من الآية الكريمة: ﴿أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ﴾ العادات والتقاليد معبودات كثير من النَّاس، قديمًا وحديثًا، والعادة المتبعة إذا خالفت العقيدة والدين لا قيمة لها ولا وزن، وإن لم تخالف؛ فالعادة محكمة، وكذلك المال عديل الروح، الكل يتشبث به، وتركه لله، وإنفاقه في سبيل الله، يتفاوت فيه النَّاس، حسب قوة إيمانهم وعقيدتهم، فهذا أبو بكر رضي الله عنه جاء بكل ماله، وعمر رضي الله عنه أراد سباقه، فأتى بنصف ماله، وأمَّا عثمان رضي الله عنه، فقد ساهم مساهمة كبيرة في تجهيز جيش العسرة.

١٨٣٠. وفيها: كلمة حق أريد بها باطل ﴿لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾. وهذا القول الذي أخرجوه بصيغة التهكم، وأن الأمر بعكسه، ليس كما ظنوه، بل الأمر كما قالوه. إن صلاته تأمره أن ينهاهم، عما كان يعبد آباؤهم الضالون، وأن يفعلوا في أموالهم ما يشاءون، فإن الصلاة تنهى

عن الفحشاء والمنكر، وأي فحشاء ومنكر، أكبر من عبادة غير الله، ومن منع حقوق عباد الله، أو سرقتها بالمكاييل والموازين، وهو عليه الصلاة والسلام الحليم الرشيد.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨].

١٨٣١. وفيها: أن قوله ﴿يَٰقَوۡمِ﴾ فيها لطافه، وتشريف لهم بإضافتهم إليه.

١٨٣٢. . منها: رغم ما لقي عليه السلام من تسفيه له وتهكم يقابله بلطفه وشفقته وهو يناديهم ويتلطف إليهم بقوله: ﴿يَٰقَوۡمِ﴾ وهكذا يجب أن يكن ديدن الدعاة لله.

١٨٣٣. فيها حلم نبي الله شعيب عليه السلام على قومه حيث أعرض عن سخريتهم وهو ينسبهم إليه بألف العبارات، وأفضل الكلمات.

١٨٣٤. فيها: أن على الداعية أن يكون لطيفا في دعوته حليما على من يدعوهم صابرا على أذاهم حتى يكتب لدعوته القبول والنجاح.

١٨٣٥. في الجملة من الآية الكريمة: ﴿إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي﴾ فيها استدراج للمخاطب لبلوغ الغرض. وهذا غاية في البلاغة.

١٨٣٦. فيها: أن الأنبياء والمؤمنين على بينة من ربهم، بخلاف الكافرين فهم في حيرة وقلق واضطراب.

١٨٣٧. فيها: استعمال الحوار العلمي والعقلي في الدعوة إلى الله عز وجل، والجدال بالتي هي أحسن..

١٨٣٨. فيها: ضرورة التحقق من سلامة المنهج، وعمل الداعية مراجعات بين الفينة والأخرى، بحيث يتم عرض أقوالنا وأعمالنا وسلوكياتنا على الكتاب والسنة، فما كان على المنهج الصحيح تابعنا فيه السير، وما خالف وجانب الصواب تجنبناه، بداية الانحراف عدم تجلية الطريق والمسلك والمنهج، لقوله تعالى: ﴿إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي﴾.

١٨٣٩. وفيها: أنه لا مانع من تزكية النفس للقدوة.

١٨٤٠. ومنها: الدعوة لله تكن أولاً بالبينة والفهم الدقيق لما يدعوا له ثم العمل به ثم الدعوة له.

١٨٤١. ومنها: مطابقة الفعل للقول ديدن المصلح الحكيم لأن في إتباعه له تأييد أنه الأصلح والخير النافع الذي رضيه لنفسه.

١٨٤٢. ومنها: من كمال العقل عدم المخالفة لما ينطق لسان العاقل النهي عنه.

لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

١٨٤٣. وفيها: الحاجة ماسة للقدوة في الأقوال والفعال. وعليه أن يبدأ بنفسه.

١٨٤٤. فيها: حرص رسل الله عليهم الصلاة والسلام على أقوامهم والسعي في اصلاح أحوالهم وتقديم ما ينفعهم وتستقيم به حياتهم.

١٨٤٥. فيها: أن من قطاع طرق الوصول، الكبر والإعجاب والإدلال ونسيان منة الله ونسبة الجهد للنفس ﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ﴾..

١٨٤٦. فيها: أن التوفيق لفعل الخير إنما هو بيد الله عز وجل

١٨٤٧. وفيها: أن الأمور بيد الله ﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ﴾

١٨٤٨. وفيها: حسن الظن بالله والتوكل عليه هو البلسم الشافي الكافي.

١٨٤٩. فيها: كمال التبرؤ من الحول والقوة مع كمال الاعتراف بأن جلب الخير ودفع الشر كله بيد الله وحده عز وجل ﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ﴾.

١٨٥٠. تفيد: أَن الطَّاعَة لَا يُؤْتى بهَا العبد إِلَّا بِتَوْفِيق الله، والتوفيق من الله: هُوَ التسهيل والتيسير والمعونة.

١٨٥١. فيها: عظم أثر التوكل علي الله ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾.

١٨٥٢. ومنها: من أسرع الرجوع لله وأنزل النوائب به من غير التفات لغيره رفعه الله وكفاه ووقاه لا محالة.

١٨٥٣. ومنها: الإصلاح ﴿مَا ٱسْتَطَعْتُۚ﴾يجب أن يكن شعار كل داعية لله لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها..

١٨٥٤. تفيد: بذل الجهد واستفراغ الوسع وأن يري العبد ربه من نفسه خيرا ﴿مَا ٱسْتَطَعْتُۚ﴾.

١٨٥٥. فيها: حسن المعتقد في الله المورث لصدق النية وحسن الطوية والإخلاص ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ﴾.

١٨٥٦. فيها: اقتفاء آثار الرسل والاهتداء بهديهم وصولًا للصلاح والإصلاح.

١٨٥٧. وفيها: التوكل وسيلة والإنابة غاية، وهذان الأصلان يجمعان الدين كله.

١٨٥٨. فيها: أن الإنابة الي الله وهي لزوم القلب طاعة الله وهي بمعني القربة من الله وكلما زاد العبد تقربًا الي الله زاد الله تقربًا وعونا وتيسيرا وتوفيقًا للعبد.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثۡلُ مَآ أَصَابَ قَوۡمَ نُوحٍ أَوۡ قَوۡمَ هُودٍ أَوۡ قَوۡمَ صَٰلِحٖۚ وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ مِّنكُم بِبَعِيدٖ﴾ [هود: ٨٩].

١٨٥٩. فيها: من المناسبة أنه لما بين شعيب عليه السلام عذره وانتفت التهمة عنه، بين هنا أن الحق واضح وحذرهم من عقوبة العناد ونبههم للاتعاظ بما جرى للأمم السابقة لما عصوا رسله.

١٨٦٠. تفيد: تودد الداعية إلى قومه أملاً في إيمانهم ولو كانوا كافرين ﴿وَيَٰقَوۡمِ﴾.

١٨٦١. تفيد: رحمة الأنبياء وشفقتهم بأقوامهم وهكذا ينبغي أن يكون الداعية.

١٨٦٢. تفيد: أهمية التلطف في الدعوة والحرص على هداية الناس وإنقاذهم من الهلاك.

١٨٦٣. تفيد: أنه يجب عدم شخصنة الدعوة إلى الله، فلا بد من الفصل بين شؤون الدعوة والعلاقات الشخصية، فطلب شعيب عليه السلام من قومه التفريق بين الملفين، وعدم الخلط بينهما، حيث قال: ﴿وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ﴾، فليست القضية شخصية، بل ثوابت ومبادئ، تظهر فيها كمال عقول الأنبياء.

١٨٦٤. فيها: إشارة إلى سبب من أسباب كفر الكفار وهو بغض الداعي إلى الله عز وجل، وهو سبب يدل على الشقاء والخسة لأن بغضك للداعية لا يبرر لك ترك الحق الذي فيه نجاتك.

١٨٦٥. ومنها: حكمة شعيب عليه السلام في التدرج حتى وصل لإيضاح السبب الذي ربما يمنعهم من إتباعه وهو العناد وبين عواقبه.

١٨٦٦. وفيها: أن أسلوب القصص أسلوب قرآني يضفي على النفس الشيء الكثير وله آثاره.

١٨٦٧. فيها: التحذير بعذاب الله وسننه التي خلت في الكافرين والظالمين؛ ﴿قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾[آل عمران: ١٣٧].

١٨٦٨. تفيد: وجوب التبصر والاعتبار بمن سبق.

١٨٦٩. ومنها: يجب أن يكن أسلوب الوعظ بين الترهيب والترغيب.

١٨٧٠. وفيها: أن من مهام الرسل والدعاة التذكير والتبشير والنذارة.

١٨٧١. تفيد: أن الإمهال من سنن الله في عباده وعدم المعاجلة بالعقوبة وذلك بالتحذير قبل إيقاع العقوبة.

١٨٧٢. تفيد: عدم معاقبة المسيء قبل إنذاره عدة مرات لإظهار الحجة، وبيان المحجة، وانقطاع العذر.

١٨٧٣. فيها: تذكير المدعوين والمتربين بسنن الله في كونه من أجل الادكار والاعتبار فإن ذكر قصص الأنبياء للتأسي والاقتداء.

١٨٧٤. فيها: العاقل من يتعظ من الحوادث حوله ولا يكن هو محل الوعظ فالسعيد من وعظ بغير واستلهم العبر.

١٨٧٥. ومنها: أن من الأساليب الدعوية السياحة بالعقول بالتفكر بأحوال الأمم وعواقبها.

١٨٧٦. تفيد: أن الداعية يجب أن يحذر من جريرة المخالفة ويبالغ فيها حتى يشعر المدعوين كأنها واقعة بهم ﴿لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ﴾ ومثله في صفة خطبة النبي ﷺ "كأنه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم"(١).

١٨٧٧. تفيد: أن قوم لوط كانوا أقرب زمانا ومكانا إلى مدين، وفي هذا فوائد في معرفة التاريخ والجغرافيا فإن العاقل من أتعظم بما يحل بجيرانه.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ [هود: ٩٠].

١٨٧٨. يفيد عدم البداءة بالاستعطاف على عادته بقوله: يا قوم، إشارة إلى أنه لم يبق لي وقت آمن فيه وقوع العذاب حتى أشتغل فيه بالاستعطاف، فربما كان الأمر أعجل من ذلك فاطلبوا مغفرته"(٢).

---

(١) أخرجه مسلم ٢/٥٩٢.

(٢) نظم الدرر للبقاعي ٣/٥٦٩.

١٨٧٩. تفيد: مع ما قبلها مكانة شعيب عليه السلام، فهو حريص على قومه بين لهم أشد البيان، وورد أنه سمي: خطيب الأنبياء، "وهكذا نجد شعيبا – عليه السلام – وهو خطيب الأنبياء – يلون لقومه النصح، وينوع لهم المواعظ، ويطوف بهم في مجالات الترغيب والترهيب"[(١)].

١٨٨٠. فيها: أن من مهمات الداعية المتبع للأنبياء دعوة الناس للاستغفار والتوبة لكثرة المعاصي والذنوب.

١٨٨١. ومنها: أن كثرة الاستغفار وتجديد التوبة من أعظم أسباب محبة الله عز وجل واستمطار رحماته.

١٨٨٢. فيها: إثبات صفة الرحمة لله سبحانه وتعالى والرد على الأشاعرة والمعتزلة..

١٨٨٣. تفيد: أن الله يقبل التوبة عن عباده، ومن أتاه يمشي أتاه هرولة"[(٢)]. لأنه – تعالى – جمع بين صفة "الرحمة والود" بعد أن أمر بالاستغفار والتوبة.

١٨٨٤. يفيد: وصف الله بصفتي (رحيم ودود) الودود: المحب لعباده، فلا يرحم إلا محبٌ، وعلى الداعية أن يكون ودودًا لمن يدعوهم، رحيمًا بهم متلطفًا، فالله الودود يوصي نبيه الخاتم بقوله: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ﴾[آل عمران ١٥٩].

١٨٨٥. في ختمه سبحانه وتعالى الآية بسياج الرحمة والود حتى لا يقنط المسيء من رحمة الله الواسعة وقد قال الله تعالى: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر: ٥٣].

١٨٨٦. تفيد: الآية أهمية تعريف المعرضين صفات الله تعالى، ليعرفوه ويقدروا له قدره، ويقوموا بما يجب له حقا لو فهموها..

١٨٨٧. يفيد: ختم الآية باسمه سبحانه الودود: أنّ الله شديد المحبة لمن يتقرّب إليه بالتّوبة"[(٣)].

---

(١) الوسيط للطنطاوي ٢٦٣/٧.

(٢) أخرجه البخاري ١٢١/٩، ومسلم ٢٠٦١/٤.

(٣) التحرير والتنوير ١٢/ ١٤٨.

١٨٨٨. فيها: أنه حثهم على الاستغفار باستعطافهم بتذكيرهم بأنه ربهم، ﴿رَبَّكُمْ﴾ وبين كمال ثقته بربه بأنه يقبل التوبة ويعفو عن المسيء.

١٨٨٩. تفيد: أنه تعالى ودود يحب أولياءه فشرع لهم التوبة، ويحبه أولياء فيتوبون إليه، فتفيد المعنيين لاسمه تعالى الودود.

١٨٩٠. فيها: تكمن المعاني العميقة لرحمة الله سبحانه وتعالى في كلمة "ودود" وهذا ما أراده شعيب عليه الصلاة والسلام حينما ألقى بها على مسامع قومه المكابرين الظالمين، فهو بعد أن أمرهم بالاستغفار قولاً ثم بالتوبة عملاً، أخبرهم بأن الله سيقبل توبتهم إن صدقوا وأخلصوا بالرغم من عِظَم ذنبهم لأنه سبحانه رحيم ولأنه ودودٌ يتودّد إلى عباده التائبين إليه ويتحنن عليهم بما يزيل عن نفوسهم حرج الذنب العظيم الذي كانوا عليه، إن كلمة ﴿وَدُودٌ﴾ في هذه الآية هي زهرة البيان التي تحمل رحيق الطمأنينة والراحة والاستئناس بالله الودود المشفق على عباده التائبين المتحبّب إليهم المتحنّن عليهم، فإن كلمة ودود هنا قد أغلقت منافذ اليأس من رحمة الله، وحرج المذنب من ذنبه، وفتحت منافذ الاطمئنان والثقة بالله سبحانه، والله أعلم.

قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ [هود: ٩١].

١٨٩١. فيها: سوء أدب القوم مع نبيهم؛ فلم ينادونه بياء نبي الله – رسول الله".

١٨٩٢. تفيد: أن عدم إنكار القول إقرار له، فالله عز وجل نسب القول لجميعهم، وقد قاله بعضهم وأقرهم البقية.

١٨٩٣. تفيد: سوء أدب من المكذبين، فتأمل جمال ما كان يخاطبهم به، وقبح ما خاطبوه به، وتأمل أقرب مثال في أسلوبه في الآية السابقة وأسلوبهم هنا ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾.

١٨٩٤. مهما كانت بلاغتك، لا عبرة لها أمام الجهلة، فبرغم اللين، والتلطف، كان جوابهم: ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ﴾.

١٨٩٥. تفيد: أن أهل الباطل لا يرودن حقا، ولن يؤمنوا بحق، فإنهم لو أرادوا الحق وكانوا صادقين في عدم فقههم للذي يقول لطلبوا توضيح ولم يتعجلوا بالتهديد بالرجم ونحوه.

١٨٩٦. يجب على الداعية ألا ينثني عزمه أمام الرد الفظ الغليظ، فيجب المضي في دعوته وأن يبقى ثابتًا على منهجه وطريقته، فدعوة الإسلام لا تهزم بالأذى أبدًا، بل تزيدها قوة ومضاء وبقاء.

١٨٩٧. تفيد: أن عدم الفقه من طمس البصيرة ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦]، قد يكون الحلم والأناة في نظر الأشرار ضعفا.

١٨٩٨. تفيد: أنه قد يراك البعض ضعيفا، ولكن المهم الثقة بالله، والتحقق من نصره الذي هو مصدر القوة التي لا يفهمها الأعداء.

١٨٩٩. فيها: أنه ليس ضعفه بسبب قلة ماله وعصبته وقراباته، لأنَّ الله يختار الأنبياء ويصطفيهم من وسط أقوامهم وساداتهم، لذلك هم يقصدون بضعفه قلة الأتباع معه، ممن على دينه وطريقته ومنهجه، وهذه عليهم ليست لهم، وهو اعتراف منهم على إعراضهم عن الدين وتنكرهم لنبيهم، وبعدهم عن الحق، ﴿وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا﴾.

١٩٠٠. فيها: أنه من المهم أن يكون الداعي وسط أهله وعشيرته وعصبته، يتقوى بهم ويستعين بهم في إبلاغ دعوته، والنبي ﷺ دافع عنه عمه أبو طالب ولم يسلم ودافع عنه حمزة ولما يسلم واستجار بالمطعم وقد مات مشركا، كل ذلك في سبيل إبلاغ دعوته.

١٩٠١. تفيد: أنه لا بد للداعية من تكوين نواة صلبة حوله، هذه النَّواة هي المقصودة بقول النَّبي ﷺ في دعائه قبيل غزوة بدر: "اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي اللَّهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي اللَّهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبَدْ فِي الْأَرْضِ "(١) وهنا قالوا ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ﴾.

١٩٠٢. فيها: أن الرسل يشتركون في الافتقار للعون البشري ويركنون لربهم دون سواه، ولعل ذلك عبرة لمن يعول على سواه ويركن الى الخلق، قال تعالى: ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ [هود: ٨٠].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا ۖ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [هود: ٩٢].

---

(١) أخرجه مسلم ٣/١٣٨٣.

١٩٠٣. تفيد: أهمية الدعوة بالقول، وهي أهم وأعلى أنواع الدعوة وأكثرها تأثيراً وخلوداً، وهذا لا يقلل أهمية الدعوة بالفعل، لقوله: ﴿قَالَ﴾.

١٩٠٤. تفيد: أهمية نصرة التوحيد بالقول، وأن لا يفتر لسانه عن نصرته، فالله عز وجل خلدها لشعيب عليه السلام تقرأ إلى قيام الساعة.

١٩٠٥. تفيد: أن على المسلم أن يكون أعز ما في قلبه وأعلى وأرفع شيء هو الله تعالى، وألا يخاف في الله لومة لائم، ولا يقدم عليه شيء.

١٩٠٦. فيها: التودد لإيصال الحق وهذا مهم للداعية والآمر بالمعروف.

١٩٠٧. تفيد: أن على الداعية أن يشد في الخطاب إذا احتيج إلى الشدة، وتكون الشدة شدة حجج وبينات وإفحام لا شدة سوء في الألفاظ، فمع أنه بين لهم أنهم لا يقدرون الله حق قدرة وأنهم جهلاء وهددهم بأن الله محيط بأفعالهم، نظمها لهم في أجمل نظم، فبدأ بـ ﴿يَٰقَوۡمِ﴾ التي فيها من الخلق ما لا يخفى، ثم بين لهم جهلهم وعدم توقيرهم لجناب الله تعالى باستفهام إنكاري الذي مع شدته في الحجة فيه قمة الأدب مع المخاطب، ثم عمم بإحاطة الله لكل ما يعملونه ولم يخص بالسيء من أعمالهم مع أن المشرك لا عمل له حسن مقبول والشرك يحبطها كلها.

١٩٠٨. فيها: بيان تعظيمه لله مقابل ما استعظموه من الخلق.

١٩٠٩. وفيها: تقديم أمر الله وهذا أساس الفلاح والنجاح.

١٩١٠. وفيها: التذكير بإحاطة علم الله سبحانه وهذا فيه تحريك القلوب للحق.

١٩١١. فيها: تعظيم الأنبياء لله سبحانه وتعالى، ومعرفتهم بعظيم صفاته؛ ﴿إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ﴾.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَٰمِلٞۖ سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَمَنۡ هُوَ كَٰذِبٞۖ وَٱرۡتَقِبُوٓاْ إِنِّي مَعَكُمۡ رَقِيبٞ﴾ [هود: ٩٣].

١٩١٢. فيها: من المناسبة أنه لما يئس عليه السلام من اعتراضاتهم الكثيرة، قال هنا ﴿وَيَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَٰمِلٞۖ﴾ فما على الرسل والدعاة فعل الأسباب والنتائج بيد الله وحده.

١٩١٣. تفيد: أن الباطل ومحاربته لا ينبغي أن يشغلنا عن العمل الصالح والاجتهاد في العبادة؛ لقوله: ﴿إِنِّي عَٰمِلٌ﴾ واسم الفاعل يفيد الثبات على ذلك.

١٩١٤. فيها: رد على المرجئة.

١٩١٥. منها: التأدب في الحديث سمة الصالحين مهما شاقه من أمامه ما زال يتأدب عليه السلام بندائه إياهم ﴿وَيَٰقَوْمِ﴾ وهم كفار فالتأدب من غيرهم أولى.

١٩١٦. ومنها: الترهيب يأتي مؤخرا، فيبدأ الداعية لله باللين ثم الترغيب فإن لم يجدي نفع انتقل للشدة والترهيب.

١٩١٧. تفيد: أن على الداعية استعمال شتى أساليب الدعوة، فهذا آخر الأنواع التي استعملها، وهو أن يريهم أن الله غني عن عبادتهم وأن عملهم لا يضر أحد إلا هم وأنهم إن استمروا على ما هم فيه فسيأتيهم عذاب من عند الله تعالى..

١٩١٨. فيها: أن التهديد من الأساليب الدعوية التي انتهجها الأنبياء، وهو أسلوب مؤثر فعلى الدعاة أن يستفيدوا منه..

١٩١٩. فيها: بلاغة النذارة، فكأنه يحثهم على الاستمرار فيما هم فيه وبقاءه على ما هو عليه للدلالة على خطورة منهجهم وفراغ صبره من إعراضهم، وهذا أسلوب بليغ في لفت انظار المرسل إليهم لعلهم يرجعون.

١٩٢٠. فيها: الحث على العمل كل يعمل لإنقاذ نفسه من العذاب والجميع سوف يري نتيجة ذلك.

١٩٢١. تبين: أن العذاب درجات وأسوء العذاب هو العذاب الذي يخزى فيه العبد؛ لذلك هددهم به.

١٩٢٢. تفيد: أن على المؤمن أن يرقب جزاء ربه، ولا ينقص ارتقاب الجزاء من الإخلاص، فهذا أحد الأنبياء عليهم السلام وهو من أخلص خلق الله تعالى ومع ذلك أقر بأنه يرتقب ثواب الله تعالى، وهكذا ينبغي أن يكون المسلم.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾ [هود: ٩٤].

١٩٢٣. فيها من المناسبة: أنهم عندما صموا آذانهم عن دعوة شعيب التي أراد منها نجاتهم أبدلهم الله بصيحة عذاب يسمعونها رغما عنهم وفيها هلاكهم. وفي ذلك دلالة على أن العقاب والثواب من جنس الفعل.

١٩٢٤. فيها: من المناسبة أيضا أنه تصديق الله لأنبيائه، وأنهم لا ينبئون إلا بوحي من الله.

١٩٢٥. تفيد تعظيم الرب جل وعلا وبيان كبريائه وجلاله وعظمته؛ لقوله: ﴿أَمْرُنَا﴾، ﴿نَجَّيْنَا﴾ ﴿مِّنَّا﴾ كلها بصيغة الجمع التي تدل على التعظيم والإجلال.

١٩٢٦. فيها: تقدم نجاة شعيب على عذاب قومه.

١٩٢٧. منها: البداية بنجاة شعيب عليه السلام ومن معه فيه زيادة تسلية للرسول ﷺ ومن معه وتثبيت لهم.

١٩٢٨. فيها: أن سنة الله جارية في نصرة أنبيائه وأوليائه.

١٩٢٩. ومنها: نفع الصحبة الصالحة في الدنيا قبل الأخرة، لقوله: ﴿ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ﴾.

١٩٣٠. وفيها: أن الإيمان هو السبب الرئيس في النجاة.

١٩٣١. ومنها: كل خير وفضل يصل للعبد هو بمحض رحمة الله وفضله.

١٩٣٢. فيها إثبات صفة الرحمة لله سبحانه وتعالى والرد على المعطلة..

١٩٣٣. تشير: إلى فضل الله على العبد؛ مهما قدم للدين؛ لقوله: ﴿بِرَحْمَةٍ مِّنَّا﴾ ولم يقل بسبب كذا وكذا من أعمالهم. وكما قال ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[النور: ٢١].

١٩٣٤. تفيد: أن من نجى من شر، فعليه أن يرد الفضل إلى الله. وكما قال: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾[الأنعام: ٦٤].

١٩٣٥. فيها التحذير من الظلم -وأعظمه الشرك- وبيان أنه سبب العذاب في الدنيا والآخرة؛ لقوله: ﴿وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ﴾.

١٩٣٦. وفيها: ذكر هنا الصيحة وفي الأعراف الرجفة وفي الشعراء عذاب يوم الظلة حسب مناسبة السياق وهذا من أسرار القرآن الدقيقة فتأمل.

١٩٣٧. ومنها: الصباح وقت ينتظر به الخير ومدعاة للسرور فلم يقوموا بحق هذه النعمة فقلب الله هذا الصباح وبال عليهم ﴿فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَـٰرِهِمْ جَـٰثِمِينَ﴾.

١٩٣٨. تفيد: أن الدور والقصور، لا تمنع من عذاب الله. وكما قال: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾[النساء: ٧٨]، أي: حيثما تكونوا يلحقكم الموت إذا حضر أجلكم، ولو كنتم في قصور منيعة بعيدة عن ساحة القتال.

قَالَ تَعَالَى: ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾ [هود: ٩٥].

١٩٣٩. تفيد: أن سنة الله تعالى لا تتبدل ولا تتغير، فالهلاك لمن كفر، والنجاة لمن آمن وصبر.

١٩٤٠. تفيد: أن الله قد يغير من حال إلى حال، حتى وإن استبعد الإنسان ذلك.

١٩٤١. تفيد: الترهيب بهلاك الأمم، وما جرى عليهم، وأنه ينبغي أن تذكر القصص التي فيها إيقاع العقوبات بالمجرمين في سياق الوعظ والزجر، كما أنه ينبغي ذكر ما أكرم الله به أهل التقوى عند الترغيب والحث على التقوى"[(١)].

١٩٤٢. تفيد: تشبيه البعد الذي هو انقراض مدين بانقراض ثمود، ووجه الشبه التّماثل في سبب عقابهم بالاستئصال، وهو عذاب الصيحة، ويجوز أن يكون المقصود من التّشبيه الاستطراد بذمّ ثمود لأنهم كانوا أشدّ جرأة في مناواة رسل الله، فلمّا تهيأ المقام لاختتام الكلام في قصص الأمم البائدة ناسب أن يعاد ذكر أشدّها كفراً وعناداً فَشُبّهَ هلاك مدين بهلاكهم"[(٢)]..

١٩٤٣. منها: أن سرقة وقهر وبخس حقوق العباد مدعاة لسخط الله وتعجيل لعقوبته في الدنيا قبل الأخرة.

١٩٤٤. ومنها: كل غني هو بين يد الله فقير وكل قوي مهما بلغت قوته تحت قهر الله ذليل، فالعزيز من لاذ بالله وسعى في رضاه

١٩٤٥. تفيد: أنه مهما طال عمر الإنسان فإنه لحظه، عند نزول الاهوال، ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾ [النازعات: ٤٦].

---

(١)ينظر: تفسير السعدي١/ ٣٨٨.

(٢)ينظر: التحرير والتنوير ١٢/ ١٥٤.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ۝٩٦ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴾ [هود: ٩٦ - ٩٧].

١٩٤٦. فيها تأكيد الخبر بثلاث مؤكدات، اللام، وقد، والقسم المقدر لقوله: ﴿وَلَقَدْ﴾

١٩٤٧. تفيد: عناية الله بخلقه وذلك بإرسال الرسل ومنهم موسي عليه السلام.

١٩٤٨. إثبات رسالة موسى عليه السلام وأنه رسول من رب العالمين، فيجب الإيمان به.

١٩٤٩. فيها: أنه ينبغي على كل داعٍ إلى حق أن يؤيد دعوته بالحجج والبراهين الدالة على صدق دعوته، لاسيما عند من ينكر تلك الدعوة.

١٩٥٠. تفيد: أن غلبة وسلطان الرسل بما أتوه من الحجة والبيان أجل وأعظم من السيف والسنان.

١٩٥١. فيها: الأدلة هنا حسية كالعصا وغيره.

١٩٥٢. منها: أهمية تسليح الداعية نفسه بالحجج والبراهين القاطعة.

١٩٥٣. فيها: تأييد الرسل بالآيات الساطعات والحجج البينات..

١٩٥٤. تفيد: أن للحجج تأثيرها البالغ على النفوس ولذلك سماها سلطانا..

١٩٥٥. في جمع الآيات وإضافتها إلى الله عز وجل يفيد كثرتها وعظمها وتنوعها وفضلها..

١٩٥٦. أفاد: إظهار اسم فرعون في المرّة الثانية دون الضمير والمرة الثالثة للتّشهير به، والإعلان بذمّه وهو انتفاء الرشد عن أمره"(١)

١٩٥٧. وفيها: أن منهج فرعون منهج غي وضلال.

١٩٥٨. تفيد: توجيه الدعاة للعناية بالمؤثرين من أهل الباطل لأن الناس تبع لهم إقداما وإحجامًا ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ﴾.

١٩٥٩. تفيد: معني "أن لكل قطر عاده ولكل قوم ساده وعادات السادات سادات العادات "رحله العياشي للمدينة ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ﴾.

---

(١) التحرير والتنوير ١٢/ ١٥٥.

١٩٦٠. في هذه الجملة من الآية الكريمة: ﴿فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ فِرۡعَوۡنَۖ﴾ الفاء فيها المسارعة لأمره من غير تفكير وتأمل وكأن عقولهم غائبة فأجهل الجهل تهميش دور العقل وتغليب جانب الخوف في اتخاذ القرارات.

١٩٦١. وفيها: أن الجهل والضلال والكفر والعناد من أعظم أسباب الهلاك، وكلها في فرعون ومن معه.

١٩٦٢. تفيد: تجهيل متبعي فرعون الذين شايعوه على أمره، على ضلاله المبين بالرغم من معاينتهم الآيات والسلطان المبين في أمر موسى عليه السلام" [(١)].

١٩٦٣. أفادت: العدول عن وصف أمره بالسّفه إلى نفي الرشد عنه تجهيلاً للذين اتبعوا أمرَه لأنّ شأن العقلاء أن يَتطلبوا الاقتداء بما فيه صلاح وأنهم اتبعوا ما ليس فيه أمارة على سداده واستحقاقه لأن يتّبع فماذا غرّهم باتباعه! [(٢)].

١٩٦٤. وفي هذه الجملة من الآية الكريمة: ﴿وَمَآ أَمۡرُ فِرۡعَوۡنَ بِرَشِيدٖ﴾ كناية على أن تركه وإتباع أمر موسى عليه السلام هو الرشد والفلاح في الدنيا والأخرة.

١٩٦٥. فيها التحذير من كل ما ينسب إلى فرعون من أعمال وأحوال لأن أمره ليس برشيد.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَقۡدُمُ قَوۡمَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَأَوۡرَدَهُمُ ٱلنَّارَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡوِرۡدُ ٱلۡمَوۡرُودُ﴾ [هود: ٩٨].

١٩٦٦. تفيد: أن الجزاء من جنس العمل فمن كان يتقدم غيره في الكفر والمعاصي فهو أجدرهم بولوج النار أولاً والعياذ بالله.

١٩٦٧. منها: عظم أمر من تجرأ على دعوة الفساد في الدنيا قدمه الله في العذاب، والجزاء من جنس العمل.

١٩٦٨. ومنها: ذم الاتباع بلا عقل اتبعوا أمر فرعون في الدنيا بلا عقل ترتب عليه اتباعهم في الاخرة وكأنهم قطيع يقودها راعيها للضياع.

١٩٦٩. تشير إلى: أن المجرمين يتفاوتون، وأن منهم المقدم على غيره في الجرم والعذاب، وكما قال: ﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمۡ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ عِتِيّٗا﴾ مريم: ٦٩.

---

(١) تفسير البحر المحيط ٦/٢٠٥.

(٢) التحرير والتنوير ١٢/١٥٦.

١٩٧٠. تشير إلى: عدم طاعة الكبراء في معصية الله، وأن ذلك يوجب العذاب. وكما قال: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ﴿٦٧﴾ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾الأحزاب: ٦٦-٦٨.

١٩٧١. وفي هذه الجملة من الآية الكريمة ﴿فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾ الورد إنما يورد لتسكين العطش وتبريد الأكباد وفي النار تقطع الأكباد استعارة تهكمية وكأنهم شربوا من حياض العذاب شربًا زاد إشعالهم.

١٩٧٢. وفيها: ﴿فَأَوْرَدَهُمُ﴾ فيه تهكم، فالورود للسقي، وهنا للنار والعياذ بالله. مثل قوله﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ آل عمران: ٢١.

١٩٧٣. تفيد هذه الجملة من الآية وأنها بلفظ الماضي: ﴿فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾ لتدل على غاية المبالغة وتحتم وقوعه فلا سبيل لدفعه.

١٩٧٤. فيها: إثبات كفر فرعون وأنه من أهل النار، والرد على من زعم إيمان فرعون كابن عربي..

١٩٧٥. فيها: التخويف من النار والتحذير من دار البوار.

١٩٧٦. فيها: البلاغة القرآنية في قوله تعالى ﴿وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ﴾ فهي تشير حسب الوجوه الإعرابية: مرة إلى الموضع: أي بئس الورد الذي يردونه النار، ومرة للواردين: أي بئس القوم المورود بهم هم، فيتساند الوجهان لرسم صورة نهائية مصبوغة بالبؤس الذي يدمغ الواردين والمكان الذي يردونه، فتوحي بأنه حتى التفكير بشيء غيره محال.

قَالَ تَعَالَى:﴿وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ﴾ [هود: ٩٩ – ١٠٠].

١٩٧٧. تفيد: مع ما قبلها أن الجزاء من جنس العمل؛ فكما اتبع القوم أمر فرعون وداوموا على اتباعه اتبعتهم اللعنة ودامت عليهم في الدنيا والآخرة.

١٩٧٨. وفيها: آثار الأمم السابقة دليل على قوة بطش الله عز وجل.

١٩٧٩. فيها: خطر الكفر والذنوب والمعاصي وأنها سبب في تتابع اللعنات في الدنيا والآخرة ﴿أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾.

١٩٨٠. فيها: شرف هذه القصص وعلو قدرها لما فيها من العظة والاعتبار ولذلك أشار إليها بإشارة البعيد ﴿ذَٰلِكَ﴾.

١٩٨١. وفيها: عبر في المضارع ب﴿نَقُصُّهُۥ﴾ لاستحضار بلاغة القصص.

١٩٨٢. وفيها: إخبار النبي ﷺ بأنباء ما سبق دليل على صدق رسالته.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ۖ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ﴾ [هود: ١٠١].

١٩٨٣. فيها: تنزيه الله نفسه عن الظلم وبيان وجه الظلم الحقيقي الذي يقع بظلم العبد نفسه بكثرة ذنوبه فنفي الظلم عن الله سبحانه وتعالى يتضمن كمال عدله عز وجل..

١٩٨٤. تفيد: النهي عن ظلم النفس بالشرك والمعاصي.

١٩٨٥. تفيد: كمال عدله تعالى بما حل على الأمم من عذاب ودمار بسبب ذنوبهم ومعاصيهم.

١٩٨٦. فيها أن دعاء غير الله شرك أكبر؛ لأن الله عز وجل سماها آلهة لهم لما توجهوا لها بالدعاء.

١٩٨٧. تفيد: عجز وضعف الآلهة التي عبدت من دون الله تعالى في رد ما قضاه الله وحكم به..

١٩٨٨. فيها: إبطال لحجج عبدة الأصنام وما يعتقدونه فيهم من جلب النفع ودفع الضر، فلم يحصل لهم ذلك بل حصل لهم عكس ذلك.

١٩٨٩. تفيد: ضلال دعاء غير الله تعالى وهو شرك وكفر بالله تعالى.

١٩٩٠. تفيد: أن عبادة غير الله تعالى سبب الخسران والهلاك والدمار للأمم.

١٩٩١. تفيد أن كل عذاب يقع في الأرض هو بأمر الله وتقديره خلافا لما يعتقده البعض ويظنه من غضب الطبيعة ونحوها ﴿لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ﴾.

١٩٩٢. فيها: تشريف النبي ﷺ بإضافته إلي الرب جل وعلا؛ ﴿رَبِّكَ﴾.

١٩٩٣. تفيد: أهمية التوحيد والاعتصام بالله وهو سبب الفوز والنجاة والسعادة في الدارين.

١٩٩٤. فيها أن كل من دعا غير الله عز وجل فهو في خسار وتباب ﴿وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ﴾.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ [هود: ١٠٢ – ١٠٣].

١٩٩٥. تفيد: الآية أن الجملة الحالية ﴿وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ﴾ ظلمها أي عدم إقلاعها وتوبتها.

١٩٩٦. وفيها: التعبير بـ ﴿وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ﴾ ولم يقل (كافرة) لأنها أعم. وأن العذاب معجل.

١٩٩٧. وتفيد: وجوب وقوع العذاب عند تمادى العصاة وانغماسهم في الظلم.

١٩٩٨. فيها: أن الظلم عبارة واحدة تندرج تحتها كل المعاصي والإجرام.

١٩٩٩. فيها: شدة عقوبة الله عز وجل للظالمين؛ بدلالة الوضع اللغوي للفظة: ﴿إِنَّ﴾ الدالة على التوكيد، من قوله: ﴿إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾.

٢٠٠٠. ومنها: أن الله رحيم حليم لا يعاجل بالعقوبة ويعذر إلى عباده لكنه بعظمته إذا عذب كان أخذه غاية في الألم.

٢٠٠١. تهدي إلى: طرق القياس العقلي والاستدلال البرهاني ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾بمثل ذلك الأخذ.

٢٠٠٢. تهدي إلى وجوب التبصر والتأمل في عقوبات المثلات.

٢٠٠٣. تهدي إلى: أسلوب البسط بعد القبض: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ﴾ وقبله ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ﴾ وأسلوب القبض بعد البسط: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ﴾ وقبله جملة الاشتراك ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ﴾ ليدل بمبانيه على معانيه' وبمثانيه على مراميه، والتثنية من علوم القرآن اسما ووصفا وهو من أبلغ صفات القرآن التي تبنتها بقوله ﴿مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ﴾الزمر: ٢٣.

٢٠٠٤. فيها: أهمية الخوف من الله في تحقيق التوازن في الإيمان والعبادة ﴿لِّمَنْ خَافَ﴾.

٢٠٠٥. ومنها: أن الكاذب الفاجر وإن أعطي دولة فلا بد من زوالها بالكلية، وبقاء ذمه، ولسان السوء له في العالم، وهو يظهر سريعا، ويزول سريعا" (١).

٢٠٠٦. في الجملة من الآية الكريمة: ﴿أَخْذُ رَبِّكَ﴾ذكر وصف الربوبية والإحسان في معرض التخويف لتطمئن له قلوب المؤمن المتبع للرسل وهذا من تمام رحمته جل جلاله.

---

(١) الجواب الصحيح ٦/٤٢٣.

٢٠٠٧. تفيد: الكاف عناية خاصة بالنبي الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم ولم يقل ربهم ﴿رَبِّكَ﴾.

٢٠٠٨. تفيد: التخويف والتحذير من عذاب الله عز وجل؛ لوصفه بالأخذ وأنه أليم شديد.

٢٠٠٩. تهدي إلى: اقتران وصف الألم بالشدة ﴿إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ وهو من أعمق أوصاف اقتلاع الكبرياء من النفس.

٢٠١٠. وفيها: أن هلاك الأمم الظالمة في الدنيا آية على وقوع عذاب الأخرة الذي هو أشد وأبقى.

٢٠١١. فيها: أن الجزاء من جنس العمل، كما جمع فرعون الناس سعياً في الصد عن سبيل الله ﴿فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ﴾ طه: ٦٠.، جمع الأشهاد على الباطل، فسيجمع الله الناس بأعظم من جمع فرعون وشتان بين الجمعين ومن ذلك أن صور الآخرة انعكاس لصور الدنيا مع اختلاف المآلات.

٢٠١٢. فيها: أن على المرء التنبه للعلامات التي يرسلها الله للعباد ليتعظ بها.. ﴿لَآيَةً﴾.

٢٠١٣. في: الاستدلال بالمشاهد الواقع على الغيب وهذا مستفاد من منهج القران ومن قوله ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْأَخِرَةِ﴾.

٢٠١٤. تسمية يوم القيامة بيوم الجمع ﴿يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ﴾ بضميمة قوله تعالى ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ﴾.

٢٠١٥. تنزيه الله عن العبث، ﴿يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ﴾.

٢٠١٦. تفيد عظم يوم القيامة الذي يشهده الجميع ويحاسبهم فيه الله ويجازيهم على أعمالهم.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ۝١٠٤ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ [هود: ١٠٤ – ١٠٥].

٢٠١٧. فيها: أن يوم القيامة محدد لا يتقدم ولا يتأخر.

٢٠١٨. فيها: إثبات حكمة الله في أفعاله، ﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ﴾.

٢٠١٩. تشير: إلى: أن الله، لا يعجل بعجلة أحد؛ لا سيما وقد استعجل الكفار هذا اليوم، كما قال: ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾الشورى: ١٨.

٢٠٢٠. فيها أنه قد يكون الأجل المعدود بموت الظالم أو رجوعه إليه بالتوبة وكل ذلك في علم الله سبحانه وتعالى السابق.

٢٠٢١. تفيد: أن الله، لا يؤخر شيئا إلا لحكمة بالغة.

٢٠٢٢. تفيد: أن يوم القيامة آت لا محالة ﴿يَأْتِ﴾ ففيها توجيه إلى الاستعداد ليوم القيامة؛ لأنه آت لا محالة لكن المهم: ماذا أعددت له.

٢٠٢٣. وفيها: الشفاعة لها شرطان الإذن والرضا.

٢٠٢٤. تفيد الجملة من الآية الكريمة: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾جملة اعتراضية فيها رد على منكري البعث..

٢٠٢٥. فيها: عظمة وهول القيامة، ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾.

٢٠٢٦. فيها: إثبات الإذن لله سبحانه وتعالى وهو إما إذن كوني أو شرعي.

٢٠٢٧. تشير إلى: أن من يعجز عن الكلام في هذا الموقف، فهو عن رده أعجز. قال تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۝١ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ﴾المعارج: ١-٢.

٢٠٢٨. فيها: بيان صمت العباد في المشهد العظيم، ومنعهم من الكلام إلا بإذن الله.

٢٠٢٩. أن الأمر يوم القيامة بيد الله، وهو مالك الملك، ﴿إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾.

٢٠٣٠. ومنها: أن هذا يوم طويل جدا ذو ألوان وأهوال وشؤون، تارة يؤذن فيه في الكلام، وتارة يكون على الأفواه الختام، وتارة يسكتهم الخوف والحسرة والآلام، وتارة ينطقهم الجدال والخصام " [1].

٢٠٣١. وفيها: يوم القيامة ينقسم الناس إلى قسمين مؤمنون وكفار.

٢٠٣٢. وفيها: تقديم الشقي على السعيد لأن المقام مقام تذكير وإنذار.

---

(١) نظم الدرر للبقاعي ٣/٥٧٩.

٢٠٣٣. ومنها: أن السعادة الحقيقية مهما عدد البشر أسبابها لا تكن الا بالقرب من الله وطاعته والخضوع بين يديه.

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٦ – ١٠٧].

٢٠٣٤. في الآيتان الكريمتان: صور من البلاغة، منها: بلاغة اللف والنشر، وصيغ المبالغة ﴿فَعَّالٌ﴾ الاستثناء ﴿إِلَّا﴾.

٢٠٣٥. فيها: أنهم قد آثروا الشقاء فهو من فعلهم، لقوله: ﴿شَقُوا۟﴾ أي بأنفسهم واختاروا الشقاء دون إجبار فهي حجة على الجبرية.

٢٠٣٦. تفيد: أن الله سبحانه جاء هنا بالفعل ﴿شَقُوا۟﴾ ليبيّن لنا أنهم هم الذين اختاروا الشقاء؛ وأتوا به لأنفسهم؛ لأن الحق سبحانه خلق عباده وترك لكل منهم حق الاختيار؛ وأنزل لهم المنهج؛ ليصونوا أنفسهم [١].

٢٠٣٧. فيها: أنهم سُموا بالأشقياء حتى وإن كان ظاهر معيشتهم النعيم، لأن العيش الحقيقي هو عيش الآخرة، أو لأن ما سيكون في النار سينسي كل مسحة من نعيم عاشوها في الدنيا؛ يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة فيصبغ في النار صبغة ثم يقال يا ابن آدم هل رأيت خيرا قط هل مر بك نعيم قط فيقول لا والله يا رب..."[٢]، أو لأنهم بمجرد اختيارهم للكفر حكموا على أنفسهم بالشقاء؛ ولهذا جاء في الحديث "ويؤمر بأربع كلمات بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد"[٣].

٢٠٣٨. فيها أن الشقي من أدخل النار.

٢٠٣٩. تفيد: أن البداءة بالشقاء؛ لأن أكثر الخلق منهم، لا لأفضليتهم، أو العناية بهم، أو نحو ذلك من أغراض التفضيل.

---

(١) تفسير الشعراوي: ١١/٦٦٨٢.

(٢) أخرجه مسلم: ٢١٦٢.

(٣) أخرجه مسلم: ٤/ ٢٠٣٦.

٢٠٤٠. تفيد: أن التقدم في الذكر لا يعني التقدم في الفضل والمزية.. وليس كل تأخير في الذكر حط من القدر والمكانة..

٢٠٤١. فيها: شدة وعظم عذاب أهل النار، حيث يصيبهم الكرب الشديد والغم العظيم فيصيحون من شدة حرها وقوة بأسها.

٢٠٤٢. فيها: التخويف من النار وبيان شدة ما فيها من العذاب والنكال.

٢٠٤٣. في الجملة من الآية الكريمة: ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾ تحكي عذابين أولاهما: عذاب الجسد والثاني: عذاب الروح والنفس ومعاناتها؛ لأن الإنسان يعبر بالشهيق والزفير عن مرضه وألمه الجسدي، وكذا عن مرضه النفسي والروحي.

٢٠٤٤. تفيد: شدة عذاب أهل النار؛ بدلالة تقويم الجار والمجرور من قوله: ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾.

٢٠٤٥. فيها: سبب تقديم الزفير على الشهيق، فعندما يتنفس الانسان نارا أو هواء حارا، سيكون أحرص على إخراجه (الزفير) من إدخاله (الشهيق)، فقدم الزفير والله أعلم.

٢٠٤٦. فيها: كناية عن تغلغل العذاب في قلوبهم فصار النفس الذي فيه الراحة للإنسان عذاب ووجع لقوله تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾.

٢٠٤٧. تفيد: أن الخلود قد يكون أبدي، لا ينفك عنه وقد يخرج الله من النار بعد أن يأخذ مقدارا يراه رب العزة من العذاب، وقد يخرج من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان ويقال عليهم الجهنميون، الشقي هو من يحرم من رحمة الله ويخلد في العذاب الشقي من يعرف بذلك ويسمع به ولا يعمل له حساب، فحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا.

٢٠٤٨. فيها: الاستثناء من الخلود أهل الكبائر الذين لا بد من تطهيرهم قبل دخولهم الجنة دل عليه قوله: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾.

٢٠٤٩. فيها: بيان عناية خاصة بالنبي الكريم عليه الصلاة والتسليم، وتسلية له على الصبر على كفر وعناد الكافرين، لقوله: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ﴾.

٢٠٥٠. ومنها: ذكر أسم الرب إشارة إلى أنه يحسن إليك بكل ما يسر قلبك ويشرح صدرك، وكأن في عذاب هؤلاء الظالمين شفاء لصدور الرسل عليهم السلام.

٢٠٥١. فيها: أن في ذلك اليوم يوجد سماوات وأرض وان كانت غير التي في الدنيا ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ إبراهيم: ٤٨.

٢٠٥٢. تفيد: استثناء بعض أهل النار من الخلود في النار وأن كانوا شقوا ودخلوا النار إلا أن منهم من لا يخلدون وليس الاستثناء من الشقاء وهذا من كمال رحمة الله تعالى بخلقه وتمام فضله فيستوجب ذلك الشكر من العارفين.

٢٠٥٣. فيها: إثبات المشيئة لله..إثبات الربوبية.. إثبات الإرادة له سبحانه، إثبات الجزاء والحساب والعقاب، إثبات وجود النار.

٢٠٥٤. فيها: أن قضاء الله وأمره لا يرد فهو سبحانه الفعال لما يريد..

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿* وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: ١٠٨].

٢٠٥٥. في: الآيتين الكريمتين أن على الدعاة والوعاظ والمربين أن يجمعوا بين أسلوبي الترغيب والترهيب مع مدعويهم؛ أخذًا من أسلوب الترغيب، والترهيب، وهو من الأساليب البلاغية التي يكثر استخدامها في القرآن الكريم.

٢٠٥٦. أفادت: صيغة الجمع أن دخولهم في هذا النعيم على هذه الحال من كمال النعيم وزيادة فضل هو دخول الجنة جمع مع من تحب﴿* ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ﴾.

٢٠٥٧. وفيها: أن السعادة رزق يهبها الله لمن بذل أسبابها وذلك على قراءة (سُعِدوا) بضم السين وكسر العين؛ أي رزقوا السعادة، بخلاف الشقاء فهو من كسب يد الإنسان كما قال قبل: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ﴾ بفتح الشين وضم القاف؛ أي أشقوا أنفسهم بالذنوب والمعاصي وأوردوها موارد الهلاك.

٢٠٥٨. تفيد: أن الإيمان سعادة والكفر والعصيان شقاء.

٢٠٥٩. فيها: أن السعادة الحقيقية في دخول الجنة والنجاة من النار.

٢٠٦٠. فيها: أن دوام أهل الجنة وتنعمهم فيها ليس أمرا واجبا بذاته بل هو موكول إلى مشيئة الله عز وجل فله المنة عليهم وهو معنى الاستثناء في الآية "[١].

٢٠٦١. فيها: كمال السعادة وتمامها بدوامها لا بانقطاعها، أو الخوف من زوالها.

٢٠٦٢. فيها: تطمين لأهل الجنة وتطييب لقلوبهم حيث العطاء الدائم غير المقطوع.

٢٠٦٣. فيها: مع التي قبلها دليل على أن أهل الكبائر من أهل التوحيد لا يخلدون في النار، فسبق استثناء خلودهم في النار في الآية السالفة، وهم ذاتهم من استثنوا من كمال الخلود في الجنة في هذه الآية؛ لما قضوه في النار تطهيرا لهم قبل دخولهم الجنة.

٢٠٦٤. فيها: أن ذكر الخلود زيادة في نعيمهم فإن مما ينغص الدنيا انقطاع لذاتها بالموت.

٢٠٦٥. تفيد: أنه مهما بلغت سعادة الدنيا ونعيمها ينغصها الخوف والانقطاع وهذه سنة الله، وهذا ليتم التلذذ والنعيم المحض في الجنة ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾.

٢٠٦٦. فيها: أهمية الاستثناء، وترغيب الشارع فيه؛ لقوله: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ لما فيه من التأدب مع الله، والتسليم، أن الأمر كله إليه وحده وعدم التألي على الله.

٢٠٦٧. ومن فوائد الاستثناء أنه سبب في الإنجاز وتيسير الأمور، وحديث نبي الله سليمان – عليه السلام – معروف شاهد على ذلك.

٢٠٦٨. ومنها: تعليق هذا النعيم بمشيئة الله ورحمته التي دخلوا الجنة بسببها ترادف نعيم على النعيم وزيادة أمن وطمأنينة.

٢٠٦٩. تفيد: أن نعيم الدنيا مجذوذ ونعيم الآخرة دائم.

٢٠٧٠. فيها: كرم الله عز وجل وسعة عطائه فهو عطاء غير مجذوذ.

٢٠٧١. تفيد: هذه الجملة من الآية الكريمة: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ أنه كناية عن تجدد نعيمهم فهم في زيادة نعيم لا تتوقف يتقلبون من نعيم لنعيم أكبر منه لا ينفك عنهم لحظة واحده ورضوان الله أعظم نعيم.

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُ ۚ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ﴾ [هود: ١٠٩].

---

(١) تفسير ابن كثير: ٤/ ٣٥٢.

٢٠٧٢. لما سبق ذكر فريقي الشقاوة والسعادة، جاء ذكر صنف من فريق الشقاوة؛ الذين يعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم..

٢٠٧٣. فيها: أن الإيمان واعتقاد بطلان الشرك لابد فيه من اليقين المنافي للشك؛ لقوله: ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰؤُلَاءِ﴾ وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ الحجرات: ١٥.

٢٠٧٤. فيها: تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم، وتطمين له عليه الصلاة والسلام، مما يجد من قومه.

٢٠٧٥. وفيها: تهديد لكفار مكة.

٢٠٧٦. الإشارة إليهم بإشارة البعيد ﴿هَٰؤُلَاءِ﴾تفيد بعدهم في الضلال.

٢٠٧٧. تفيد: أن عبادة المشركين لأصنامهم صادرة عن جهل وتقليد للآباء والأجداد.

٢٠٧٨. فيها: التحذير من التقليد في العقيدة.

٢٠٧٩. فيها: بيان سوء عاقبة العمل السيء، حيث يستمر أثره وتبعاته على الإنسان حتى بعد مماته، أفاده التعبير بالمضارع ﴿مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُم مِّن قَبْلُ﴾.

٢٠٨٠. فيها: أن من أعظم أسباب بقاء الشرك تقليد الآباء المشركين.

٢٠٨١. فيها: تنبيه على خطورة القدوة السيئة، وأثرها في دمار المجتمعات.

٢٠٨٢. فيها: تعظيم الله تعالى أفاده "نا" في قوله ﴿وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ﴾.

٢٠٨٣. وفيها: ﴿لَمُوَفُّوهُمْ﴾ ﴿نَصِيبَهُمْ﴾سيقت من باب التهكم.

٢٠٨٤. وفيها: أن التوفية قد تعني مجرد الإعطاء بمعنى التقريب ولذلك نفى النقص.

٢٠٨٥. فيها: أن الجزاء من جنس العمل، فكما أن هؤلاء الكفار اتبعوا آباءهم اتباعاً كاملاً في الضلال وفي عبادة غير الله من غير أن يغيروا شيئاً، أو يتجاوزوا باطلاً كان عذابهم في الآخرة كاملاً من غير نقصان.

٢٠٨٦. فيها: التهديد والوعيد من الله تعالى لكل من خالف أمره وعبد غيره قال تعالى: ﴿وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ﴾.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾ [هود: ١١٠].

٢٠٨٧. فيها: إثبات رسالة موسى عليه السلام وأنه رسول من رب العالمين ﴿ءَاتَيْنَا﴾ فيجب الايمان به.

٢٠٨٨. فيها: وجوب الإيمان بمن أخبر الله بهم من الأنبياء.

٢٠٨٩. فيها: إثبات عظمة الله تعالى، أفاده ﴿ءَاتَيْنَا﴾.

٢٠٩٠. فيها: التسلية للنبي محمد صلى الله عليه وسلم، ولكل من اشتغل بدعوة الناس إلى دين الله تعالى.

٢٠٩١. تشير إلى الاقتداء بالأنبياء، ﴿مُوسَى﴾ ويشهد لذلك قوله ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ الأحقاف: ٣٥، قال في المحرر الوجيز: وقَوْلُهُ تَعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ﴾ الآيَةُ. تَسْلِيَةٌ لِمُحَمَّدٍ ﷺ، وذِكْرُ قِصَّةِ مُوسى مَثَلٌ لَهُ: أيْ: لا يَعْظُمُ عَلَيْكَ أمْرُ مَن كَذَّبَكَ فَهَذِهِ هي سِيرَةُ الأُمَمِ، فَقَدْ جاءَ مُوسى، بِكِتابٍ فاخْتَلَفَ الناسُ عَلَيْهِ"(١)..

٢٠٩٢. تفيد: شرف الكتاب الذي أوتيه موسى عليه السلام وهو التوراة فهو من أعظم كتب الله عز وجل وكثيرا ما يقرن بالقرآن الكريم كما في قوله تعالى في هذه السورة: ﴿وَمِن قَبۡلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامٗا وَرَحۡمَةٗۚ﴾ الأحقاف: ١٢.

٢٠٩٣. فيها: بيان شؤم الخلاف والاختلاف.

٢٠٩٤. فيها: النهي عن الاختلاف في الكتاب المنزل وأن ذلك من أسباب ضلال الأمم وهلاكهم وعذابهم.

٢٠٩٥. فيها: عزاء لكل من ألف كتاباً يريد به بيان الحق وهداية الناس فقوبل بالتكذيب والشك والامتراء؛ فقد أنزل أصدق القائلين التوراة على كليمه موسى عليه السلام وهي كلها حق بلا شك ومع ذلك اختلف فيها.

٢٠٩٦. فيها: بيان أن الحق -مع كونه حقاً- لا يمنع أن يقع الاختلاف فيه من بعض البشر، فما أعظم بشاعة وشناعة الاختلاف في رسالة أنزلت من عند الله.

---

(١) المحرر الوجيز ٣/٢٢٤.

٢٠٩٧. فيها: أن من شأن المعرضين عن الحق، أنهم لا يجدون مجالا لنقده وإنكاره، فيحملهم عنادهم وجحودهم على التشكيك فيه، وتأويله تأويلا سقيما يدعو إلى الريبة والقلق"(١).

٢٠٩٨. فيها: رحمة الله بخلقه؛ بدلالة الوضع اللغوي للفظة: ﴿وَلَوْلَا﴾فهي حرف امتناع لوجود.

٢٠٩٩. تفيد: أن من سنن الله تعالى أنه قد يمهل للظالمين ولا يعاجلهم بالعقوبة في الدنيا، وهذا مأخوذ من قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ حيث لم يعاجلهم بالعذاب في الدنيا بل أخّره إلى يوم القيامة.

٢١٠٠. فيها: إثبات القدر والكتاب السابق؛ لقوله:﴿سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾.

٢١٠١. تفيد: أن الريب أشد من الشك؛ لأن الريب شك فيه اضطراب وحركة، فالشك اوقعهم في الريبة والتخبط والاضطراب والله أعلم.

قَالَ تَعَالَى:﴿وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ ۚ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [هود: ١١١].

٢١٠٢. تفيد: حتمية الحساب الوافي على الأعمال خيرها وشرها.

٢١٠٣. تفيد: هول هذه التوفية الربانية للأعمال وتفيد حيث اقتضى شأنها أن تؤكد بكل هذه التأكيدات، واو القسم، إن، كل، والتنوين، لما، وقد اشتملت هذه الآية سبعة من التأكيدات للدلالة على عظم أمر البعث والجزاء وأنه من تمام ربوبيته.

٢١٠٤. وفيها: التأكيد يدل على خطورة وهول الموقف.

٢١٠٥. تشير: بإشارة دقيقة إلى: دقة الميزان والحساب؛ ولذا قال: ﴿لَيُوَفِّيَنَّهُمْ﴾ فإنه يؤاخذهم باعتقادهم وأعمالهم.

٢١٠٦. فيها: تمام عدل الله تعالى، وفي هذه الآية من وجهين: الأول: أنه يجزي كلا الفريقين – إن خيرا فخير وإن شرا فشر –؛ فلا يجزي فريقا دون آخر. الثاني: أنه يجازيهم على أعمالهم بعد وقوعها؛ لا بخبرته وعلمه فيهم.

٢١٠٧. : فيها: رد على الجبرية؛ لأنه نسب الأعمال إليهم ﴿أَعْمَالَهُمْ﴾.

٢١٠٨. تفيد: إحاطة علم الله عز وجل بكل شيء؛ بدلالة الوضع اللغوي لـ: "إن" من قوله ﴿إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ الدالة على التوكيد.

---

(١) الوسيط للطنطاوي: ٢٨٣/٧.

٢١٠٩. تفيد: مكانة وشرف هذا النبي عليه السلام حيث أضافه إلى ربوبيته وخاطب الأمة في شخصه..

٢١١٠. تشـــير إلى: التيقظ، وتحري ما يصـــدر من الأعمال؛ فيتذكر أن الله خبير ومحيط بها، ومحاسب عليها؛ كما قال: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُۚ﴾البقرة: ٢٣٥، وقال: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ٨﴾الزلزلة: ٧-٨.

٢١١١. وفيها: علمه سبحانه محيط بالعباد وأعماله.

٢١١٢. ومنها: ختمت الآية باســـم الله الخبير العالم بخفايا الأمور دقيقها وجليها تقوية لجانب المراقبة.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾ [هود: ١١٢].

٢١١٣. فيها: النتيجة المترتبة على سرد كل تلك القصـص والمواعظ، وهي قوله: ﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ﴾.

٢١١٤. ومنها: من الحكمة والدراية للمربي تقعيد القواعد نهاية كل تفصـيل وإيضـاح المقصـد بوضوح ليحسن العامل عمله.

٢١١٥. فيها: أن الأوامر الإلهية للنبي صـــلى الله عليه وســـلم تأتي احيانا خطابا للنبي وحده والخطاب للأمة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَۚ﴾الأحزاب: ١، وكذلك بعض النهي ﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ الزمر: ٦٥.

٢١١٦. فيها: أنه ليس أحد من البشر كبير على النصيحة والذكرى.

٢١١٧. فيها: أن الاســتقامة أعظم ما يواجه به الأعداء، فكلما اشــتد البلاء زد في التمســك بدينك.

٢١١٨. فيها: أن الله أمر أنبياءه بالاستقامة؛ كما قال عن موسى وهارون – عليهما السلام–: ﴿قَالَ قَدۡ أُجِيبَت دَّعۡوَتُكُمَا فَٱسۡتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ يونس: ٨٩. وعليه: ففيها: أهمية الاستقامة وشرفها.

٢١١٩. فيها: أن الاستقامة المقصودة الموافقة لنصوص الكتاب والسنة، فلا يعد مستقيمًا على الطريقة الصَّحيحة، من التزم بالأخلاق والآداب العامة، وهو غير مقيم على طاعة الله وشرعه، استقم كما أمرت، لا كما يمليه العقل والهوى، ولا كما تمليه العادات والتقاليد.

٢١٢٠. وفيها: أن قوله: ﴿فَٱسۡتَقِمۡ﴾ يدل على اتباع النصوص الشرعية.

٢١٢١. فيها: ترغيب لسلوك الاستقامة، وترهيب من ضدها"(١).

٢١٢٢. وفيها: أن التوحيد هو المخرج من الفتن والموصل لبر الأمان.

٢١٢٣. فيها: الحث على الدوام والثبات على التمسك بدين الله عزوجل والعمل بتعاليمه.

٢١٢٤. فيها: التحذير من الغفلة والحث على مراقبة الله عز وجل حيث لا يخفى عليه خافية من أعمال العباد.

٢١٢٥. فيها: إشارة إلى وجوب الاتباع، وخطر الابتداع؛ لقوله: ﴿كَمَآ أُمِرۡتَ﴾ فالعبرة ليست في مجرد الاستقامة، بل أن تكون على مراد الله.

٢١٢٦. ومنها: أن قوله: ﴿كَمَآ أُمِرۡتَ﴾ تحريص على تعلم الدين والعمل على بصيرة وعلم ودراية.

٢١٢٧. تفيد: أن النبي عليه السلام عبد مأمور ومبلغ عنه.

٢١٢٨. فيها: بيان فضيلة التوبة إلى الله تعالى، والرجوع إليه سبحانه؛ فقد عبّر عن الإيمان بالتوبة.

٢١٢٩. ومنها: أن التوبة مقدمة لكل استقامة على الخير معينة على الثبات على الطريق المستقيم.

٢١٣٠. تفيد: أن العبد، لا يكون مستقيما إلا بالتوبة.

٢١٣١. تفيد: أهمية لزوم الجماعة؛ بدلالة قوله: ﴿وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾.

٢١٣٢. فيها: التحذير من الغلو في دين الله عز وجل بل على المسلم التزام الوسط في أموره كلها دون افراط ولا غلو.

---

(١) تفسير السعدي ١/٣٩٠.

٢١٣٣. فيها: أن من صور الطغيان سلوك سبيل غير السبيل الذي أمر به سبحانه وسلكه رسوله الأسوة ﷺ.

٢١٣٤. ومنها: أن قوله: ﴿وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ﴾ تأكيد على منهج الوسطية فلا إفراط ولا تفريط.

٢١٣٥. يفيد: حذف المفعول في قوله تعالى ﴿وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ﴾ على أن الطغيان كله منهي عنه.

٢١٣٦. ومنها: الزيادة تمامًا كالنقص وهذا من دقة التشريع وتعظيم أوامر هذا الدين.

٢١٣٧. تفيد: أن هذا الدين لا يقبل التنطع والغلو؛ بل هو دين استقامة ووسطية.

٢١٣٨. وفيها: ﴿وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ﴾، ﴿وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ﴾ هود: ١١٣، أصلي الدين: الإيمان والعمل الصالح كما قال الحسن البصري رحمه الله..

٢١٣٩. فيها: رد على جميع الفرق التي وقعت في الإفراط أو التفريط.

٢١٤٠. وفيها: ختمت الآية بما يوافق أولها بأنه سبحانه مطلع على كل شيء من الاستقامة وغيرها ومن الأوامر والنواهي.

٢١٤١. فيها: أن هذه الآية الكريمة هي التي شيبت النبي صلى الله عليه وسلم لأنها جامعة كل قواعد الدين من الاستقامة الحقة على الوجه الفردي والجماعي فلو نزلت هذه الآية وحدها لكلفت العبد بكل ما في الشريعة لأنه يتوجب عليه السؤال عن كل ما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم، من العقائد والشرائع والأخلاق.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [هود: ١١٣].

٢١٤٢. فيها: إجلال النبي ﷺ بدلالة إفراده بالخطاب في الأمر بأفعال الخير في الآية السابقة ﴿فَٱسۡتَقِمۡ﴾ والإتيان بضمير الجمع في النهي عن أفعال الشر في هذه الآية" [١].

٢١٤٣. فيها: أنه لما أمر الله بالائتلاف مع المؤمنين في الآية السابقة نهى عن ضده وهو الركون إلى الكفار فقال ﴿وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ﴾

٢١٤٤. يفيد: قوله تعالى ﴿وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ﴾ مع قوله ﴿وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ﴾ أن الطغيان والركون إلى الظالمين مضاد للاستقامة.

---

(١) نظم الدرر للبقاعي ٣/٥٨٦.

٢١٤٥. فيها: أن من التجأ إلى الظالمين خسر نصرة رب العالمين.

٢١٤٦. فيها: تقوية لجانب العزة بالله والمسلمين فالمسلم لا يرضى لنفسه إذلال قلبه عند ظالم حتى لو كان في حاجته.

٢١٤٧. فيها: الركون يكن بالرضىٰ والمحبة، فأما مداخلتهم لدفع ضرر أو اجتلاب منفعة عاجلة فغير داخل في الركون"[(١)].

٢١٤٨. ومنها: شؤم الظلم وتعدي هذا الشؤم على من هم حول الظالم من أهله فهو ركن ضعيف هالك لا يستند عليه أن لم يسقطك في الدنيا مال بك في الأخرة.

٢١٤٩. فيها: أن مجرد الركون إليهم أي الميل إليهم سبب في مس المرء بالنار وإن لم يكن داخلا فيها فالمس مقدمة لذلك وقد قال عليه الصلاة والسلام ممثلا الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحا طيبة ونافخ الكير إما أن يؤذيك وإما أن يخرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحا منتنه" [(٢)]،.

٢١٥٠. فيها التحذير من أصدقاء السوء من ابتعد عما نهانا الله منه فقد ولايته ونصرته.

٢١٥١. وفيها: دليل على المنع من موالاة الظالمين والميل إليهم.

٢١٥٢. وفيها: أنها أصل في سد الذرائع.

٢١٥٣. فيها البراءة من أهل الظلم.

٢١٥٤. فيها: التحذير الشديد من الظلم؛ لأنه توعد من مجرد الركون إلى الظالمين، فما الظن بمن يباشره؟!

٢١٥٥. فيها، وبضميمة ما قبلها: النهي عن موالاة الظالمين، وأن ذلك ينافي الاستقامة التي أمر الله بها نبيه وأتباعه.

٢١٥٦. فيها: وجوب ملازمة الصالحين؛ أخذًا من القاعدة: الأمر بالشيء نهي عن ضده؛ لقوله: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾.

٢١٥٧. فيها: التحذير العظيم والوعيد الشديد من الميل إلى الكافرين والرضا بأعمالهم.

---

(١) تفسير الرازي ١٨/٤٠٧.

(٢) أدب الدين والدنيا ص ٢٦٣.

٢١٥٨. فيها: التحذير الشديد من النار والتخويف من دار البوار، وأسباب دخولها كالظلم والركون للظلمة.؛ لقوله: ﴿فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾ عبر عنها بالمسيس – نعوذ بالله منها..

٢١٥٩. فيها: أن الظلم من أسباب دخول النار؛ بدلالة الوضع اللغوي في الفاء في قوله: ﴿فَتَمَسَّكُمُ﴾ الدالة على الترتيب مع التعقيب.

٢١٦٠. تشير إلى العناية بعقيدة الولاء والبراء.

٢١٦١. تفيد أن الركون للبشر من أعظم أسباب الخسارة والخذلان.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ١١٤ وَٱصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [هود: ١١٤ – ١١٥].

٢١٦٢. مناسبة الآية لما قبلها: أنه لما سبق الأمر بالاستقامة جاء ذكر أهم وسيلة من وسائلها: (إقامة الصلاة) فهي رأس الإيمان، وتعمل على تقويم سلوك العبد.

٢١٦٣. فيها: الحرص على إقامة الصلاة وليس الاكتفاء بأدائها.

٢١٦٤. يفيد: تخصيص الصلاة من بين الحسنات لعظم أثرها في تكفير السيئات ولكونها ملجأ العبد في الملمات.

٢١٦٥. فيها: أهمية الصلاة ومكانتها بين الشرائع، وأنها تنهي عن الفحشاء والمنكر ولا تسقط مع القدرة، مع التدرج فيها من القيام إلى الايماء، وقد أمر العبد بتوجيه من هم تحت مسئوليته ﴿وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ﴾ طه ١٣٢، والمواظبة عليها من أسباب دخول الجنة، لقوله صلى الله عليه وسلم، الصحابي الذي طلب مر افقته في الجنة "أعني على نفسك، بكثرة السجود"(١).

٢١٦٦. يفيد: قوله ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أن أقامتها تستلزم أداؤها تامة بأركانها وواجباتها وسننها، الوضوء لها وإسباغه وعلى المكاره. إقامتها في جماعة المسجد، والخروج إليه. التبكير والتهجير للصلاة، وانتظار الصلاة بعد الصلاة. المداومة عليها في اليوم والليلة... إلخ. كل ذلك يحتاج إلى الصبر والإحسان؛ ولذا قال: ﴿وَٱصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١١٥﴾.

٢١٦٧. فيها: أن من مستلزمات الاستقامة إقامة الصلاة والأعمال الصالحة.

٢١٦٨. وفيها: ذكر الصلاة بعد الاستقامة يدل على أن الصلاة أفضل الأعمال بعد الإيمان.

---

(١) أخرجه مسلم: ١/٣٥٣.

٢١٦٩. في: الآية دليل على تحديد أوقات الصلاة.

٢١٧٠. فيها فضل قيام الليل، قال السعدي في قوله ﴿وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ﴾ "ويدخل في ذلك، صلاة المغرب والعشاء، ويتناول ذلك قيام الليل، فإنها مما تزلف العبد، وتقربه إلى الله تعالى"(١)..

٢١٧١. وفيها: ترتيب الصلوات على هذا النحو لمحو السيئات التي تقع بينها.

٢١٧٢. وفيها: المحافظة على الصلاة يوجب محو الذنوب.

٢١٧٣. فيها: عظيم فضل الله عز وجل وواسع عطاءه في أن جعل الحسنات تمحو السيئات فله الحمد بما هو أهله.

٢١٧٤. تفيد: أن من آثار المداومة على الحسنات ازدراء النفس للسيئات فضلاً عن الوقوع بها..

٢١٧٥. من أحسن إليك فانس إساءته ﴿إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾.

٢١٧٦. فيها: خطر السيئات على الإنسان، وأن عليه أن يجتهد في الأعمال التي تكفر السيئات ومن أعظمها الصلاة فرضها ونفلها.

٢١٧٧. ومنها: أن الإنسان لابد منشغل فالموفق من تعاهد نفسه ليله ونهاره بطاعة الله وزاحم سيئاته بحسناته.

٢١٧٨. فيها: فضل ورفعة وشرف هذه الخصال المذكورة في الآيات ولذلك أشار إليها بإشارة البعيد ﴿ذَٰلِكَ﴾.

٢١٧٩. فيها: أنه حتى الذاكر يحتاج التذكير، فلا أحد فوق النسيان والسهو والتقصير ﴿ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾.

٢١٨٠. تفيد: كثرة مجيء اقتران الصبر والصلاة في القرآن ظاهرة في عدة مواضع من القرآن.. ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ﴾ البقرة: ٤٥، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ﴾ البقرة: ١٥٣، ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ﴾ الكهف: ٢٨، فسرت بالصلاة،

(١) تفسير السعدي: ١/١٩٣.

وهنا أيضا تأكيدا لهذا المعنى، فهل الصلاة تعين على الصبر أم الصبر يعين عليها، أو يتبادلان التأثير والتأثر؟

٢١٨١. فيها: أن الصلاة من أهم المعينات على الصبر، كان رسول الله ﷺ إذا حزبه أمر صلى.

٢١٨٢. الصبر مع دوام الإحسان لمن أساء إليك من أعظم درجات الصبر.

٢١٨٣. فيها أن الصبر من أعمال المحسنين.

٢١٨٤. ومنها: حاجة العبد للصبر لا تنفك، سواء على الطاعات أو عن المعاصي.

٢١٨٥. فيها: ترغيب عظيم للزوم الصبر بتشويق النفس الضعيفة إلى ثواب الله عز وجل كلما لانت وفترت"(١).

٢١٨٦. فيها: حفظ الله لأعمال عباده.

٢١٨٧. فيها: فضل الله عز وجل وعدله لأنه ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ ولا يضيع أجر من أحسن عملا؛ ﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ﴾ آل عمران: ١

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَوۡلَا كَانَ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِن قَبۡلِكُمۡ أُوْلُواْ بَقِيَّةٖ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡفَسَادِ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّنۡ أَنجَيۡنَا مِنۡهُمۡۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتۡرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجۡرِمِينَ﴾ [هود: ١١٦].

٢١٨٨. فيها: الاستمرار والمواظبة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لقوله: ﴿يَنۡهَوۡنَ﴾.

٢١٨٩. تفيد: أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، من فروض الكفايات.

٢١٩٠. فيها: أن خير الناس من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر. وكما قال: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١١٠﴾ آل عمران: ١١٠.

٢١٩١. فيها: بغض الله للفساد وأهله.

٢١٩٢. تفيد: أن الشريعة، تأمر بالإصلاح في الأرض. وكما قال: ﴿وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ الأعراف: ٥٦.

---

(١) تفسير السعدي: ٣٩١/١.

٢١٩٣. تشـــير إلى: تأثير القليل من الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر؛ لقوله: ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ﴾. فلا يحقرن أحد جهد نفســـه أو غيره في الأمر عامة، وفي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خاصة.

٢١٩٤. وفيها: أهمية احتساب هذا العمل ولا ينظر لكثرة الهالكين أو قلة المتبعين ولا المثبطين.

٢١٩٥. وفيها: أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو ركيزة من ركائز الأمة.

٢١٩٦. فيها: عدم القيام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أسباب الهلاك.

٢١٩٧. تفيد خطورة الترف، وأنه سبب لرفض الدعوة..

٢١٩٨. وفيها: ملذات وشهوات الدنيا مشغلة عن العمل للآخرة.

٢١٩٩. فيهـا: أن معنى كلمـة ﴿مُجْرِمِينَ﴾ مـأخوذة من مـادة " جرم " وتعني: " قطع "، وقطع اتباع منهج السماء؛ والغفلة عن الإيمان بالخالق سبحانه" (١).

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود: ١١٧].

٢٢٠٠. تفيد: الجملة الاسمية الحث على ثباتهم واستمرارهم في الصلاح والإصلاح.

٢٢٠١. فيها: من مقتضيات التربية تقعيد القواعد، وتعليل الأحكام، وبيان الاستثناءات.

٢٢٠٢. تفيد: قاعدة عامة مطردة فكلُّ آية مُصدَّرة بـ ﴿وَمَا كَانَ﴾ تنبئ عن سنة ثابتة".

٢٢٠٣. فيها: دليل على أنَّ الإيمان بالله من غير إصـــلاح الأعمال، وعدل العمال، لا يمنع الإهلاك، يؤيده قوله تعالى: ﴿فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾الأنعام: ٤٨. وقوله عز وجل: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾النور: ٥٥.

٢٢٠٤. في الآية دليل ونصٌّ على أنَّ إصـــلاح الناس فيما بينهم مانع من إهلاكهم، وتســـليط الأعداء عليهم، وإن كانوا مشركين بالله تعالى.

٢٢٠٥. فيها سنه كونية عظيمة أن الصلاح والإصلاح من أسباب بقاء الأمم.

٢٢٠٦. فيها: أن من أسباب زوال الأمم وهلاكها الظلم والبغي والفساد والافساد في الأرض.

---

(١) تفسير الشعراوي ١١/٦٧٤٨.

٢٢٠٧. منها: رحمته جل جلاله ففي معرض التهديد ﴿رَبُّكَ﴾ تلطفًا وتذكيرًا لعبادة و حسن إحسانه في تربيتهم.

٢٢٠٨. ومنها: تهويل وتعظيم أمر الظلم حتى أن الله حرمه على نفسه.

٢٢٠٩. ومنها: المعاصي والتقصير في حقوق العباد أهلها أقرب للاستئصال في الدنيا من الشرك وان كان عذاب الشرك في الأخرة أصعب"(١).

٢٢١٠. ومنها: أشد ما يهلك العبد في الدنيا قبل الأخرة بخس حقوق العباد وإيذائهم وفساد معاملاته.

٢٢١١. فيها: أن النفع المتعدي مقدم على النفع الخاص ﴿مُصْلِحُونَ﴾ فلأن تكون صالحًا هذا أمر طيب، ولكن أنت تكون مصلحًا فهو الأطيب والأجود والأرقى والأحسن، فالصالح صلاحه لنفسه، والمصلح صلاحه له ولغيره، وفي شريعة الله النفع المتعدي أفضل من النفع الخاص، خاصة وكون سياق الكلام عام وشامل، ومصلحون أتت بصيغة جمع المذكر السالم.

٢٢١٢. فيها: أن وجود المصلحين أمان من العذاب والهلاك.

٢٢١٣. تشير إلى: توقير وتعظيم الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر.

٢٢١٤. تفيد: الترغيب في الإصلاح عند شيوع الفساد.

٢٢١٥. جاءت بصيغة الجمع وفي ذلك فائدة تآزر أهل الإصلاح واجتماع كلمتهم وإتلاف جماعتهم ليعظم أثرهم ويبلغوا غايتهم لقوله: ﴿مُصْلِحُونَ﴾.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود: ١١٨ – ١١٩].

٢٢١٦. تفيد: التفريق بين الارادة الكونية القدرية والإرادة الشرعية الدينية.

٢٢١٧. تفيد: أنه لا يحدث ويتم في الكون إلا ما قدره وأراده وشاءه الله سبحانه وتعالى.

٢٢١٨. وفيها: الهداية بيد الله وحده.

٢٢١٩. وفيها: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ رد على القدرية.

---

(١) تفسير القرطبي ٩/١١٤.

٢٢٢٠. فيها: حكمة الله تعالى العظيمة في عدم جعل الناس أمة واحدة وما يترتب على ذلك من المصالح التي قد لا يدركها بعض الناس..

٢٢٢١. فيها: أن بقاء الخلاف والاختلاف سنة كونية باقية، فعلى الإنسان الاجتهاد في أن يكون من أهل الرحمة الذين لا يختلفون.

٢٢٢٢. فيها: دليل على أن الخلاف شر وليس برحمة.

٢٢٢٣. فيها أن اختلاف الآراء سنة كونية ولكن يبقى تحكيم الرحمة هو الاختبار لجمع الكلمة.

٢٢٢٤. وفيها: بذل الجهد في إزالة الاختلاف في كل وسيلة ممكنة.

٢٢٢٥. وفيها: التفاوت بين الناس لحكمة يريدها الله.

٢٢٢٦. تفيد: أن على المسلمين أن يعذر بعضهم بعضًا، وأن تتسع صدورهم لما يحصل بينهم من خلاف في الفروع؛ لأنه الأصل في البشر؛ لقوله: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾.

٢٢٢٧. تفيد أن " الاختلافُ المذمومُ المحَذَّرُ منه هو الاختلافُ في أصولِ الدِّينِ الذي يترتَّبُ عليه اعتبارُ المخالفِ خارجًا عن الدِّين "(١).

٢٢٢٨. فيها: مرد كل شيء إلى الله، وأنه لو لم يأذن في الكفر لما وقع؛ كما قال: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ لكنه أذن فيه ابتلاء.

٢٢٢٩. تفيد: أن أهل الرحمة الله هم أبعد الناس عن الفرقة والافتراق وهم الثلة القليلة من أتباع الأنبياء في كل زمان ومكان " وأهلُ الرَّحمةِ هم أتباعُ الأنبياءِ قولًا وفِعلًا، وهم أهلُ القرآنِ والحديثِ مِن هذه الأمَّةِ، فمَن خالَفَهم في شيءٍ فاته مِن الرَّحمةِ بقَدرِ ذلك "(٢).

٢٢٣٠. تفيد: أنهم هم الفرقة الناجية أتباع الرسل الذين فازوا بسعادة الدنيا والآخرة ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾.

---

(١) التحرير والتنوير ١٢/١٨٩.

(٢) الفتاوي ٤/٥٢.

٢٢٣١. تفيد: أن أهل الرحمة متفقون مجتمعون؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: فأخبر أن أهل الرحمة لا يختلفون، وأهل الرحمة هم أتباع الأنبياء قولا وفعلا، وهم أهل القرآن والحديث من هذه الأمة، فمن خالفهم في شيء فاته من الرحمة بقدر ذلك"(١).

٢٢٣٢. تفيد: أن الأصل الإيمان وأن أهل الاستثناء هم الذين بقوا علي أصل الإيمان وهم المرحومون ومن عداهم فهؤلاء هم أهل الذم، والتفرق، والاختلاف ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ البقرة: ٢١٣.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود: ١٢٠].

٢٢٣٣. فيها: ظهور الحكمة من قص القصص السابقة.

٢٢٣٤. وفيها: أن سماع أخبار الأخيار فيه شحذ للهمم وتقوية للعزائم وتنشيط على العمل.

٢٢٣٥. وفيها: أن منهجية الرسل واحدة.

٢٢٣٦. النون في كلٍ تفيد التعظيم (نّقص) وقوله (نثبّت).

٢٢٣٧. فيها: التعلق بالله عز وجل في تثبيت القلوب؛ لقوله: ﴿مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ فهو المثبت سبحانه وتعالى، وقال تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٤]، وأكثر دعاء النبي صلى الله عليه وسلم: "يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك"(٢).

٢٢٣٨. تفيد: أن تدبر القصص القرآني من أعظم وسائل التثبيت على الحق.

٢٢٣٩. فيها أن أخبار الرسل وتاريخهم وقصصهم من أهم ما يعتنى به، ولذلك سماها أنباء؛ لأن النبأ هو الخبر العظيم المهم.

٢٢٤٠. فيها: الإشارة إلى قيمة كفة وزن القلب ثقلا وخفة وانشراحا وضيقا وضعفا وقوة؛ ولذا فإن قصص أنباء الرسل في القرآن ثبات على كل الموازين وقوة في كل ضعف وانشراح على كل ضيق هي الأرض الصلبة لكل الأحداث والظروف والمصاعب.

---

(١) مجموع الفتاوى ٤/٥٢.

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد وصححه الألباني ١/٢٥٣.

٢٢٤١. فيها: حاجة كل أحد إلى الموعظة والذكرى لا سيما العلماء ودعاة الخير، ولو استغنى أحد بما عنده من العلم والهدى عن الموعظة لكان النبي صلى الله عليه وسلم، ولكن الله تعالى منَّ عليه بالموعظة الدائمة ليبقى قلبه معلقا بالله تعالى في كل أحواله..

٢٢٤٢. فيها: القرآن أكبر وسائل تثبيت القلب ﴿مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾.

٢٢٤٣. تفيد: اختصاص القلب بالثبات لمكانته فهو بمثابة الملك والجوارح جنوده.

٢٢٤٤. في: القلب اضطراب لا يثبته إلا القرآن.. ﴿نَّقُصُّ﴾ ﴿نُثَبِّتُ﴾.

٢٢٤٥. فيها: الاستفادة من تجارب الامم السابقة.

٢٢٤٦. فيها: أنه يزداد يقينه عليه السلام ويطمئن قلبه ويثبت على أداء الرسالة، بالوقوف على تفاصيل أحوال الأمم السالفة مع أنبيائهم.

٢٢٤٧. فيها: عناية الله عز وجل وكريم رعايته لرسوله عليه الصلاة والسلام في سرده لقصص الأنبياء مع أقوامهم لتطمين قلبه وتثبت فؤاده.

٢٢٤٨. وفيها: تثبيت للنبي صلى الله عليه وسلم على الحق الذي هو عليه.

٢٢٤٩. وفيها: بشرية النبي صلى الله عليه وسلم وحاجته لما يثبت فؤاده، وهو معصوم فغيره من باب أولى وخاصة حملة الوراثة النبوية والدعوة إلى الله.

٢٢٥٠. لا غنى لأحد عن تثبيت الله له، وحاجة القلب إلى التثبيت، وسمي القلب قلباً لتقلبه لقوله ﴿مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾. قال الشاعر:

ما سُمي القلب قلبا إلا من تقلبه فأحذر على القلب من قلب وتحويل

٢٢٥١. منها: من أقوى أسباب الثبات على الطاعات والتصبر سماع وقراءة قصص الأنبياء عليهم السلام.

٢٢٥٢. ومنها: القصص أسلوب تربوي محبب للنفوس ويسهل فيه غرس القيم والمبادئ الحسنة.

٢٢٥٣. منها: حاجة العبد لتعاهد قلبه وتشديد الحراسة عليه وبذل جهده في كل ما يعينه على تقوية إيمانه وصبره.

٢٢٥٤. تفيد: أهمية التوسع في دراسة قصص الأنبياء والمرسلين وأخذ العبر والدروس منها كما في هذه السورة، فهي تعطي الأمة قوة في جميع أحوالها.

٢٢٥٥. في هذه الجملة من الآية الكريمة: ﴿وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ﴾ وصف هذه السورة بالحق مع أن القرآن كله حق، في ذلك أوجهاً ذكر العلماء منها: أنه يتضمن الوعيد للكفرة والتنبيه للناظر، ولأن فيها أخبار الأنبياء والجنة والنار، وكذلك تأكيد من باب التشريف للسورة.

٢٢٥٦. فيها: التوجيه إلى العناية بسورة هود عليه السلام تعلما وعملا واستخراجا لهداياتها؛ لقوله: ﴿وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ﴾ يعني هذه السورة.

٢٢٥٧. فيها: أن تدبر القصص القرآني موعظة وذكرى للمؤمنين.

٢٢٥٨. فيها أن الموعظة بالقرآن الكريم هي أبلغ وأنفع المواعظ؛ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [يونس: ٥٧].

٢٢٥٩. فيها: أخذ العبرة عما حل بالأمم السابقة والاحتراز عما أهلكهم، والتذكير عما يجب أن يكونوا عليه من السير في الطريق الواضح والثبات عليه.

٢٢٦٠. وفيها: الاعتبار بمصير الأمم السابقة عندما حادوا عن طريق الله.

٢٢٦١. ومنها: المتحدث الحكيم والداعية أن من فقهه ختم كلامه بذكر المقاصد والحكم وأكد على أهم الفوائد.

قال تعالى: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ [هود: ١٢١ – ١٢٢].

٢٢٦٢. تفيد: خاتمة هذه السورة تناسبا ظاهرا وتناسقا رائعا مع فاتحة السورة التي بعدها (سورة يوسف)، ومع الظروف والأجواء التي نزلت فيها السورة، حيث كان فؤاد النبي صلى الله عليه وسلم حزينا عند نزول سورة يوسف، وسمي ذلك العام بعام الحزن، فناسب بعد قوله تعالى في خاتمة هذه السورة: ﴿مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ أن تنزل سورة يوسف التي هي من أعظم القصص المذهبة للحزن والمثبتة للفؤاد، ولهذا قال تعالى في فاتحتها ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ يوسف: ٣. وقال في خاتمتها ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِي﴾ [يوسف: ١٠٨] في: هذه الأحداث والتحديات التي مر بها يوسف عليه السلام هي سبيلي التي سأسلكها وسأمر بها كما مر بها يوسف عليه السلام، ثم بعد ذلك ستكون لي العاقبة الحسنة كما كانت ليوسف عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام.

٢٢٦٣. منها: من أساليب القرآن التلقين وهو من الاستراتيجيات التعليمية التربوية النافعة للمربي.

٢٢٦٤. وفيها: دليل على أن من يتولى أمر المؤمنين مفوض عنهم.

٢٢٦٥. في: أمر الله رسوله بأن يقول ذلك على لسان المؤمنين شهادة من الله بصدق إيمانهم.

٢٢٦٦. وفيها: شهادة لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أنهم لم ولن يغيروا أو يبدلوا فالنبي صلى الله عليه وسلم تحدث وتحدى باسمهم ولم يتحدث بضمير المفرد.

٢٢٦٧. وفيه التفويض إلى رأس الأمّة بأن يقطع أمراً عن أمته ثقة بأنّهم لا يردّون فعله"[١].

٢٢٦٨. فيها: تفيد أن التهديد من الأساليب التربوية المهمة، فصيغة الأمر في الحالين يقصد منها التهديد والوعيد ﴿ٱعۡمَلُواْ﴾، ﴿وَٱنتَظِرُوٓاْ﴾، إضافة إلى صيغة الأمر ففيها أيضاً تأكيد المفارقة بين الفريقين في العمل والانتظار ﴿ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنَّا عَٰمِلُونَ﴾ ثم قال: ﴿وَٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ وشتان بين هذا وذاك.

٢٢٦٩. تفيد: الآية في هذه الجملة: ﴿إِنَّا عَٰمِلُونَ﴾ التأدب بالإشارة إلى أن المستقبل أمر لا اطلاع عليه لغير الله فينبغي أن لا يبلغ في التأكيد فيه غيره، وهذا بخلاف ما في سورة فصلت مما هو جار على ألسنة الكفرة"[٢].

٢٢٧٠. في كلمة ﴿مَكَانَتِكُمۡ﴾: إن كان المقصود بها المحل ففيها الأمر بالبعد عن مواطن الشبه والمعصية، وإن كان المراد بها طريقتكم ففيها النهي عن مشابهة أهل الفسق والباطل.

٢٢٧١. فيها: بشارة للرسول عليه الصلاة والسلام بأن ما قصه عليه تعالى ليثبت به فؤاده سيؤتي أكله.

٢٢٧٢. تفيد: حلم الله عزوجل على أولئك القوم الذين لا يؤمنون بما جاء من عند الله وماهم عليه من الكفر..

٢٢٧٣. وفيها: شهادة من الله بصدق إيمان المؤمنين.

---

(١) التحرير والتنوير ١٢/١٩٤.

(٢) نظم الدرر للبقاعي ٣/٥٩٢.

٢٢٧٤. فيها: دليل على أن مهمة الداعية البلاغ والتبيين ولا يضره ويضيره من عصاه من الهالكين.

٢٢٧٥. فيها: أن عزة أهل الحق، يستمدونها من قوة الحق الذي هم عليه، ويمكنهم التحدي رغم فقدانهم لمعظم أسباب القوة المادية. وهي نتيجة طبيعية يصل إليها المؤمنون بقناعة تامة بعد عرض قصص السابقين عليهم واطلاعهم على نهاياتهم وكيف كانت الغلبة دوماً لمن كان على الحق من ربه، ومنها ملكوا وسيملكون دائماً القدرة على تحدي الكافرين بـ ﴿وَٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾.

٢٢٧٦. ومنها: من لطف الله بالمؤمن أن جعل حتى انتظاره للفرج عبادة يؤجر عليها، فلله الحمد والمنة.

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُ ٱلۡأَمۡرُ كُلُّهُۥ فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ [هود:١٢٣].

٢٢٧٧. مناسبة الآية لما قبلها ظاهر، وهو أنه سبحانه وتعالى لما قال: ﴿ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنَّا عَٰمِلُونَ﴾ جاءت هذه الآية: ﴿تَعۡمَلُونَ﴾ ففيه تقدير عمل المؤمنين، فكأنه فيه إشارة للمؤمنين بأن عملهم هو المعتبر بخلاف غيرهم، فمع علمه تعالى بالغيب كله، وهو سبحانه وتعالى ليس بغافل عنه، إلا أنه لا يستحق حتى مجرد ذكره.

٢٢٧٨. أفادت الآية الكريمة الحصر، لقوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ أي ليس لغيره، لتقديم اللام الجارة مع اسم الجلالة " الله" تحاشياً لفظ تقديم ما حقه التأخير في مثل اسم الجلالة، تأدبا مع الله تعالى.

٢٢٧٩. فيها أنَّ لله العلم المطلق شهادة، وغيباً.

٢٢٨٠. فيها أيضا مناسبة أنه لما جاء في أول السورة الأمر للنبي صلى الله عليه وسلم بأن يأمر الناس بالعبادة، وفي آخرها أمر هو صلى الله عليه وسلم أن يعبد، فلا يستكف بعد هذا أحد.

٢٢٨١. فيها أن مدعي علم الغيب كافر لأنه مكذِّب لهذه الآية، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: "من أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد"[١].

---

(١) أخرجه النسائي في "العشرة" والترمذي، وابن حبان من حديث ابن عباس، وسنده حسن، وحسنه الترمذي، وصححه ابن راهويه كما

٢٢٨٢. يفيد: قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ﴾ ما يجمع بشارة المؤمنين بما وعدوا من النعيم المغيب عنهم، ونذارة المشركين بما توعدوا به من العذاب المغيب عنهم في الدنيا والآخرة"[١].

٢٢٨٣. فيها: التنبيه على أن غيب السَّماوات أعظم وأكثر من غيب الأرض، بالنسبة للبشر؛ ولذلك بدأ بها، وكلاها عند الله في العلانية سواء.

٢٢٨٤. تفيد: أنَّ من خصائص الألوهية العلم، والإحاطة، والملك، والقدرة على التصرف.

٢٢٨٥. فيها أنَّ من يدعي علم الغيب دون سلطان من الله فهو كاذب مدع لما لا يملك.

٢٢٨٦. فيها: من الخبر في خصائص الله مما يبعث على التعلق القوي به سبحانه، وتفويض الأمر إليه فهو يملك الغيب والأمر ﴿كُلُّهُۥ﴾ السَّماوي، والأرضي، وكل أمر حسي، ومعنوي يرجع، وجوده، وعدمه إليه؛ ولذا جاء قوله تعالى ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ﴾ تصريحاً بما ينبعث إليه قلب المؤمن لما يقرأ ما قبلها.

٢٢٨٧. فيها: تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم مما يلاقيه من عنت المشركين ﴿وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُ ٱلۡأَمۡرُ كُلُّهُۥ﴾.

٢٢٨٨. يفيد: تقديم الجار، والمجرور في بداية الجملة، وختمها بـ ﴿كُلُّهُۥ﴾ حصر إدارة الأمور به جل، وعلا وحدة، بما يحجّم كل من ظن يوماً أنه ملك قراراً، أو سيّر أمراً.

٢٢٨٩. في الآية توكيدان، الأوَّل منهما "ال" الدالة على الاستغراق، في قوله تعالى ﴿ٱلۡأَمۡرُ﴾ فهي نائبة مناب كل، والثاني: "كل" هي أم الباب في العموم، فأكد سبحانه "ال" الدالة على الاستغراق بكل قال صاحب المراقي:

صيغة كلٍ أو الجميع وقد تلا الذي التي الفروع

فالأمر أمره جلَّ وعلا، فلا أحد ينازعه لا في أمره الكوني، ولا الشرعي.

٢٢٩٠. فيها أن تقديم العبادة على التوكل من باب تقديم الغايات على الوسائل.

٢٢٩١. فيها: من الطمأنينة في قلب المؤمن أنه إذا كان الله سبحانه معبوده، ووكيله فأي أمل لا يرجوه، وأي مخوف يهابه.

في "مسائل المروزي" وله طريق آخر عند ابن الجارود بسند جيد وقواه ابن دقيق العيد والنسائي وابن عساكر وأحمد من حديث أبي هريرة..

(١) التحرير والتنوير ١٢/١٩٤.

٢٢٩٢. فيها عطف التوكل على العبادة مع أنه منها بل هو قوامها كما قال الفضيل رحمه الله وهذا يرد فيه الوجهان:

إما من عطف الخاص على العام للتنويه والتنبيه على أهميته وله نظائر كثيره.

أو كما قال شيخ الإسلام: (إذا أطلق لفظ العبادة دخل فيها التوكل وإذا قرن أحدهما بالآخر كان للتوكل اسم يخصه) ولهذا نظائر أيضا في القرآن.

٢٢٩٣. في ربط التوكل بالعبادة إشارة إلى أن التوكل لا يصح بغير العبادة، والأخذ بالأسباب المستطاعة، وإنما يكون بدونهما من التمني الكاذب، والآمال الخادعة، كما أن العبادة، وهي ما يراد به وجه الله من كل عمل لا تكمل إلا بالتوكل الذي يكمل به التوحيد[١].

٢٢٩٤. فيها: شرف التوكل، وأهميته، ومنزلته في الإسلام؛ لأنه تعالى خصه بالذكر مع أنه من جملة الأمر بالعبادة؛ لقوله: ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ﴾.

٢٢٩٥. فيها: رد على الطائفتين الضالتين المتقابلتين التي تظن إحداهما: أن التوكل يغني عن العمل، والأخرى التي تظن أن العمل كاف عن التوكل، وهما على طرفي نقيض.

٢٢٩٦. وفيها إشارة إلى أن التوكل ينبغي ألا يكون إلى على من يستحق العبادة؛ لأن غيره عاجز ليس الأمر بيده.

٢٢٩٧. وجوب تفويض الأمر كله لله.

٢٢٩٨. فيها: تعريض بفساد آراء الذين عبدوا غيره؛ لأن من لم يكن كذلك لا يستحق أن يعبد، ومن كان كذلك كان حقيقاً بأن يفرد بالعبادة[٢]. وعليه حُق للمؤمن ان يكون دائم الفخر بإيمانه وبعلوه به على غيره من غير المؤمنين.

٢٢٩٩. التعلق بالله عزَّ وجل وحده؛ لأن الأمور كلها ترجع إليه.

٢٣٠٠. تفيد: أهمية الإيمان بالله، والثقة بنصره، وكفايته في مواجهة أهل الباطل، وهي أقوى سلاح في مواجهة أعداء الملة؛ ولذا تهزم الأمة يوم تهزم، وتضعف، وتضيع عقيدتها.

---

(١) تفسير المنار: ١٢/١٦٣.

(٢) التحرير والتنوير. ١٢/١٩٦.

٢٣٠١. تفيد: أنَّ التوكل والاستعانة هي من عبادة الله لكن خصت بالذكر ليقصدها المتعبد بخصوصها، فإنها هي العون على سائر أنواع العبادة إذ هو سبحانه لا يعبد إلا بمعونته[١].

٢٣٠٢. تشير إلى: التضرع إلى الله، واللجوء إليه في الأمر عامة، وقضاء الحوائج، وتفريج الكربات خاصة؛ لأنه تعالى إليه يرجع الأمر كله وكما قال: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ ۚ مَّا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ هود:[٥٦].

٢٣٠٣. فيها: تشريف للرسول عليه أفضل الصلاة والسلام، فالخطاب له ثم تأتي أمته من بعده، وكأن فيه تنويهاً لفضله، وأن لولاه لما عبدتم، ولا التوكل عرفتم، وطبقتم، فكله إنما كان من بعده، لقوله: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ﴾.

٢٣٠٤. تدل على أهمية بيان توحيد الألوهية مع توحيد الربوبية، والأسماء، والصفات بل مبني عليهما كما هو هدي القرآن الكريم.

٢٣٠٥. فيها: مكانة النبي صلى الله عليه وسلم عند ربه جلَّ وعلا، ووجه ذلك أنَّ الآية لما كانت في سياق الأمر بالعبادة، والتوكل، وهي من أجلّ العبادات كان المخاطب بها النبي صلى الله عليه وسلم، ولما كان العمل منه ما هو صالح، ومنه ما هو غير ذلك حصل الالتفات فكان الخطاب لجميع الآمة، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾. فإن الجملة فيها إشعار بالمراقبة، وفيها نوع من التهديد.

٢٣٠٦. تفيد: منزلة وقدر النبي عليه الصلاة والسلام حيث خوطبت الأمة في شخصه، وأضافه لربوبيته تشريفاً لقدره ﴿رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

٢٣٠٧. فيها: أنه كلما كان اليقين أكبر باطلاعه تعالى على الغيب، وبأن الأمر راجع إليه كله، كلما كانت العبادة أصدق، والتوكل عليه تعالى أأكد وأقوى.

٢٣٠٨. فيها دليل أن الباء تزاد في خبر "ما" كثيراً غالباً، وهي زائدة لفظاً زائدة معنى، تحاشياً أن يكون في القرآن ما هو زائد.

٢٣٠٩. فيها: اثبات التكليف على العباد ﴿تَعْمَلُونَ﴾.

---

(١) أفاده شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى مجموع الفتاوى ١٠/ ١٧٦.

٢٣١٠. فيها: أنه سبحانه وتعالى علق وصف الغافل بالعمل، ولم يعلق بالذوات نحو: بغافل عنكم، إلى قوله: ﴿بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ إيماء إلى أن على العمل جزاء[١].

٢٣١١. يفيد قوله: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ أنَّهُ لا يُضِيعُ طاعاتِ المطِيعِينَ، ولا يُهْمِلُ أحْوالَ المتَمَرِّدِينَ الجاحِدِينَ، وذَلِكَ بِأنْ يُحْضَرُوا في مَوْقِفِ القِيامَةِ ويُحاسَبُوا عَلى النَّقِيرِ والقِطْمِيرِ، ويُعاتَبُوا في الصَّغِيرِ والكَبِيرِ، ثُمَّ يَحْصُلُ عاقِبَةُ الأمْرِ فَرِيقٌ في الجَنَّةِ وفَرِيقٌ في السَّعِيرِ[٢] ذكره الرازي.

٢٣١٢. فيها توجيه للمؤمن أن يستحضر مراقبة الله في السر والعلن، في خلوته، وجلوته ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾.

٢٣١٣. فيها إشارة للقاعدة المهمة في باب الأسماء، والصفات، وهي أن النفي المحض عدم لا مدح فيه إلا بإثبات كمال ضده، فيستفاد منها إثبات إحاطة علم الله تعالى بسائر خلقه، وما يعملون ﴿بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾.

٢٣١٤. فيها: وعيد شديد لكل عاص، وظالم أن عمله لا يغيب عن الله تعالى، فلا يغتر بالسلامة الوقتية، فيوشك أن يأخذه الله بجرائره وجرائمه.

تم بحمد الله

وبهذا تمت سورة هود في ٢٣١٤ هداية

بتاريخ ١٢/٣/١٤٤٢هـ

ولله الحمد والمنة ومنه التوفيق والعصمة.

تلخيص دكتور محمد عبد الرازق مصطفى

---

(١) التحرير والتنوير.١٢/١٩٦.

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب ١//٤١٤.